الإنجيل بحسب

لوقا

إنّه لأجمل كتاب في حيّز الوجود.

ارنست رينان ***Ernest Renan***

١ـ المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

لا شك أنّ العبارة "إنّه لأجمل كتاب في حيّز الوجود" هي على جانب كبير من المدح والإطراء، ولا سيما لكونها صادرة من إنسان مشكّك. إنها عبارة نطق بها الناقد الفرنسي أرنست رينان في تقويمه لإنجيل لوقا. أو يستطيع المؤمن المرهف الإحساس قارئ هذه التحفة الأدبية الموحى بها أن يدحر هذه الكلمات؟ من المرجح أن يكون لوقا هو الكاتب الأممي الوحيد الذي اختاره الله لتدوين جزءٍ من الوحي، الأمر الذي قد يفسّر سبب الإعجاب بهذا السفر ولا سيّما عند أهل الغرب وارثي الحضارة اليونانية الرومانية.

أما روحيًّا، فقد ينخفض تقديرنا للربّ يسوع وخدمته لولا العمل الفريد الذي قام به لوقا الطبيب في الإنجيل المنسوب إليه. هذا، وإن محبة الربّ وتقدمة الخلاص لجميع الناس، وليس لليهود فحسب، واهتمامه المميّز بالأفراد وخصوصًا الفقراء والمنبوذين، هذه الأمور جميعها قد برزت بوضوح في هذا السفر. كذلك فإن عند لوقا تشديدًا على التسبيح (إذ أورد لنا أمثلة عن التسابيح المسيحية الأولى في الفصلين الأولين من إنجيله)، وعلى الصلاة والروح القدس.

٢ـ الكاتب

"إن لوقا، وهو في أصله انطاكي، ومن حيث الحرفة طبيب، كان رفيقًا لبولس مدّة طويلة؛ كما كان له أحاديث

دقيقة مع باقي الرسل. وهكذا ترك لنا في سفرين أمثلة عن بَلَسان الروح نتيجة لتلك الرفقة والأحاديث".

إن هذا الدليل الخارجي الذي ذَكَره يوسيبيوس في كتابه "تاريخ الكنيسة" بشأن كاتب الإنجيل الثالث، يتّفق مع التقليد المسيحي المبكر والسائد. فإيرينايُس يستشهد بوفرة من الإنجيل الثالث، مسلّمًا بأنّ كاتبه هو لوقا. ومن الدعاة الأولين لهذا الرأي يوستينوس الشهيد وهجيزيبوس وأكليمندُس الاسكندري وترتوليانس. أما ما ورد في كتاب ماركيون، فيدلّ على أن ذلك الهرطوقي يعترف بإنجيل لوقا فقط. كذلك فإن الأسفار الموراتورية المجتزأة تُسمّي الإنجيل الثالث "لوقا".

إن لوقا هو البشير الوحيد الذي أعقب إنجيله بسفرٍ آخر، هو أعمال الرسل، الأمر الذي يزيد التيقن أن كاتب الإنجيل هو لوقا. فالمقاطع الواردة في أعمال الرسل، حيث الكلام بصيغة الجمع، تُبيّن أن للكاتب علاقة شخصية بالموضوع (١٦: ١٠؛ ٢٠: ٥، ٦؛ ٢١: ١٥؛ ٢٧: ١؛ ٢٨: ١٦؛ للمقارنة ٢تي٤: ١١). ولئن حاول الدارس القول بغير لوقا، فلا يمكنه أن يُنكر أن لوقا هو الأنسب في هذه الحقبات جميعها. ويتّضح أيضًا من مخاطبة ثاوفيلس ومن أسلوب الكتابة أنّ إنجيل لوقا وأعمال الرسل هما لكاتب واحد.

ينعت بولس لوقا «بالطبيب الحبيب» ويميّزه من اليهود المؤمنين (كو٤: ١٤)، جاعلاً إياه الكاتب الأممي الوحيد في العهد الجديد. أما بالنسبة إلى الحجم، فإن إنجيل لوقا وأعمال الرسل يفوقان حجمًا جميع رسائل بولس مجموعًا بعضُها مع بعض.

من جهة أخرى فإن الدليل الداخلي يدعم الوثائق الخارجية وتقليد الكنيسة. فالمفردات المستعارة من عالم الطب والبارزة أكثر من أي سفر آخر، والأسلوب اليوناني المنمّق والرفيع، لهي أدلّة واضحة على أنّ الكاتب هو طبيب مسيحي مثقّف من الأمم، متضلّع من المواضيع اليهودية. هذا، وإن التواريخ والأبحاث الدقيقة التي اعتنى بها لوقا (١: ١- ٤؛ ٣: ١، على سبيل المثل) جعلته رائدًا في تأريخ الأحداث الكنسيّة.

٣- تاريخ الكتابة

من المرجّح كثيرًا أن يكون إنجيل لوقا قد كُتب في أوائل العقد السادس من القرن الأول. بيد أنّ بعضًا من المؤرخين يزعمون أن كتابة هذا السفر قد تمّت بين سنة ٧٥م وسنة ٨٥م، وربما في القرن الثاني، الأمر الذي يشكّك في دقّة نبوّة المسيح عن خراب أورشليم. ذلك أن خراب المدينة حصل في سنة ٧٠، لذا فإن تدوين نبوّة الرب ينبغي أن يكون قد تمّ قبل ذلك التاريخ.

وبما أن السواد الأعظم من المؤرخين يتّفقون على أنّ إنجيل لوقا قد كُتب قبل أعمال الرسل، وأنّ كتابة هذا الأخير قد تمّت في السنة ٦٣ والستار قد أُسدل على بولس في روما، فلا بد من أن يكون الإنجيل قد كُتب قبل ذلك التاريخ. ولا يُعقَل أيضًا أن يهمل لوقا، الذي يُعَدُّ أوّل مؤرّخ كنسيّ، ذِكرَ أحداث هامة مثل حريق روما وما أعقبه من اضطهاد المسيحيين على يد نيرون في السنة ٦٤م، واستشهاد بطرس وبولس، لو أنّ هذه الأحداث قد حصلت قبل تاريخ كتابة هذين السفرين. إذًا، فتاريخ الكتابة قد تمّ، على الأرجح، بين السنتين ٦١ و ٦٢م.

٤ـ الخلفية والمواضيع الرئيسية

كان اليونانيون يطلبون كائنًا بشريًّا إلهيًّا كاملاً،له أفضل ما يتحلّى به الرجال والنساء من صفات، وخاليًا من سقطاتهم. هكذا كانت صورة المسيح كما يرسمها قلم لوقا، إذ إنّه وهو ابن الإنسان كان قديرًا وفي الوقت عينه لطيفًا. إذًا، فناسوت المسيح فريد من نوعه.

يشير إنجيل لوقا إلى حياة الصلاة لدى المسيح، أكثر من أي إنجيل آخر، منبّهًا مرارًا على عطفه وحنانه، الأمر الذي قد يكون وراء ذكر النساء والأولاد في غير مكان. وبالإضافة إلى ذلك فقد عُرف إنجيل لوقا بإنجيل العمل التبشيري، حيث تمتد يد هذا الإنجيل إلى الأمم، فيبدو الربّ يسوع مخلّصًا للعالم أجمع. وأخيرًا، يصلح هذا الإنجيل لأن يكون مرجعًا للتلمذة، إذ نتتبّع طريق التلمذة في حياة ربّنا بالذات، ونلمسها في تعليمه لأتباعه. هذه الظاهرة عينها سوف نتتبّعها في معرض بحثنا. في حياة الإنسان الكامل نجد العناصر التي تكوّن الحياة المثالية لجميع الناس. وفي كلمات المسيح السامية والمميّزة نجد أيضًا طريق الصليب، هذا الطريق الذي يدعونا المسيح إليه.

عندما ندرس إنجيل لوقا، لا بدّ من أن نسمع دعوة المخلّص القائلة: اترك الكلّ وتعال اتبعني. فالطاعة هي أداة المعرفة الروحيّة. كذلك فإن معنى الكلمة الإلهية يصبح أوضح وأحبّ إلينا حين نغوص في الاختبارات المدوّنة ها هنا.

التقسيم

١ـ المقدّمة: غاية لوقا وأسلوبه	(أص١: ١ـ ٤).
٢ـ مجيء ابن الإنسان ومَنْ أعدّ له الطريق	(أص١: ٥ — ٢: ٥٢).
٣ـ تحضير ابن الإنسان للخدمة	(أص٣: ١ — ٤: ٣٠).
٤ـ ابن الإنسان يُظهر قدرته	(أص٤: ٣١ — ٥: ٢٦).
٥ـ ابن الإنسان يوضح معالم خدمته	(أص٥: ٢٧ — ٦: ٤٩).
٦ـ ابن الإنسان يوسّع نطاق خدمته	(أص٧: ١ — ٩: ٥٠).
٧ـ ازدياد حِدّة المقاومة لابن الإنسان	(أص٩: ٥١ — ١١: ٥٤).
٨ـ تعليم وشفاء في الطريق إلى أورشليم	(أص١٢ـ ١٦).
٩ـ ابن الإنسان يعلّم تلاميذه	(أص١٧: ١ — ١٩: ٢٧).
١٠ـ ابن الإنسان في أورشليم	(أص١٩: ٢٨ — ٢١: ٣٨).
١١ـ آلام ابن الإنسان وموته	(أص٢٢، ٢٣).
١٢ـ قيامة ابن الإنسان ونصرته	(أص٢٤).

التفسير

١ـ المقدّمة: غاية لوقا وأسلوبه (اص١: ١-٤).

يظهر لنا لوقا في المقدمة مؤرّخًا، إذ يكشف النقاب عن مصدر مادته وعن أسلوبه المتّبع. بعد ذلك يبسط غايته من الكتابة. فمن وجهة النظر البشريّة، استقى مادته من مصدرين: المعلومات المدوّنة عن حياة المسيح، والمعلومات الشفهية التي أدلى بها الذين عاينوا الأحداث التي رافقت حياة المسيح.

١ : ١ يصف العدد الأول المعلومات المدوّنة فيقول: **إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقّنة عندنا**... نحن لا نعلم هُويّة هؤلاء الكتّاب، فقد يكون متى ومرقس من بينهم، ولكن إن كان غيرهما، فمن الواضح أنّهم لم يكونوا من كتّاب الوحي. علمًا أنّ يوحنا قد كتب في تاريخ لاحق.

١ : ٢ لقد أخذ لوقا أيضًا بالمعلومات الشفهيّة **التي سلّمها الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّامًا للكلمة**. لم يدّعِ لوقا بأنه كان شاهدَ عيان لكنه التقى الذين كانوا شهود عيان، داعيًا إيّاهم «**معاينين وخدّامًا للكلمة**». وفي هذا السياق يستخدم لوقا «**الكلمة**» بوصفها اسمًا للمسيح، تمامًا كما استخدمها يوحنا في إنجيله. و«**البدء**» تعني هنا بداية الحقبة المسيحية التي أعدّ لها يوحنا المعمدان. أمّا أنّ لوقا قد استقى معلوماته مكتوبةً وشفهيّةً فلا ينفي الوحي اللفظي عن كلامه، بل يعني ـ ببساطة ـ أن الروح القدس قد أرشده إلى اختيار مادته وتنظيمها. يقول جيمس ستيوارت *James Stewart*:

> يعتبر لوقا أنه لا بدّ لكَتَبة الوحي من اللجوء إلى الأبحاث التاريخيّة... فالوحي لا يعني أن الله يأسر عقول الناس وقدراتهم، بل إنه يعبّر عن مشيئته باستخدام عقول الناس وقدراتهم. والوحي أيضًا لا يُعطّل شخصيّة الكاتب القدّيس ليجعلها مجرّد آلة بيد الله، بل يدعم شخصيته ليجعل منه شاهدًا حيًّا لله.

١ : ٣ هنا، يبيّن لوقا بإيجاز الدافع إلى الكتابة والأسلوب الذي استخدمه: **رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبّعت كلّ شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحّة الكلام الذي عُلّمت به**. بالنسبة إلى الدافع، يقول بكلّ بساطة: **رأيت أنا أيضًا**، أو بدا لي مناسبًا. فمن الوجهة البشرية، كان لديه الاعتقاد بأنه ينبغي له أن يكتب الإنجيل. ونحن نعلم، بالطبع، أن الحث الإلهي كان ممتزجًا بهذا القرار البشري.

بالنسبة إلى الأسلوب، فإنه **تتبّع كل شيء من الأول بتدقيق**، ثم دوّن الكلّ بترتيب. لقد اقتضى عمله استقصاءً علميًّا دقيقًا لسلسلة الأحداث التي رافقت حياة مخلّصنا. لقد تفحّص لوقا دقة مصادره، فحذف كل ما لا يثبت التاريخ صحّته، ولو كان مناسبًا روحيًّا، ثم جمع المادة بترتيب كما هي أمامنا اليوم. فمع أنّ لوقا قد نظّم مادة كتابته ورتّبها، فما أورده من معلومات ليس مرتّبًا وفقًا للتواريخ دائمًا، بل وفقًا للسياق الروحي أو الخُلقي، أي أنّ المادة منظّمة وفقًا للمواضيع الروحية وليس للترتيب الزمني. وعلى الرغم من أنّ إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل موجّهان إلى **ثاوفيلس**، فإننا لا نعرف الكثير عنه. لكن العبارة «**أيها العزيز**»

دليل على أنه ذا منصب حكوميّ. أمّا اسمه فيعني "خليل الله". ومن المرجح أنه كان مسيحيًّا في منصب رفيع في الخدمة الخارجية للإمبراطورية الرومانية.

١ : ٤ كان هدف لوقا إغناء ثاوفيلس بمعلومات مكتوبة تُثبت صحة التعاليم المختصة بحياة الربّ يسوع وخدمته. والرسالة المكتوبة تدوم إذ لا تبقي عرضةً للتناقُل الشفهي.

إذًا فالآيات ١ ـ ٤ تبسط أمامنا خلفية الأوضاع البشرية التي رافقت كتابة هذا السفر من الكتاب المقدس. ونحن نعلم أن لوقا كتب إنجيله بالوحي الإلهي، مع أنه لم يذكر ذلك، لكنه ربّما لمحّ إلى ذلك بالعبارة «من الأول» والتي قد تعني من فوق.

٢ـ مجيء ابن الإنسان ومَن أعدّ له الطريق (اص١: ٥ – ٢: ٥٢).

أ. *إعلان الملاك ولادة مُعِدّ الطريق* (١: ٥ـ ٢٥)

١ : ٥، ٦ يبدأ لوقا سرد الأحداث بالتعريف بأبوي يوحنا المعمدان. فقد عاشا إبّان مُلكِ **هيرودس** الكبير الشرير **على اليهودية** — هيرودس الذي كان من نسل عيسو.

زكريا (أي الله يذكر) كان **كاهنًا** من **فرقة أبيّا**، التي هي واحدة من الأربع والعشرين فرقة في كهنوت اليهود، كما أقامها داود (راجع ١أخ٢٤: ١٠). فكلّ فرقة كانت تُدعى إلى نوبتها لتقوم بالخدمة في الهيكل بأورشليم على مدى أسبوع من السبت إلى السبت مرّتين بالسنة. كان الكهنة كثيرين، حتى إنّ امتياز الدخول إلى المكان المقدس في الهيكل كان يقع على واحد منهم مرة بالعمر، وربّما ولا مرّة.

واليصابات (أي قَسَمُ الله) كانت أيضًا من سلالة الكهنوت، سلالة هارون. كانت اليصابات وزوجها تقيّين مكرّسَين سالكَين بموجب العهد القديم معنويًّا وطقسيًّا. بالطبع، لم يكونا بلا خطية، ولكن عندما يخطئان لا يفوتهما تقديم الذبيحة أو إطاعة المقتضيات الطقسية.

١ : ٧ هذان كانا بلا ولد، الأمر الذي لا يخلو من العار بنظر اليهود. ويردّ الطبيب لوقا أساس المشكلة إلى عُقرة اليصابات، بالاضافة إلى كونهما **متقدّمَين في أيامهما**.

١ : ٨ـ ١٠ ذات يوم كان زكريا يكهن **في الهيكل**، وكان ذلك اليوم فريدًا في حياته إذ وقعت عليه القرعة **ليبخّر** في المكان المقدس. أما **جمهور الشعب** فكانوا خارج الهيكل **يصلّون**. ويبدو أنّ أحدًا لا يعرف تمامًا الوقت المشار إليه بالتعبير «**وقت البخور**».

إنه، ولا شك، لأمر سامٍ أن يبدأ الإنجيل وثمّة أناس **يصلّون** في الهيكل، وينتهي وثمّة أناس يسبّحون الله في الهيكل. أمّا الأصحاحات الواقعة ما بين الأصحاح الأول والأخير فتخبر كيف استُجيبت صلواتهم في شخص الرب يسوع وعمله.

١ : ١١ـ ١٤ في المشهد كاهن وأناس منهمكون بالصلاة، وهل من مشهد أكثر ملاءمةً لرؤيا إلهية؟ **فظهر له ملاك الربّ واقفًا عن يمين المذبح**، موضع الحُظوة. في البدء خاف زكريا، إذ لم يَرَ قط واحد من أترابه ملاكًا. لكنّ الملاك طمأنه بأخبار مفرحة معلنًا له أن اليصابات زوجته ستنجبُ له ابنًا ويُسمّيه يوحنا (أي "فضل يهوه" أو "نعمة الربّ"). وفضلاً عن كونه **فرحًا وابتهاجًا** له، سيكون بركة **لكثيرين**.

١: ١٥ هـذا الولـد يكـون **عظيمًا أمام الـربّ**. إنّها، ولا شـك، العظمة الحقيقية. يكـون عظيمًا لأنه، أولاً يكون مكرّسًا للربّ، فلا يشرب **خمرًا** (نتاج الكرمة)، ولا **مسكرًا** (نتاج الحبوب). ثانيًا، يكون عظيمًا بفضل مواهبـه الروحية، إذ يكون ممتلئًا **من الروح القدس وهو في بطن أمّه**. هـذا لا يعني أن يوحنا يكـون مخلّصًا أو متجـدّدًا قبل ولادته، بـل إنّ روح الله يَحلّ فيه ليفرزه لخدمة معيّنة ألا وهي إعداد الطريق أمام المسيح.

١: ١٦، ١٧ ثالثًـا، يكون عظيمًـا بفضل دوره بوصفه سابقًا للمسـيح، **ويردّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الربّ**؛ وهكـذا تكـون خدمته شـبيهة بخدمة ايليـا النبي الذي حاول أن يردّ الشعب إلى علاقة صحيحة بالله من طريق التوبة. يقول ج. كولمان لاك *G. Coleman luck*:

> سـيردّ يوحنا، بواسـطة كرازته، قلوب الآباء اللامبالـين إلى الاهتمام بحيوات أولادهم الروحية. وسـيردّ أيضًا قلـوب الأولاد العصاة المتمردين إلى حكمة الأبرار.

وبـكلام آخر، سـيناضل في سـبيل تهيئة جمع من المؤمنين يكونون مسـتعدّين لملاقاة الربّ عند ظهوره. إنّها لخدمة جليلة، جديرة لكلّ منّا.

نجد في العددين ١٦، ١٧ أن لاهوت المسيح يُشار إليـه ضمنًـا، إذ يقول الوحي في العـدد ١٦ إنّ يوحنا **يردّ كثيرين من بني إسـرائيل إلى الـربّ**، وفي العدد ١٧ يقـول إنه **يتقدّم أمامه**. فلمن يرجع الضمير في الكلمة «أمامـه»؟ طبعًا إلى الربّ **إلههم**، كمـا ورد في العدد ١٦. وإذ نعلم أنّ يوحنا يتقدّم أمام الربّ يسوع مهيّئًا له الطريق، نستخلص بصورة جلية أن المسيح هو الله.

١: ١٨ لقد صُعق الشيخ **زكريا** لاستحالة الوعد. ذلك أنـه وزوجته طاعنان في السـن ويسـتحيل عليهما أن يكونا أبوين. وهكذا عبّر بسـؤاله عمّا يختلج في خلده من شكوك ومخاوف.

١: ١٩ أجـاب الملاك معرّفًا بنفسـه أنـه **جبرائيل** (أي رجـل الله القدير). ومع أنه يُشـار إليه عمومًا كرئيس ملائكة، يذكر الكتاب أنه ملاك **يقف قدّام الله**، ويبلّغ الإنسـان رسـائل من لَدُن الله (راجع دانيآل ٨: ١٦؛ ٩: ٢١).

١: ٢٠ وبما أنّ زكريا شـكّ في قول المـلاك، فقد فَقَدَ القدرة على التكلّم، ويبقـى صامتًا إلى أن يولد الولد. فكلّما راعى المؤمن الشـكوك بشأن كلمة الرب يفقد القدرة على الشـهادة والترنيـم. وهكذا عدم الإيمان يُطبـق الشـفتين إلى أن يرجـع الإيمان فيُرجـع النطق بالشهادة والتسبيح.

١: ٢١، ٢٢ كان الشـعب منتظريـن في الخارج، وقد عيل صبرهم لأنه، عادة، لا تستغرق تقدمة البخور وقتًا طويلاً. وعندما خرج زكريا كانت لغته الإيماء، فأدرك الشعب **أنه قد رأى رؤيا في الهيكل**.

١: ٢٣ وإذ انتهت مدة خدمة زكريا الكاهن في الهيكل، ذهب إلى بيته، ولكنه بقي صامتًا كما تنبّأ له الملاك.

١: ٢٤، ٢٥ وعندمـا حبلت **اليصابات** أخفت نفسـها **خمسة أشـهر**، لكنها كانت فرحة لأن **الربّ** التفت إليها ونزَع عارَ عُقمِها.

ب. بشارة الملاك بولادة ابن الإنسان (١: ٢٦ـ ٣٨)

بعد ظهور الملاك لزكريا (أو بعد حبل اليصابات بستة أشهر)، قصد جبرائيل إلى **مريم العذراء** الساكنة في مدينة **الناصرة** في منطقة الجليل. كانت مريم **مخطوبة لرجل اسمه يوسف**، وهو من سلالة داود، أي حُقّ له أن يرث حقوق عرش داود، مع أنه كان نجّارًا. والخطبة آنذاك كانت أواصرها مُلزِمة أكثر من اليوم، إذ فسخها كان يستلزم إجراءً قانونيًّا، كما هي الحال في الطلاق.

١: ٢٨ خاطب الملاك مريمَ بوصفها **المُنعَم عليها**، إذ إنّ الرب شملها بامتياز زيارته لها. وها هنا ملاحظتان يجدر الأخذ بهما: (١) لم يصلِّ الملاك لمريم ولا هو عَبَدَها، بل حيّاها فقط. (٢) لم يقل لها إنها "ممتلئة نعمة"، بل قال إنّ الله أنعم عليها، أو قُل أحسن إليها.

١: ٢٩، ٣٠ يبدو أن مريم **اضطربت** من هذه التحية وطفقت تفكر في معناها. إذ ذاك طمأنها الملاك وأزال خوفها وأخبرها بأن الله قد اختارها لتكون والدة المسيح المنتظر منذ القديم.

١: ٣١ ـ ٣٣ لنلاحظ الحقائق الهامة المتضمَّنة في هذه البشارة:

كون المسيح إنسانًا حقيقيًا: ستحبلين وتلدين ابنًا.

لاهوته وخدمته بوصفه مخلّصًا: وتسميه يسوع (أي يهوه (الربّ) المخلّص).

عظمة شخصه: هذا يكون عظيمًا: عظيم الشخصية وعظيم العمل.

هويته كونه ابن الله: وابن العليّ يُدعى.

رتبته على عرش داود: ويعطيه الربّ الإله كرسي داود. إنها لَصفة تُثبت أنه المسيّا.

شموليـة ملكه وديمومته: ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية.

فالعددان ٣١، ٣٢أ يشيران إلى المجيء الأول للمسيح، فيما العددان ٣٢ب،٣٣ يشيران إلى مجيئه ثانية بصفته ملكَ الملوك وربّ الأرباب.

١: ٣٤، ٣٥ ينمُّ سؤال مريم «**كيف يكون هذا؟**» عن التعجّب، لا عن الشك. فكيف يمكن أن تحبل ولا علاقة لها برجل؟ وإذ لم يُسهب الملاك في الكلام، كان فحوى الجواب: ولادة عذراوية. إنها لَمعجزة حيث **الروح القدس يحلّ عليها وقوّة العليّ تظلّلها**. وهكذا، فبالمنظار البشري لا حلّ لسؤال مريم، لكن جواب الله هو «الروح القدس...». **فلذلك أيضًا القدّوس المولود منك يُدعى ابن الله.** وكم تسمو هذه الكلمات في التعبير عن التجسّد. فإنّ ابن مريم ما هو إلا الله وقد ظهر في الجسد. حقًّا إنّ كلّ كلام يُقصِّر عن التعبير عن عظمة هذا السرّ!

١: ٣٦، ٣٧ يخبر الملاك مريم عن **نسيبتها اليصابات** بأنها حبلى في شهرها السادس — تلك التي كانت عاقرًا. وهذه المعجزة من شأنها أن تُثبت لمريم **أنه لا شيء غير ممكن لدى الله.**

١: ٣٨ كم كان خضوع مريم حسنًا ومحمودًا، إذ سلّمت أمرها لله، لكي يُجريَ مشيئته العجيبة في حياتها. وهكذا **مضى من عندها الملاك.**

ج. مريم تزور اليصابات (١: ٣٩ـ ٤٥)

١: ٣٩، ٤٠ لم يخبرنا الوحي لماذا زارت **مريم اليصابات** في ذلك الوقت. ربما تفاديًا من الفضيحة التي ستظهر،

لا محالة، حين يُستعلن وضعها. فإذا كان هذا الاحتمال صحيحًا، فإن ترحيب اليصابات بمريم وكياستها أمران مُستحبّان مضاعفًا.

١: ٤١ حالما سمعت اليصابات صوت مريم، **ارتكض الجنين في بطنها**. إنها حركة لا إرادية وغريبة تصدر من جنين مُعَدّ الطريق تجاه جنين المسيّا. **وامتلأت اليصابات من الروح القدس**، أي أنه سيطر عليها، ضابطًا كلامها وسلوكها. ثمة أشخاص ثلاثة في الأصحاح الأول، ذُكر أنهم امتلأوا من الروح القدس: يوحنا المعمدان (ع١٥)؛ اليصابات (ع٤١)؛ زكريا (ع٦٧).

إن واحدة من علامات الحياة الممتلئة من الروح القدس هي التكلّم بمزامير وتسابيح وأغانيّ روحيّة (راجع أف٥: ١٨، ١٩). فلا عجب أن نقع على ثلاث تسابيح في هذا الأصحاح، وعلى تسبحتين في الأصحاح الثاني؛ لكلّ منها عنوانها: تحية اليصابات (١: ٤٢- ٤٥)؛ تسبحة التعظيم (١: ٤٦- ٥٥)؛ تسبحة المُبارَكة (١: ٦٨- ٧٩)؛ المجد لله في الأعالي (٢: ١٤)؛ تسبحة الإطلاق (٢: ٢٩- ٣٢).

١: ٤٢- ٤٥ لقد خاطبت اليصابات مريم بالروح قائلة: «**أمّ ربّي**». لم يكن في قلب اليصابات أيّ أثر للحسد، بل بهجة وفرح، إذ إنّ الطفل في أحشاء مريم سيكون ربّها؛ ومريم هي **مباركة بين النساء** إذ إنّها تتمتّع بامتياز الحَبَل بالمسيّا. كذلك فإن **ثمرة بطنها** هي أيضًا مباركة، لأنها ستلد مَن هو الربّ والمخلّص. هذا وإنّ الكتاب المقدس ما ذكر قط أن مريم هي «أم الله»، بل إنها أم يسوع. وعلى الرغم من أن يسوع هو الله، فإنه لخطأ عقائدي أن نقول إنّ لله أمًّا. كما أنّ الربّ يسوع موجود منذ الأزل، فيما وجود مريم ينحصر بزمان معيّن، وهي أم يسوع في تجسّده ليس إلاّ.

وإذ ذكّرتْ اليصابات تحرُّك جنينها اللاإرادي حالَ سماعها صوت مريم، طمأنت مريم أيضًا إلى أن جزاء إيمانها سيكون وافرًا ومنتظَرُها حاصلاً. وهكذا فإيمانها ليس عبثًا، لأنها ستلد ابنًا وفقًا لمَا وُعد.

د. *مريم تعظّم الربّ* (١: ٤٦- ٥٦)

١: ٤٦- ٤٩ إن "تسبحة التعظيم" تشبه إلى حدٍّ بعيد تسبحة حنّة التي وردت في صموئيل الأول ٢: ١- ١٠. أولاً، **تعظّم مريم الرب** لأجل ما صنع بها (ع٤٦-٤٩). تقول في الجزء الأخير من العدد ٤٨ إنّ **جميع الأجيال تطوّبني** — أي تدعوها مباركة، الأمر الذي يدلّ على إنها تتلقّى البركة ولا تمنحها. ومن جهة أخرى فهي تدعو **الله مخلّصها**، ممّا يدلّ على حاجتها إلى الخلاص من الخطية وينفي القول بأنّها كانت "بريئة من الخطيئة".

١: ٥٠- ٥٣ ثانيًا، تعظّم مريم الربّ لأجل **رحمته إلى جيل الأجيال للذين يتّقونه. فهو يُخضِع المستكبرين والأعزاء ويرفع المتّضعين والجياع.**

١: ٥٤، ٥٥ ثالثًا، تعظّم مريم الربّ لأجل أمانته نحو شعبه، إذ أتمّ وعده الذي قطعه **لإبراهيم ونسله**.

١: ٥٦ بعد أن مكثت مريم عند اليصابات **ثلاثة أشهر**، رجعت إلى بيتها في الناصرة، إذ لم تكن قد تزوّجت عند ذاك صارت مريم موضعًا لشكوك جيرانها وموضعًا لتجريح سمعتها. وبما أن الله يقدر أن يبرّرها، استطاعت أن تصبر على الانتظار.

هـ. ولادة يوحنا المعمدان (١: ٥٧-٦٦)

١: ٥٧-٦١ في الوقت الذي عيّنه الملاك **لأليصابات** ولدت هذه الأخيرة ابنًا؛ وإذ سمع جيرانها وأقرباؤها الخبر، **فرحوا معها**. وعندما حان الوقت لختن **الصبي في اليوم الثامن**، عُدَّ أمرًا بديهيًّا أن يسمّوه **زكريا** نسبةً إلى **أبيه**. ولكن عندما أخبرتهم الأم بأنّ اسمه إنما يكون **يوحنا**، تعجّبوا قائلين **ليس أحد في عشيرتك تسمّى بهذا الاسم**.

١: ٦٢، ٦٣ وإذ ابتغوا قرارًا حاسمًا في الموضوع، **أومأوا** إلى زكريا الذي طلب لوحًا وكتب: «**اسمه يوحنا**»؛ **ففُضّ** بذلك النزاع، ولكن **تعجّب الجميع**. (إن الكلمة «أومأ» تفيد أن الله لم يَبتلِ زكريا بالخرس فحسب، بل ابتلاه بالصمم أيضًا).

١: ٦٤-٦٦ وتزايد العجب حين عرفوا أن قدرة زكريا على الكلام رجعت إليه حالما كتب الاسم «يوحنا». وانتشرت الأخبار **في كل جبال اليهودية**، وقد أخذت الناس الحيرة بشأن مستقبل هذا الصبي الفريد، عالمين أن **يَدَ الربّ معه**.

و. نبوّة زكريا بشأن يوحنا (١: ٦٧-٨٠)

١: ٦٧ إنّ **زكريا**، المحرَّر من قيود عدم الإيمان **والمملوء من الروح القدس**، نطق بتسبحة سامية تزخر باقتباسات من العهد القديم.

١: ٦٨، ٦٩ مباركةُ الله **لأجل** ما صنع: لقد عرف زكريا أن ولادة ابنه يوحنا تؤذن بمجيء المسيّا. وهكذا كان يتكلّم عن مجيء المسيح وكأنه حدث قد تمّ. فبالإيمان طفق زكريا يقول **إن الله افتقد وصنع فداءً لشعبه**، إذ أرسل الفادي. إذًا، **أقام الله قرن خلاص في بيت داود الملكي**. والقرن كان يُستخدم لاحتواء الزيت — زيت مسح الملوك؛ لذا، فإن العبارة «قرن خلاص» قد تفيد معنى "مَلِك خلاصٍ" تحدّر من سلالة داود الملكية. وقد يشير «القرن» إلى القدرة، وهكذا يكون ذلك بمعنى "مخلِّص قدير".

١: ٧٠، ٧١ مباركةُ الله لأنه قد تمّم النبوّة: إذ تكلّم تعالى عن مجيء المسيّا **بفم أنبيائه القديسين الذين هم من الدهر**. ولا بدّ أن يصحب ذلك خلاص **من الأعداء** ونجاة من المبغضين.

١: ٧٢-٧٥ مباركةُ الله لأجل أمانته في وعوده: لقد أقام الرب عهد **خلاص** غير مشروط مع إبراهيم. وهذا الوعد تحقّق بمجيء مَن هو نسلُ إبراهيم أي الربّ يسوع المسيح. والخلاص الذي حمله المسيح كان خلاصًا ظاهريًّا وباطنيًّا في آن. في الظاهر يفيد معنى **الإنقاذ من أيدي الأعداء**؛ وفي الباطن يفيد **عبادة الله بكلّ قداسة وبرّ، وبلا خوف**. ثمة فكرتان يبسطهما ج. كامبل مورجَن *G. Campbell Morgan* حول هذه الفقرة، إذ يشير، أولاً، إلى العلاقة القائمة بين الاسم «يوحنا» وبين موضوع التسبحة، فكلاهما عن نعمة الله. ثانيًا، يجد ترابطًا بين الأسماء يوحنا وزكريا واليصابات في العددين ٧٢، ٧٣:

يوحنا: "الرحمة" الموعودة (ع٧٢).

زكريا: "يذكر" (ع٧٢).

اليصابات: "القَسَم" (ع٧٣).

إذًا، فجود الله الذي أُعلِن بيوحنا نجم عن تذكُّر الله **القسم** الذي جعله في **عهده المقدّس**.

١: ٧٦، ٧٧ خدمة يوحنا هي إعداد الطريق أمام المخلّص. يوحنا المدعو **نبيّ العلي يُعدّ** قلوب الشعب لمجيء الربّ، ويعلن **الخلاص** لشعب الرب بواسطة **غفران خطاياهم**. ولنا هنا إشارات إلى يهوه في العهد القديم مطبّقة على يسوع في العهد الجديد. ذلك أن ملاخي تكلّم عن إرسال ملاك يُعدّ الطريق أمام يهوه (ملا٣: ١). وزكريا يشير إلى يوحنا بوصفه ملاكًا مرسلاً. وبما أن يوحنا قد أتى ليعدّ الطريق أمام يسوع، يُستخلَص حتمًا أن يسوع هو يهوه.

١: ٧٨، ٧٩ مجيء المسيح يُشبَّه ببزوغ الشمس. كان العالم في ظلمة على مدى قرون. أما الآن، وبفضل **أحشاء رحمة إلهنا** فإن الفجر مزمع أن يطلع بشخص المسيح الذي سيضيء على الأمم الذين كانوا **في الظلمة وظلال الموت**، ويَهدي أقدام الشعب القديم **في طريق السلام** (راجع ملاخي ٤: ٢).

١: ٨٠ في نهاية الأصحاح كلمات بسيطة تقول إن الصبي كان ينمو جسديًّا وروحيًّا، مستقرًّا **في البراري إلى يوم ظهوره** علانية للأمّة.

ز. ولادة ابن الإنسان (٢: ١ـ٧)

٢: ١ـ٣ صدر أمر من أوغسطس قيصر يقضي بتسجيل جميع السكّان. وهذا التسجيل هو بمثابة إحصاء جميع الساكنين في إمبراطوريته. وهذا الإحصاء كان الأول وقت حكم كيرينيوس على سوريا. إن ذكر لوقا لكيرينيوس أثار الكثير من التساؤلات حول دقة الإنجيل على مدى سنين. لكن الاكتشافات الأخيرة في علم الآثار قد أثبت صحة السرد. كان الإحصاء، بنظر اوغسطس قيصر، ممارسة لسلطانه على العالم اليوناني الروماني؛ ولكن، بنظر الله، ما هذه الإمبراطورية الأممية إلاّ أداة لإتمام الخطة الإلهية (راجع أمثال ٢١: ١).

٢: ٤ـ٧ إن مرسوم أوغسطس ألزم مريم ويوسف المجيء إلى بيت لحم في الوقت المناسب لكي يولد المسيّا هناك تتميمًا للنبوّة (مي٥: ٢). كانت بيت لحم تغصّ بالسكّان عندما وصلا إليها من طريق الجليل، وإذ لم يجدا بيتًا لحطّ رحالهما، باتا في إسطبل تابع **لمنزلٍ**، أو خانٍ. وهذه كانت علامة تُنذر بالأسلوب الذي به سوف يستقبل الناس مخلّصهم. وبينما كانت مريم هناك، **ولدت ابنها البكر**. إذ ذاك **قمّطته**، وبكلّ رفق ومحبة **أضجعته في مذود**.

هكذا أتى الله عالَمنا بشخص طفل ضعيف وفي بيئة فقيرة؛ في إسطبل تفوح منه رائحة لا يرغب فيها إنسان.

وصف داربي *Darby* حياة المسيح بشكل إيجاز ولكن بأسلوب سامٍ رفيع، فقال: "ابتدأ في المذود وانتهى على الصليب، وبين هذا وذاك لم يكن له أين يُسند رأسه!".

ح. الملائكة والرعاة (٢: ٨ـ٢٠)

٢: ٨ لم يُعطَ الإعلان الأول لهذه الولادة الفريدة إلى القادة الدينيين في أورشليم، بل أُعطي إلى رعاة متفكّرين، كانوا في بادية اليهودية — إلى أناس مُتّضعين، ساهرين على أعمالهم. يقول جايمس س. ستيوارت *James S. Stewart* في هذا الصدد:

> ألا نرى عالَمًا من المعاني في كون الذين عاينوا أولاً أمجاد مجيء الرب أناسًا عاديّين يقومون بأعمال

عادية؟ ذلك يعني، أولاً، أنّ مكان القيام بالواجب، مهما اتّضع، هو مكان الرؤيا. ويعني، ثانيًا، أن أبواب الملكوت تنفتح مرحّبةً بالمتشبّهين بالتقوى وغير الفاقدين لقلوب الأطفال.

٢: ٩-١١ ملاك الربّ أتى الرعاة، ونور باهر **أضاء حولهم**. وإذ ارتدّوا خوفًا، هدّأ الملاك روعهم وبلّغهم الخبر، قائلاً: **أنا أبشّركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب**، إذ في ذلك **اليوم** بالذات وفي بيت لحم القريبة قد **وُلِد** طفل، وهذا الطفل هو **مخلّص، هو المسيح الربّ**. ولنا هنا تعليم لاهوتي مقتضب: أولاً، هو **مخلّص** المعبَّر عنه في اسمه «يسوع»؛ وثانيًا، هو **المسيح** أي الممسوح من الله، مسيّا إسرائيل؛ وثالثًا، هو الربّ، أي الله ظاهرًا في الجسد.

٢: ١٢ كيف يمكن الرعاة التعرّف به؟ لقد أعطاهم الملاك علامتين: الأولى، **طفل مقمّط**. لقد رأوا أطفالاً كثيرين مقمّطين، ولكن الملاك كان قد أخبرهم لتوّه أن هذا الطفل هو الربّ؛ وليس من إنسان قد شاهد الربّ **طفلاً مقمّطًا**. والعلامة الثانية هي أن الطفل **مُضجَع في مذود**. ربما لم يَرَ الرعاة قط طفلاً في هذه الظروف الغريبة، لأن اتضاعًا بهذا المقدار قد حُفظ ليرافق ربّ الحياة والمجد في مجيئه إلى عالمنا. وتأخذ ألبابنا الحيرة إذ نفكّر أن خالق الكون وحافظه قد دخل تاريخ البشرية، لا فاتحًا ولا بطلاً، بل طفلاً صغيرًا مغمورًا. هذه هي حقيقة التجسّد الرائعة.

٢: ١٣، ١٤ بغتة تدفّقت أفراح السماء، إذ ظهر **جمهور من الجند السماوي** يسبّحون الله ويمجّدونه. وتُعرف هذه التسبحة اليوم بعنوان: **المجد لله في الأعالي**، وهي تلخّص عظمة ولادة الطفل، إذ من خلال حياته وخدمته سيُمجَّد الله في الأعالي، **ويتحقق السلام على الأرض والسرور للناس**، أو ربما للناس العاملين مشيئته. علمًا أنّ الناس الذي يعملون مشيئة الله هم الذين يتوبون عن خطاياهم ويقبلون يسوع المسيح بوصفه المخلِّص والربّ.

٢: ١٥-١٩ وما إن غادر **الملائكة** حتى أسرع **الرعاة إلى بيت لحم** حيث **وجدوا مريم ويوسف، والطفل مضجعًا في المذود**. وفي الاسطبل، أخبر الرعاة الجميع بالكلام الذي سمعوه من الملاك، فتعجّب الجميع. **أما مريم** فكانت تعي جيّدًا كل ما يدور حولها، وهكذا **كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكّرة فيه في قلبها**.

٢: ٢٠ رجع الرعاة إلى قطعانهم فرحين **بكل ما سمعوه ورأوه**، وألسنتهم تفيض تسابيح لله.

ط. خَتْن الطفل يسوع وتقديمه للرب (٢: ٢١-٢٤)

ثمة ثلاث طقوس، على الأقل، وردت في هذه الفقرة:

١- **خَتْن** يسوع في يومه **الثامن**. وهذه كانت علامة تشير إلى العهد الذي أقامه الله مع إبراهيم، ووفقًا لعادات اليهود، ففي هذا اليوم أيضًا **يُسمّى الطفل**. أمّا الاسم فقد أعلنه الملاك قبلاً لمريم ويوسف بأنه **يسوع**.

٢- والطقس الثاني يختص بتطهير مريم؛ وهذا تمّ بعد أربعين يومًا من ولادة يسوع (راجع لاويين ١٢: ١-٤). وكان يُفترض عادةً بالأبوين أن يأتيا بخروف ليُقدِّماه محرقة وبفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية. ولكن، في حال الفقر، فَلْيُؤتَ **بزوج يمام أو فرخي حمام** (لا ١٢: ٦-٨). وبما أن مريم لم تأتِ بخروف بل أتت **بفرخي حمام**، ففي ذلك دليل ساطع على بيئة الفاقة التي وُلد فيها يسوع.

٣- أما الطقس الثالث فهو تقديم يسوع في الهيكل بأورشليم. فمن حيث المبدإ، الابن البكر هو للرب، وهؤلاء الأبكار يصيرون كهنة (راجع خروج ١٣: ٢). ولكن في ما بعد أفرز الربّ سبط لاوى ليكونوا كهنة له (خر٢٨: ١، ٢). وعليه، أصبح باستطاعة الأبوين أن يفديا ابنهما البكر بدفع خمسة شواقل. وهذا الأمر كان يتم عند تقديم الطفل للربّ.

ي. سمعان يعيش حتى يرى المسيح (٢: ٢٥-٣٥)

٢: ٢٥، ٢٦ سمعان واحد من البقية التقيّة بين اليهود يومذاك، وكان ينتظر مجيء المسيّا. وكان قد أُوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الربّ أو الممسوح. «سرّ الربّ لخائفيه» (مز٢٥: ١٤). ثمة توصيل عجيب للمعرفة الإلهية إلى الذين يسيرون في شركة مع الله بكلّ هدوء وتأمّل.

٢: ٢٧، ٢٨ وحدث أنّ سمعان دخل الهيكل يوم أتى الأبوان بيسوع ليقدّماه للرب. وإذ أوحي إلى سمعان أن هذا الطفل هو المسيّا الموعود به، أخذه على ذراعيه ونطق بالتسبحة الشهيرة المعروفة بـ"تسبحة الإطلاق".

٢: ٢٩-٣٢ يقول سمعان في تسبحته: الآن تطلق عبدك يا سيّد بسلام، لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصك في شخص هذا الطفل، ألا وهو الفادي الذي وعدتني به. لقد عيّنته ليكون خلاصًا لجميع فئات البشر. فهو يكون نور إعلان للأمم (مجيئه الأول)، ويضيء في المجد على شعبك إسرائيل (مجيئه الثاني). وهكذا كان سمعان جاهزًا للموت بعد أن رأى الربّ يسوع. لقد بطلت شوكة الموت.

٢: ٣٣ وبكلّ دقة يصون لوقا عقيدة الولادة من عذراء بالكلمات المختارة إذ يقول: يوسف وأمّه.

٢: ٣٤، ٣٥ بعد رفع التسبيح والحمد لله من أجل المسيّا، بارك سمعان الأبوين، ثم وجّه كلامه إلى مريم بروح النبوّة، فشملت نبوّته أربع نقاط:

١- قد وُضع الطفل لسقوط وقيام كثيرين من إسرائيل. فالمتكبّرون وغير التائبين وغير المؤمنين يسقطون ويعاقَبون. أما المتضعون والتائبون عن خطاياهم والقابلون الربّ يسوع فيُرفعون ويُبارَكون.

٢- وقد وضع الطفل أيضًا لعلامة تقاوم. ثمة أهمية بارزة مرتبطة بشخص المسيح، إذ إن مجرّد وجوده على الأرض كان تأنيبًا للخطية والنجاسة، الأمر الذي جعل قلب الإنسان في موقف العداوة.

٣- وأنتِ أيضًا يجوز في نفسك سيف. فسمعان هنا يتكلّم بروح النبوّة عن الحزن الذي سيغمر قلب مريم حين تشاهد ابنها على الصليب (يو١٩: ٢٥).

٤- لتُعلن أفكار من قلوب كثيرة. ذلك أن الطريقة التي بها يتجاوب الإنسان مع المخلّص، هي الدليل على ما يختلج في نفس الإنسان من دوافع وشعور.

وهكذا نجد أن تسبحة سمعان تشمل فكرة السقوط والقيام، والعثرة والتقدّم، والسيف.

ك. حنّة النبيّة (٢: ٣٦-٣٩)

٢: ٣٦، ٣٧ والنبيّة حنّة تشبه سمعان بوصفها واحدة من البقيّة التقيّة بين الشعب، أعني أولئك الذين كانوا ينتظرون مجيء المسيّا. وكانت حنّة من سبط أشير (أي السعيد والمبارك) وهو واحد من الأسباط العشرة الذين

سباهم الآشوريّون سنة ٧٢١ق م. ومن المرجح أن حنّة جاوزت سن المئة، إذ إنها عاشت مع زوجها **سبع سنين** وترمّلت **أربعًا وثمانين سنة**. وبصفتها **نبيّة**، فقد قبلت إعلانات من الربّ، وهكذا تكلّمت بكلامه. كانت حنّة أمينة إذ كانت تواظب على حضور الخدمات العامة في الهيكل، عابدةً **بأصوام وطلبات ليلاً ونهارًا**، مانعةً **تقدّمها في السن** من أن يُثنيها عن خدمة الربّ.

٢: ٣٨ وبينما كان يسوع يُقدَّم للرب، وسمعان يخاطب مريم، وقفت حنّة **تسبّح الربّ** لأجل الفادي الموعود به، ثم **تكلّمت** عن يسوع مع الأمناء **في أورشليم** الذين كانوا منتظرين **الفداء**.

٢: ٣٩ بعدما أكمل يوسف ومريم طقوس التطهير والتكريس، رجعا ويسوع إلى **الجليل إلى مدينتهم الناصرة**. ويُلاحَظ أنّ لوقا لم يذكر المجوس، ولا اللجوء إلى مصر.

ل. *حداثة يسوع* (٢: ٤٠-٥٢)

٢: ٤٠ إن **نموّ الصبي** كان بشكل طبيعي، إذ إنّه جسديًّا **كان ينمو ويتقوّى بالروح**، مرورًا بالمراحل الطبيعية للنمو الجسدي، من تعلّم المشي والتكلّم واللعب والعمل. وبما أنه مرّ بهذه المراحل، يستطيع أن يشعر معنا حين نمرّ نحن بمراحل نموّنا. أما عقليًّا فقد كان **ممتلئًا حكمة**، إذ إنه لم يتعلّم مبادئ اللغة والأعداد والمعرفة المتّبعة آنذاك فحسب، بل كان ينمو **بالحكمة** ممارسًا تلك المعرفة في الأمور الحياتية. وكان كذلك ينمو روحيًّا إذ **كانت نعمة الله عليه**. كان يسير في شركة مع الله وبالاتكال على الروح القدس، كان يدرس الكلمة ويقضي وقتًا في الصلاة ويُسَرُّ بعمل مشيئة الآب.

٢: ٤١-٤٤ بحسب عادات اليهود، يصبح الولد ابنًا للناموس في سن الثانية عشرة. فعندما كان يسوع في سن **الثانية عشرة**، صعدت عائلته إلى **أورشليم** لقضاء **الفصح**، كعادتها في كل سنة. ولكن في طريق العودة إلى أورشليم، لم يُعرَف أن **يسوع** لم يكن بين الرفقة. قد يبدو الأمر مستغرَبًا لدينا، ما لم نعلم أن الأبوين كانا من ضمن موكب كبير؛ الأمر الذي جعلهما يظنّان أن يسوع سائر مع أترابه.

وقبل أن نرمي بالملامة على يوسف ومريم، علينا أن نتذكّر كم هو سهل أن نرحل **مسيرة يوم** ظانّين أن يسوع **برفقتنا**، فيما، تكون شركتنا معه منفصلة في الواقع بسبب خطية دفينة في حياتنا. ولكي نعيد الاتصال به، ينبغي لنا أن نرجع إلى حيث انقطعت الشركة ونعترف بالخطية ونتركها.

٢: ٤٥-٤٧ عند عودة الأبوين إلى **أورشليم**، وجدا يسوع **في الهيكل جالسًا في وسط المعلّمين يسمعهم ويسألهم**. لم يرد في النص ما يشير إلى أن يسوع كان يقوم بدور الولد المميّز محاورًا الكبار، لكنه قام بدور الولد الطبيعي، إذ كان يتعلّم بهدوء وخضوع من معلّميه. ولكن في سياق هذه العملية يبدو أنه سُئِل بعض الأسئلة، لأنه مكتوب أنهم **بُهِتوا من فهمه وأجوبته**.

٢: ٤٨ والأبوان أيضًا **اندهشا** حين وجدا يسوع يخوض بفطنة في مباحثة مع أناس أكبر منه بسنين كثيرة. وعلى الرغم من ذلك، فقد عبّرت **أمّه** عن خشيتها عليه، فأنّبته. ألم يعلم أنهما كانا قَلِقَين عليه؟

٢: ٤٩ وكان جواب الربّ (وهو أوّل كلام له يدوّنه الوحي) دليلاً ساطعًا على أنه كان يعلم علم اليقين هويّته بوصفه ابن الله، وخدمتهُ التي أخذها من الله. وإذ ذاك قال: «**لماذا كنتما تطلبانني، أ لم تعلما انه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟**» فعندما قالت له مريم «أبوك وأنا»، أجابهما أنه ينبغي أن **أكون في ما لأبي**.

٢: ٥٠ لم يفهما، آنذاك، قصده من تصريحه المبهم، لأنه كان أمرًا مستغربًا أن يتفوّه ابن الثانية عشرة بذلك الكلام.

٢: ٥١ على أية حال، التأمت العائلة من جديد، وأصبح في وسعها العودة إلى **الناصرة**. إن أخلاق يسوع السامية والمميّزة تظهر جليًّا من خلال هذه الكلمات: «**وكان خاضعًا لهما**». فمع أنه خالق الكون، فقد ارتضى أن يكون ولدًا مطيعًا في عائلة متّضعة. ولكن **أمّه** كانت دائمًا **تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها**.

٢: ٥٢ ولنا هنا أيضًا وصف لكون الرب بالحقيقة إنسانًا، وكذلك وصف لنموه الطبيعي:

١ـ نموّه العقلي: **يتقدّم في الحكمة**.

٢ـ نموّه الجسدي: **يتقدّم في القامة**.

٣ـ نموّه الروحي: **يتقدّم في النعمة عند الله**.

٤ـ نموّه الاجتماعي: **يتقدّم في النعمة عند الناس**.

كان كاملاً في كلّ ناحية من نواحي نموّه. وهنا يتجاوز لوقا في سرده مدة ثماني عشرة سنة من حياة يسوع في الناصرة في عُهدة نجّار. هذه السنون تعلّمنا أهمية التأهيل والتدريب، كما تُعلّمنا أهمية الحاجة إلى الصبر وقيمة العمل. هذه السنون تحذّرنا من القفز إلى الخدمة مباشرة بعد نوال الخلاص، حتى إنّ الذين يفتقرون إلى الحداثة الروحية الطبيعية وإلى سني النموّ الروحي الطبيعي، كثيرًا ما يواجهون مشاكل جمّة في حياة الخدمة والشهادة.

٣ـ تحضير ابن الإنسان للخدمة (أص٣: ١ـ ٤: ٣٠)

أ. إعداد الآتي قبله (٣: ١ـ ٢٠)

٣: ١، ٢ إنّ لوقا، بوصفه مؤرّخًا، يصف السنة التي فيها بدأ يوحنا كرازته، فيعرّف بالرؤساء السياسيين والدينيين الذين كانوا آنذاك يتولون السلطة: إمبراطور واحد هو **قيصر**، ووالٍ واحد، وثلاثة رؤساء محافظات (أي أرباع)، **ورئيسا كهنة**. فإنّ ذكر الرؤساء السياسيين هو دليل ضمني على القبضة الحديدية التي كان يرزح تحتها الشعب القديم. هذا وإنّ وجود رئيسَي كهنة هو دليل أيضًا على أنّ بني إسرائيل كانوا في اضطراب ديني وسياسي. ومع أن أولئك الرؤساء — سياسيين ودينيين — يحظَون بتقدير رفيع عند الناس، فهم أشرار وأثمة في نظر الله. لذلك عندما أراد الله أن يكلّم الشعب، تخطّى البلاط والمجمع مرسلاً كلامه على **فم يوحنا بن زكريا** الذي كان **في البرية**.

٣: ٣ في الحال جاء يوحنا إلى **الكورة المحيطة بنهر الأردن** والقريبة ـ على الأرجح ـ من أريحا. هناك دعا يوحنا الشعب إلى التوبة عن خطاياهم لكي يحصلوا على الغفران، وهكذا يصبحون مؤهّلين لمجيء المسيّا. كذلك دعا الناس إلى المعمودية كعلامة خارجيّة تشير إلى حقيقة توبتهم. لقد كان يوحنا نبيًّا حقًّا وضميرًا حيًّا يناهض الخطية ويدعو إلى التجديد الروحي.

٣: ٤ جاءت خدمة يوحنا تتميمًا للنبوّة الواردة في **إشعياء ٤٠: ٣-٥** كان يوحنا **صوتَ صارخ في البرية**. فروحيًّا، كان الشعب القديم يومذاك **برية**، إذ كان جافًّا وعقيمًا لا يُنتج ثمرًا لله. ولكي يكون الشعب مُهيّئين لمجيء الرب، كان عليهم أن يختبروا تغييرًا أخلاقيًّا. فعندما كان الملك يقوم بزيارة الشعب في تلك الأيام، كانت الطرق تُعبَّد لتسهِّل تنقلاّت الملك قدر المستطاع. وهذا ما نادى به يوحنا للشعب، ولكن ليس تعبيد الطرق بالمعنى الحرفي، بل تحضير القلوب لقبول الرب.

٣: ٥ لقد شملت تحضيرات مجيء المسيح الأمور التالية:

كلّ وادٍ يمتلئ — التائبون الحقيقيون والمتّضعون يخلصون ويمتلئون.

وكلّ جبل وأكمة ينخفض — المتعالون والمتكبّرون، أمثال الكتبة والفريسيين، يوضعون.

وتصير المعوجّات مستقيمة — الملتوون والخدّاعون، أمثال العشّارين، يُقوَّم خُلُقهم. **الشعاب** (الطرق الوعرة) تصير **طرقًا سهلة** — الجنود وغيرهم من ذوي الأخلاق الفظّة، يُروّضون ويُصقلون.

٣: ٦ والنتيجة النهائية هي أنّ **كلّ بشر** — يهوديًّا كان أم أمميًّا — **يبصر خلاص الله**. ففي مجيء المسيح أوّل مرّة، كانت تقدمة الخلاص للجميع، مع أن ليس الجميع قبلوه. ولكن عندما يأتي المسيح ثانيةً، يتمّ مضمون هذا العدد كاملاً. في ذلك الوقت يخلُص جميع إسرائيل، والأمم أيضًا يشاركون في بركات ملكوته المجيد.

٣: ٧ عندما **خرج الجموع** للمعمودية، لاحظ يوحنا أن ليس قلوب الجميع مستقيمة. كان بعضهم مرائين يعوزهم الجوع والعطش إلى البرّ. هؤلاء خاطبهم يوحنا بقوله، **أولاد الأفاعي**. وسؤاله لهم: «**من أراكم (أنذركم) أن تهربوا من الغضب الآتي**»، لهو تلميح إلى أنه هو لم يقم بهذا العمل، إذ إنّ رسالته كانت موجّهة إلى الراغبين في الاعتراف بخطاياهم.

٣: ٨ لو كانوا، حقًّا، يريدون أن يتعامل الله معهم، لكان عليهم أن يكشفوا النقاب عن توبة حقيقية بإظهار حياة جديدة. لأن التوبة الحقيقية تُنتجُ **ثمرًا**. وهكذا ينبغي ألاّ يفتكروا في كون تحدُّرهم من نسل **إبراهيم** كافيًا وافيًا، إذ إنّ علائق الإنسان بالأتقياء لا تجعله تقيًّا. فالله لا يقيّد نفسه بنسل إبراهيم لتتميم مقاصده، بل يستطيع أن يتناول **الحجارة** التي على ضفاف نهر الأردن **ويقيم منها أولادًا لإبراهيم**. وقد تعني الحجارة هنا الأمم الذين يستطيع الله أن يحوّلهم بمعجزة النعمة السماوية إلى مؤمنين على غرار إيمان إبراهيم. وهذا ما حصل بالتمام؛ لأنّ نسل إبراهيم بالجسد رفضوا مسيح الرب، ولكن إذ قَبِله الأمم بوصفه المخلِّص والربّ، صاروا ذريّة إبراهيم الروحيّة.

٣: ٩ قد وُضعت الفأس على أصل الشجر: تعبير مجازيّ يعني أن مجيء المسيح يكون امتحانًا لتوبة الإنسان الحقيقية. فالذين لا يُظهرون أثمار التوبة، يُعاقَبون.

ورد في كتاب تأمُّلات روحيّة ما يلي:

خرجت كلمات يوحنا وتعابيره من فمه كالسيوف: «أولاد الأفاعي»، «الغضب الآتي»، «وُضعت الفأس»، «تُقطع وتُلقى في النار». فأنبياء الربّ لم تقطر أفواههم عسلاً قط، بل كانوا عظماء في التأديب، وكان لكلماتهم وقع الفؤوس على خوذ الأعداء إبّان معارك الأجداد.

٣: ١٠ تحت وطأة التبكيت، سأل **الجموع** يوحنا عن بعض الاقتراحات العملية لممارسة التوبة الحقيقة.

٣: ١١-١٤ في الأعداد ١١-١٤ يبسط يوحنا أمام الشعب طُرقًا محدّدة ليبرهنوا عن إخلاصهم واستقامتهم. وبوجه عام، ينبغي لكلّ واحد أن يحبّ قريبه كنفسه، فيشاركه في اللباس والطعام.

أما بالنسبة إلى **العشارين** فعليهم بالاستقامة في كلّ ما يعملون، ولا سيما أنهم في غالبيتهم ملتوون، وهذا حق لا جَوْرَ فيه.

وأخيرًا، حذّر **الجنود** من ثلاث خطايا كانت شائعة آنذاك بين الجنود: الظلم والوشاية والطمع. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ الذين يعملون بنصائح يوحنا لا ينالون الخلاص، بل إن هذه الأمور تشكّل الدليل على أنّ قلوبهم كانت حقًّا مستقيمة أمام الله.

٣: ١٥، ١٦أ إنّ إنكار يوحنا لذاته بدا جليًّا، إذ كان بوسعه، ولو لبعض الوقت، أن يزعم أنه المسيّا، فيجذب وراءه جمهورًا غفيرًا من الاتباع. لكنه، بالمقابل، أظهر فرقًا عظيمًا بينه وبين المسيح، مبيّنًا أن معموديته هي خارجية وحسيّة، فيما معمودية المسيح هي داخلية وروحية. كذلك فقد أوضح أنْ **لست أهلاً أن أحلّ سيور حذائه**.

٣: ١٦ب، ١٧ تكون معمودية المسيح **بالروح القدس ونار**. ذلك أن خدمته ستكون ذات شقّين: أولاً، **يعمّد** المسيح المؤمنين بالروح القدس، وهو الوعد بما سيحصل في يوم الخمسين حين يعتمد المؤمنون إلى جسد المسيح. ثانيًا، يعمّد بنار. يتّضح من العدد ١٧ أنّ المعمودية بنار هي معمودية الدينونة، حيث يُشبّه الرب بمذرّي الحنطة، إذ عندما يذرّي الحنطة في الهواء يقع التبن على الجوانب، فيُجمَع ومن ثم يُحرق.

عندما كان يوحنا يتكلّم إلى جمع من المؤمنين وغير المؤمنين، أتى على ذكر معمودية الروح القدس ومعمودية النار (مت٣: ١١ وهُنا). ولكن عندما كان يتكلّم إلى مؤمنين فقط (مر١: ٥)، لم يأتِ على ذكر معمودية النار (مر١: ٨). وذلك لأن المؤمن الحقيقي لن يجتاز بمعمودية النار البتّة.

٣: ١٨-٢٠ في هذا الوقت، يُعِدُّ لوقا عدّته لكي يحوّل الأضواء عن يوحنا إلى الرب يسوع. لذلك فإنه يلخّص في هذه الأعداد ما تبقّى من خدمة يوحنا لينقلنا على الأثر إلى حبس يوحنا على يد **هيرودس**. علمًا أن يوحنا قد أُلقي فعليًّا في السجن بعد نحو ثمانية عشر شهرًا. أمّا هيرودس فقد **توبّخ** من يوحنا لأنه زنى بامرأة أخيه. وهكذا وصلت شرور هيرودس إلى ذروتها حين **حبس يوحنا في السجن**.

ب. *الإعداد بالمعمودية* (٣: ٢١، ٢٢)

وإذ خبا نجم يوحنا تألّق نجم الرب يسوع. لقد ابتدأ الربُّ يسوع خدمته العلنيّة حين كان في نحو سن الثلاثين، وقد بدأها **بالمعمودية** في نهر الأردن.

ثمة نقاط هامة حول هذه المعمودية:

١- كان الأقانيم الثلاثة في المكان: يسوع (ع٢١)؛ الروح القدس (ع٢٢أ)؛ الآب (ع٢٢ب).

٢- لوقا وحده يذكر أن يسوع **كان يصلّي** إبّان معموديته (ع٢١) وهذا الأمر يتفق مع هدف لوقا الذي يقدّم المسيح بوصفه ابن الإنسان، متّكلاً دائمًا على الله الآب. هذا وإنّ حياة الصلاة لدى الربّ هي الموضوع الرئيسي في

هذا الإنجيل. فلقد صلّى هنا في مستهلّ خدمته العلنيّة، وصلّى أيضًا حين ذاع صيته وصارت الجموع تتبعه (٥: ١٦). كذلك أمضى الليل كلّه في الصلاة قُبَيل اختيار تلاميذه الاثني عشر (٦: ١٢). كما صلّى في غمرة خدمته التعليمية قبل حدث قيصرية فيلبّس (٩: ١٨). وصلّى أيضًا على جبل التجلّي (٩: ٢٨). وصلّى أمام تلاميذه، الأمر الذي استدعى البحث حول موضوع الصلاة (١١: ١). ولقد صلّى أيضًا من أجل بطرس الفاتر (٢٢: ٣٢). وصلّى كذلك في بستان جثسيماني (٢٢: ٤١، ٤٤).

٣- كانت معمودية يسوع واحدة من المناسبات الثلاث التي فيها تكلّم الله من السماء بشأن خدمة ابنه الحبيب. فعلى مدى ثلاثين سنة كانت عينا الله مراقبتين الحياة الكاملة بالناصرة، ثم أتى تقريره تعالى يقول: «**بك سُررت**». بعد هذا الحدث تكلّم الآب علانية مرّتين من السماء: الأولى كانت على جبل التجلّي حين اقترح بطرس أن يصنع ثلاث مظال (لو٩: ٣٥). والثانية حين جاء أناس يونانيون يطلبون أن يروا يسوع (يو١٢: ٢٨).

ج. *الإعداد بالمشاركة في الناسوت* (٣: ٢٣-٢٨)

قبل أن يتناول لوقا موضوع خدمة الرب العلنيّة، جعل يتكلّم عن نسب يسوع. فإذا كان يسوع حقًّا إنسانًا، ينبغي أن يتحدّر من سلالة آدم، وهذا ما تُثبته سلسلةُ النسب؛ علمًا أنّ هذه السلسلة تمرُّ عبر سلالة مريم، كما هو مُعتقَد عمومًا. وعليه، يُرى أن العدد ٢٣ لم يذكر أن يسوع هو ابن يوسف، بل يقول «**على كان يُظنّ ابن يوسف**». فإذا صحّ هذا الاعتبار، يكون هالي حما يوسف وبالتالي أبا مريم.

يعتبر العلماء أن هذه القائمة هي سلسلة نسب الربّ يسوع من خلال نسل مريم، وذلك للأسباب التالية:

١- السبب الأوضح هو أن سلالة عائلة يوسف قد تمّ تتبّعها في إنجيل متى ١: ٢-١٦.

٢- إن الأصحاحات الأولى من إنجيل لوقا تُبرز مريم أكثر من يوسف، فيما إنجيل متى يُوجّه الضوء أكثر إلى يوسف.

٣- قلّما تُستخدم أسماء النسوة في الأنساب بين أوساط اليهود، الأمر الذي يسوّغ حذف اسم مريم.

٤- ورد في متى ١: ١٦ جليًّا أنّ يعقوب ولّدَ يوسف، أما هنا في لوقا لم يذكر الوحي أن هالي وَلّدَ يوسف، بل قال إن يوسف هو ابن هالي، والكلمة "ابن" قد تعني الصهر (زوج الابنة).

٥- لقد سبقت "أل" التعريف في اللغة الأصليّة جميع الأسماء إلاّ اسمًا واحدًا، هو اسم يوسف، ممّا يُثبت بكلّ وضوح أنّ اسم يوسف قد ورد فقط لأنه خطيب مريم.

ومع أن تقصّي سلسلة النسب بالتفصيل ليس بالأمر الضروري، فثمة نقاط يجدر التوقّف عندها:

١- تُبيّن هذه القائمة أنّ مريم تحدّرت من نسل داود، من ذريّة ناثان ابنه (ع٣١). ويُثبت إنجيل متى أنّ يسوع ورث شرعًا مُلك داود من خلال سليمان. وبما أن يسوع هو ابن يوسف شرعيًّا، فالربّ قد تمّم عهد الله مع داود، العهد القائل إنّ مُلكه يكون إلى الأبد. ولكن لا يمكن أن يكون يسوع هو الابن الحقيقي ليوسف من دون أن تلحقه لعنة الله

التي وقعت على كُنياهو، تلك اللعنة القائلة إنه لا ينجح أحد من نسل ذلك الملك الشرير (إر٢٢: ٣٠). ولكن، بما أن يسوع هو ابن مريم حقًّا، فقد تمّم ذلك الجزء من عهد الله مع داود الذي وعده بأنّ ذريته ستملك على عرشه إلى الأبد. إذًا، كون يسوع قد تحدّر من نسل داود ومن ذريّة ناثان، فإن لعنة الله على كُنياهو لا تلحقه.

٢- يوصَف آدم هنا بأنه ابن الله (ع٣٨)، وهذا يعني ببساطة أن الله خلقه.

٣- يتّضح أن الذريّة المسيّانية انتهت بالرب يسوع، موصدةً الباب أمام كلّ شخصٍ آخر قد تسوّل له نفسه حقّ المطالبة بعرش داود.

د. *الإعداد بالتجارب* (٤: ١-١٣)

٤: ١ **لا شك أن الرب يسوع كان دائمًا ممتلئًا من الروح القدس، ولكن ثمة أضواء على هذه الحقيقية هنا لارتباطها بتجاربه.** أن يكون ممتلئًا من الروح القدس يعني التسليم الكامل له، والطاعة الكاملة لكلمة الله. فالإنسان الممتلئ من الروح يُفرّغ من كل خطيّة يعرفها، ومن الذات، وتسكن فيه كلمة الله بغنى. وإذ **رجع يسوع من الأردن** حيث اعتمد، **كان يُقتاد بالروح في البرية**، على الأرجح برية اليهودية المحاذية للشاطئ الغربي من البحر الميت.

٤: ٢، ٣ هناك كان **يُجرّب أربعين يومًا من إبليس، أيامًا لم يأكل ربُّنا فيها شيئًا**. وفي نهاية الأربعين يومًا جاءت التجربة المثلثة الجوانب والتي نعرفها نحن حقّ المعرفة. وهذه التجربة المثلثة قد تمّت في أماكن ثلاثة: في البرية، وعلى الجبل، وعلى جناح الهيكل بأورشليم. إن الفعل «**جاع**» إنما يصف حقيقة ناسوت المسيح، وقد كان هو هدف التجربة الأولى. لقد اقترح عليه الشيطان أن يستخدم قدرته الإلهية ليشبع جوعه الجسدي. وحيلة التجربة هي أن هذا العمل بحد ذاته لا ينطوي على تعدٍّ بل هو مشروع تمامًا، لكن الخطأ كان قد وقع لو أطاع يسوع أمر الشيطان، إذ حريٌّ به أن يعمل حسب مشيئة الآب.

٤: ٤ **لقد قاوم يسوع التجربة بالمكتوب**، مستشهدًا بتثنية ٨: ٣، إذ إن المهم ليس إشباع الشهوة الجسدية، بل إطاعة كلمة الله؛ وهكذا فضّ الموضوع من دون جدل. يقول داربي *Darby*: إن آيةً كتابيّة واحدة قادرة على الإفحام إذا ما قيلت بقوة الروح؛ وسرّ القوة في أي نزاع يكمن في استخدام كلمة الله بالأسلوب الصحيح.

٤: ٥-٧ **في التجربة الثانية جاء إبليس إلى يسوع وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان**. فالشيطان لا يحتاج إلى وقت طويل لكي يُري كلّ ما عنده. وما أراه لم يكن العالم بحد ذاته بل **ممالك العالم**. ويُستشف من ذلك أنّ للشيطان **سلطانًا** على **ممالك** هذا العالم. فمن جرّاء خطية الإنسان أمسى الشيطان «رئيس هذا العالم» (يو١٢: ٣١؛ ١٤: ٣٠)؛ و«إله هذا الدهر» (٢كو٤: ٤)؛ و«رئيس سلطان الهواء» (أف٢: ٢). لقد قصد الله أن تصير «ممالك هذا العالم» يومًا ما «ممالك لربّنا ومسيحه» (رؤ١١: ١٥). وهكذا نجد أنّ الشيطان يقدّم للمسيح ما سيكون مِلكه على أية حال.

لكنّ الطريق إلى العرش لا تُختصر، إذ لا بدّ للصليب أن يأتي أولاً. ففي فكر الله، ينبغي للمسيح أن يتألم قبل أن يدخل مجده، ولا يُعقَل أن يصل إلى غاية محقّة بوسيلة خاطئة؛ وهكذا لا يمكن البتة السجود لإبليس مهما علا شأن المجازاة.

٤: ٨ إذًا، استشهد الربّ بتثنية ٦: ١٣ مبيّنًا أنه، من حيث هو إنسان، ينبغي له أن يسجد لله ويعبده.

٤: ٩-١١ وفي التجربة الثالثة، جاء الشيطان بيسوع إلى أورشليم، إلى جناح الهيكل واقترح عليه أن يطرح نفسه إلى أسفل. أوَلَم يعد الله في المزمور ٩١: ١١، ١٢ بأنه يحفظ المسيّا؟ ربما كان الشيطان يجرّب يسوع لكي يُظهر نفسه أنّه المسيح باستعراض باهر أخّاذ يسلب الألباب. لقد تنبّأ ملاخي بأن المسيّا يأتي بغتةً إلى هيكله (ملا٣: ١). وها الفرصة الآن سانحة لكي يستحوذ يسوع على الشهرة والجاه بوصفه المخلّص الموعود به، مختصرًا الطريق بغير الجلجثة.

٤: ١٢ وثالثَ مرة يقاوم يسوع التجربة مستشهدًا بكلمة الله، إذ يحذّر الوحي في تثنية ٦: ١٦ من أن يجرّب الإنسانُ الله.

٤: ١٣ وإذ صُدّ إبليس بسيف الروح، فارق يسوع إلى حين. والتجارب تأتي عادةً متناوبةً لا متصلّة.

ثمة مزيد من الفكر بشأن التجارب، لا بد من التوقّف عنده:

١ـ هناك اختلاف بين إنجيلي لوقا ومتى من حيث ترتيب التجربتين الثانية والثالثة، وليس من سبب واضح.

٢ـ كانت الغاية مُرضية في الحالات الثلاث، لكنّ الأسلوب لبلوغ الغاية كان خاطئًا، لأنّ إطاعة الشيطان هي دائمًا خطأ فادح، كذلك التعبّد له أو لأيّ مخلوق آخر. كما أنه خطأ أيضًا أن يجرّب أحد الله.

٣ـ التجربة الأولى مرتبطة بالجسد، والثانية بالنفس والثالثة بالروح. فالأولى تروق شهوة الجسد، والثانية شهوة العيون، والثالثة تعظّم المعيشة.

٤ـ التجارب الثلاث تتناول أقوى الميول البشرية وأشدّها: الشهوة الجسدية، الرغبة في حيازة النفوذ والمال، الرغبة في نوال العظمة والجاه؛ فكم من مرة يُغوى المؤمن بأن يختار رغد العيش ويحظى بمقام رفيع في العالم وبخدمة مرموقة في الكنيسة.

٥ـ لقد استخدم الشيطان لغة روحية في التجارب الثلاث، مُلبسًا تجاربه ثوبًا لائقًا. وفوق هذا كلّه، استشهد بالمكتوب (١٠، ١١).

يقول جَيمس ستيوارت *James Stewart* في هذا السياق:

> إن دراسة خَبَر التجربة تلقي ضوءًا على نقطتين هامتين. فمن جهة تبرهن على أن التجربة ليست بالضرورة خطية. ومن جهة أخرى ألمعت قولاً قاله تلميذ لاحق: «لأنه في ما هو قد تألّم مجرّبًا، يقدر أن يعين المجرّبين (عب٢: ١٨).

ويُقال أحيانًا إنه لا معنى للتجربة ما دام يسوع لا يمكن أن يخطئ. والواقع أن الربّ يسوع هو الله، والله لا يستطيع أن يخطئ. والرب يسوع لم يتخلّ قط عن أية سجية من سجايا اللاهوت. صحيح أن لاهوته كان تحت برقع إبّان حياته على الأرض، ولكن لم ينفصل عنه قط ولا يمكن أن ينفصل. وزعم بعضهم أنه بوصفه إلهًا لا يمكن أن يخطئ، ولكن كإنسان قد يخطئ. ولكن مع أنه إله وإنسان في آن، فلا يُعقل أن يخطئ. وليس الهدف من التجربة لكي نرى هل يخطئ أم لا، بل ليتأكد لنا أنه لا يستطيع أن يخطئ. ففادينا لا يُعقل أن يكون إلا قدوسًا بلا خطية.

هـ. الإعداد بالتعليم (٤: ١٤ - ٣٠)

٤: ١٤، ١٥ بين العددين ١٣، ١٤ فترة زمنية تناهز السنة، كان الرب في أثنائها يعلّم في اليهودية. أما أحداث هذه الفترة فقد وردت تفاصيلها في يوحنا ٢ - ٥.

عندما رجع **يسوع بقوة الروح القدس إلى الجليل** ليبدأ سنته الثانية في الخدمة العلنية، ذاع صيته **في جميع الكورة المحيطة**. وإذ كان **يعلّم في مجامع اليهود**، كان معروفًا لدى الجميع.

٤: ١٦ - ٢١ في **الناصرة** حيث كان قد تربى يسوع، **دخل المجمع حسب عادته يوم السبت**. ثمة أمران آخران كان الرب يسوع يقوم بهما على سبيل العادة: كان يصلّي كعادته (لو ٢٢: ٣٩)، وكان يعلّم الآخرين كعادته (مر ١٠: ١). وذات مرة **دخل المجمع وقام ليقرأ** من العهد القديم. وإذ دُفع إليه دَرج مكتوب فيه نبوّة اشعياء، فتح الرب الدرج إلى ما يُعرف اليوم بالأصحاح ٦١ من سفر اشعياء، وجعل يقرأ العدد الأول ونصف العدد الثاني — كلمات تصف خدمة المسيّا. وعندما قال يسوع: «**اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم**»، كان يقصد بكلّ وضوح أنه هو المسيّا المُرسَل إلى الأمّة.

وإنه لأمر هام أن تشمل خدمة المسيّا حقائق عظمى. لقد أتى ليعالج المشاكل الكبرى التي طالما أثقلت كاهل البشرية عبر التاريخ:

الفقر؛ **لأبشّر المساكين**.

الحزن؛ **لأشفي المنكسري القلوب**.

العبودية؛ **لأنادي للمأسورين بالإطلاق**.

الآلام؛ **وللعمي بالبصر**.

الظلم؛ **أرسل المنسحقين في الحرية**.

باختصار، لقد أتى يسوع **ليكرز بسنة الرب المقبولة**، باقتراب حقبة جديدة لشعوب هذا العالم الحزينة. لقد قدّم نفسه حلاً لكلّ ما يؤلمنا؛ وهذا حق، لأنه سواء كانت المشاكل جسدية أو روحية، فالمسيح هو الحلّ.

والجدير ذكره أن الرب توقّف عن القراءة عند هذه الكلمات: «**واكرز بسنة الرب المقبولة**»، ولم يكمل قراءة الكلمات اللاحقة، حيث مكتوب: «وبيوم انتقام لإلهنا». ذلك لأن مجيئه الأول كان ليكرز **بالسنة المقبولة للرب**. وعصر النعمة الحالي هو الوقت المقبول ويوم الخلاص. ولكن عندما يأتي إلى الأرض ثانية، يكون آنئذ يوم انتقام للرب. ولنلاحظ أن الوقت **المقبول** يُذكر أنه **سنة**، فيما وقت الانتقام **يوم**.

٤: ٢٢ يتّضح من هذا العدد أن الشعب كانوا متأثرين، وهكذا امتدحوه إذ راقتهم **كلمات النعمة** الخارجة من فمه. ولكن من جهة أخرى تعجّبوا كيف أن **ابن يوسف** النجّار قد وصل إلى هذا المستوى.

٤: ٢٣ لقد كان الرب على علم بأنّ تقديرهم كان ضحلاً، إذ لا يكنّون له الاعتبار الذي تستحقه هويّته الحقيقية. لقد كان بنظرهم واحدًا من أبناء البلدة، قام بأعمال حسنة في كفرناحوم. كان يتوقع أن يقولوا له: «**أيها الطبيب اشفِ نفسك**». وهذا المثل يعني: "إحسانك للغير ليكن لنفسك أولاً؛ ففي حين تزعم أنك تشفي الآخرين، اشفِ نفسك". لكن المعنى هنا يختلف قليلاً، إذ يتّضح ذلك من الكلمات اللاحقة: «**ما سمعنا أنه جرى في كفرناحوم، فافعل ذلك هنا أيضًا في وطنك**»، أي في الناصرة. إنه لتحدٍّ لا يخلو من التهكّم، أن يصنع معجزات في الناصرة كما صنع في أمكنة أخرى، وهكذا ينقذ نفسه من السخرية.

٤: ٢٤-٢٧ وكان جواب الرب بتقرير مبدإ متأصّل عند البشر: عظماء الرجال لا يُقدَّرون في أوطانهم. ثم أتى بمثلين من العهد القديم، لم يقدّر فيهما بنو إسرائيل نبيّين، وهكذا أرسلهما الله إلى الأمم. فعندما كان جوع عظيم في إسرائيل، لم يُرسل إيليا إلى أرامل اليهود، مع أنهنّ كنّ كثيرات، بل أُرسل إلى أرملة أممية من صرفة صيدا. ومع أنه كان برص كثيرون في إسرائيل إبّان خدمة أليشع النبي، فلم يُرسل إلى واحد منهم، بل أُرسل إلى نعمان الأممي، رئيس جند آرام. لا شك أنه كان لكلمات يسوع تأثير في نفوس اليهود، إذ إن النساء والأمم والبرص يُعَدُّون دون المستوى في المجتمع اليهودي، أما الربّ فقد جعلهم أعلى من اليهود غير المؤمنين. كان يقول لهم إن تاريخ العهد القديم إنما يُعيد نفسه، لأنه على الرغم من معجزاته فلن تقبله الناصرة، وليس فقط الناصرة بل أمة بني إسرائيل قاطبة. وإذ ذاك يتّجه إلى الأمم على غرار إيليا وأليشع.

٤: ٢٨ لقد فهم أبناء الناصرة بالضبط ما كان يعنيه الرب، ولذا حنقوا لعلمهم أنه جعل للأمم نصيبًا. يقول الأسقف رايل *Ryle* في هذا الصدد: "الإنسان يكره العقيدة القائلة بسيادة الله، هذه العقيدة التي أعلنها المسيح. فالله غير ملزَم أن يصنع معجزات في ما بينهم".

٤: ٢٩، ٣٠ فقام الشعب وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل مزمعين أن يطرحوه إلى أسفل. لا شك أن الشيطان كان وراء هذا العمل، في محاولة جديدة لضرب الوريث الملوكي. لكن يسوع وبطريقة معجزية جاز في وسط الشعب مغادرًا المدينة؛ وأمّا الحانقون عليه فما كان لهم حول ولا قوة على إمساكه. ويبدو أنه لم يرجع قط إلى الناصرة.

٤ - ابن الإنسان يُظهر قدرته (أص٤: ٣١- ٥: ٣٦)

أ. القدرة على الروح النجس (٤: ٣١-٣٧)

٤: ٣١-٣٤ خسارة الناصرة كانت ربحًا لكفرناحوم. فقد لاحظ أهل هذه المدينة أن تعليم الرب يسوع كان بسلطان، وكلامه كان مبكّتًا ومؤثّرًا. في الأعداد ٣١-٤١ وصف ليوم سبتٍ مميّز في حياة الرب. فقد عرف الشعب أن له سلطانًا على الأرواح النجسة والأمراض. فعندما ذهب إلى المجمع التقى رجلاً به روح نجس. وهذه الصفة «نجس» تتّصف بها غالبًا الأرواح الشريرة، حيث تعني أن الأرواح نفسها غير طاهرة، وتُنتج إذ ذاك نجاسة في حيوات ضحاياها. إن حقيقة سيطرة الروح النجس على حياة الإنسان هي ظاهرة في هذا النص. أولاً، ثمة صرخة تنمّ عن الرعب: «آه ما لنا ولك». ثانيًا، إنّ الروح النجس على معرفة تامة بيسوع بوصفه قدوس الله الذي سوف يسحق، أخيرًا، أجناد الشيطان.

٤: ٣٥ يُصدر يسوع أمرًا للروح النجس للقيام بعملين: «اخرس، واخرج منه». فخرج الروح النجس من الرجل بعد أن طرحه أرضًا، من غير أذى.

٤: ٣٦، ٣٧ اندهش الشعب؛ فإن كلمات الربّ يسوع كانت مميّزة إذ إن الأرواح النجسة كانت تطيعه. إنه يتكلّم بسلطان لا محدود وبقوة عظيمة؛ ولا غرابة في ذلك، فإن صيته قد ذاع في الكورة المحيطة.

إن جميع المعجزات الحسّية التي صنعها يسوع تشبه تلك التي يصنعها في عالم الروح. فعلى سبيل المثل، إن المعجزات التالية التي وردت في إنجيل لوقا تمدّنا بدروس روحية على الوجه الآتي:

المعجزة	الدروس
إخراج الأرواح النجسة (٤: ٣١- ٣٧)	الخلاص من أدران الخطية وأدناسها.
شفاء حماة بطرس من الحمى (٤: ٣٨، ٣٩)	الإراحة من التعب والضعف، نتاج الخطية.
شفاء الأبرص (٥: ١٢- ١٦)	ردّ النفس عن قذارة الخطية ومعاناتها (راجع أيضًا ١٧: ١١- ١٩).
شفاء المفلوج (٥: ١٧- ٢٦)	الإنقاذ من الشلل الذي تسبّبه الخطية، ومنح القوة لخدمة الله.
إقامة ابن الأرملة من الموت (٧: ١١- ١٧)	الخطاة هم أموات بالذنوب والخطايا ويحتاجون إلى الحياة (راجع أيضًا ٨: ٤٩- ٥٦).
تهدئة الريح (٨: ٢٢- ٢٥)	المسيح يقدر أن يهدّئ أية ريح قد تعصف بحيوات تلاميذه.
شفاء الذي كان فيه شياطين كثيرة؛ لجئون (٨: ٢٦- ٣٩)	الخطية تُنتج عنفًا ومشًا من الجنون وتفصل الإنسان عن المجتمع المتحضّر. أما الرب فيؤتي حياةً لائقة وعقلاً راجحًا وشركة حميمة معه.
شفاء المرأة النازفة الدم التي لمست هدب ثوبه (٨: ٤٣- ٤٨)	الفقر واليأس نتاج الخطية.
إشباع الخمسة آلاف (٩: ١٠- ١٧)	عالم خاطئ جائع إلى خبز الحياة الذي يهبه الله، والمسيح يسدّ هذه الحاجة من خلال تلاميذه.
شفاء الابن الذي به شيطان (٩: ٣٧- ٤٣أ)	قسوة الخطية وفظاظتها، وقدرة المسيح على الشفاء.
شفاء المرأة التي بها روح ضعف (١٣: ١٠- ١٧)	الخطية تشوّه وتشلّ، أما لمسة يسوع فتشفي وتُرجع الأمور إلى نصابها.
شفاء المستسقي (١٤: ١- ٦)	الخطية تُنتج قلقًا وحزنًا وخطرًا.
شفاء الأعمى المستعطي (١٨: ٣٥-٤٣)	الخطية تعمي الإنسان عن الحقائق الأبدية، أما الولادة الجديدة فتُفضي إلى أعين بصيرة.

ب. القدرة على الحمى (٤: ٣٨، ٣٩)

ثم دخل يسوع بيت سمعان، حيث كانت حماة سمعان تعاني حمّى شديدة. وما إن انتهر الرب الحمّى حتى تركتها في الحال. ولم يكن شفاء فوريًّا فحسب، بل أيضًا كاملاً، إذ استطاعت أن تنهض وتخدم أهل البيت. عندما يُشفى مريض من حمّى شديدة يبقى عادة فترة من الزمن ضعيفًا وقليل الحراك. (مناصرو عزوبة الكهنة لا يروقهم هذا النص، إذ إن بطرس كان متزوّجًا).

ج. القدرة على الأمراض والشياطين (٤: ٤٠، ٤١)

٤٠ وإذ قارب يوم السبت نهايته، وتحرّر الناس من حظر العمل، قدّم الناس إلى الرب يسوع سقماء بأمراض مختلفة ومَن بهم شياطين. ولم يرجع واحد من بين هؤلاء خائبًا، لأن الرب يسوع شفى جميع المرضى، وأخرج كلّ روح نجس. كثيرون ممّن يدّعون الشفاء بالإيمان هذه الأيام، يحصرون معجزاتهم بالمختارين فقط من المتقدّمين للشفاء؛ أما يسوع فقد شفى الجميع.

٤١ إن الشياطين الذين خرجوا من الناس عرفوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، لكنّه هو لم يقبل شهادتهم، هكذا انتهرهم. لقد عرفوه أنه المسيّا، لكن لدى الله وسائل أفضل لإعلان هذه الحقيقة.

د. القدرة من خلال البشارة الجوّالة (٤: ٤٢-٤٤)

في اليوم التالي خرج يسوع إلى موضع خلاء على مقربة من كفرناحوم. أما جموع الشعب فقد **فتّشوا عنه** حتى وجدوه، فألحّوا عليه لكي يمكث عندهم، لكنه **قال لهم إنه ينبغي أن أبشّر المدن الأخر... في الجليل**. وهكذا ذهب من مجمع إلى مجمع يكرز ببشارة محوّرها **ملكوت الله**، حيث يسوع نفسه هو الملك ويريد أن يملك عليهم، إنما بعد أن يتوبوا. فالمسيح لا يملك على أناس متمسّكين بخطاياهم، إذ في ذلك عقبة. إنّما كان هدفهم أن يخلصوا من المشاكل السياسية لا من خطاياهم.

هـ. القدرة من خلال تدريب الآخرين: دعوة التلاميذ (٥: ١-١١)

ثمة دروس عدة نستخلصها من النص حول دعوة بطرس.

١- لقد استخدم الرب **سفينة** بطرس منبرًا ليعلّم الجموع المحتشدة. ونحن إن سلّمنا للرب كلّ ما نملك، فهو يستخدمه بطريقة عجيبة، ولنا نحن المجازاة منه.

٢- لقد دلّ الربّ بطرس على مكان توافر السمك، ولا سيما أن بطرس وصحبه تعبوا **الليل كلّه** بلا جدوى. فالربّ الكليّ المعرفة يعلم مكان السمك، والخدمة عقيمة ما دامت تسير بحكمتنا وقوّتنا. إن سرّ نجاح العمل المسيحي يكمن في إرشاد الرب.

٣- ومع أن بطرس صيّاد سمك ذو خبرة، فقد قبِل النصيحة من نجّار، وكانت النتيجة شباكًا ملأى. «**على كلمتك ألقي الشبكة**»، هو جواب من شأنه أن يدلّ على أهمية التواضع وقابلية التعلّم والطاعة المُطلَقة.

٤- **في العمق** تخرّقت الشّباك من كثرة الأسماك. ولذا فلنترك الشاطئ ونعتلِ الأمواج بكل رغبة وتسليم. فللإيمان مياه عميقة وهكذا أيضًا للآلام والأحزان والخسائر. هذه الأمور تملأ الشباك أثمارًا.

٥- **شبكتهم** صارت تتخرّق، والسفينتان **أخذتا في الغرق** (ع٦، ٧). إن الخدمة التي يوجّهها الربُّ يسوع تُسفِر عن مشاكل، ولكن ما أجملَ مشاكلَ مثل هذه. إنها المشاكل التي تؤتي قلبَ الصيّاد الحقيقي بهجةً وفرحًا.

٦- إنّ رؤية مجد الربّ يسوع هذه أنشأت في نفس بطرس شعورًا بالعجز والتقصير، كما أنشأت من قبلُ في نفس إشعياء (٦: ٥)، وكما تنشئ في كلّ من يرى الملك في بهائه.

٧- بينما كان بطرس منهمكًا في عمله اليومي، دعاه الرب ليكون صيّاد **الناس**. وهكذا أنت، فبينما تنتظر إرشادًا، اعمل ما في وسعك أن تعمل وبكلّ نشاط ومن كلّ القلب كما للرب. فكما أن الدفّة تُدير السفينة إبّان الإبحار، هكذا يقود الله الإنسان إبّان العمل.

٨- لقد دعا المسيح بطرس من اصطياد السمك إلى اصطياد الناس، أو بكلمة أدقّ: "أخذ الناس أحياء". وما هي أهمية جميع أسماك المحيط بالمقارنة بامتياز اقتياد نفس واحدة إلى المسيح والحياة الأبدية؟

٩- عندما أرسى بطرس **ويعقوب ويوحنا** السفينتين، **تركوا كلّ شيء** وتبعوا الربّ يسوع في أنجح يوم من أيام عملهم. وكم كان قرارهم على قدرٍ عالٍ من الأهمية، إذ لو لم يتخذوه لبقوا صيّادي سمك، ولكُنّا ما سمعنا بهم قط.

و. القدرة على تطهير البرص (٥: ١٢-١٦)

٥: ١٢ يصف الطبيب لوقا الرجل بأنه مملوء برصًا، ممّا يدلّ على أن حالته مستعصية بالمنظار البشري. لقد كان إيمان الأبرص إيمانًا مميّزا، إذ قال: «تقدر أن تطهّرني». وهذه الكلمات لن يقولها لأي إنسان آخر في الكون، لأنه كان على ثقة كاملة بقدرة الربّ. أمّا انه قال: «إن أردت» فهذا لا يعني أنه كان يشكّ في إرادة المسيح، بل يعني أنه أتى متضرّعًا إذ لا حقّ له بالشفاء، منطرحًا على مراحم الربّ ونعمته.

٥: ١٣ إنّ لمس الأبرص خطر من الوجهة الطبّية، ودنس من الوجهة الدينية، ومُذل من الوجهة الاجتماعية. بيد أن الرب لا يعلق به البرص، بل إن فيضًا من القوة الشافية سرت في جسد الأبرص، لأن الشفاء لم يكن تدريجيًّا، بل إنّما للوقت ذهب عنه البرص. ولا بد أنه كان لذلك الشفاء السريع والكامل تأثير بالغ في نفس ذلك الأبرص اليائس البائس.

٥: ١٤ لقد أوصى يسوع الأبرص أن لا يقول لأحد عن شفائه، لأن المخلّص لا يريد أن يجمع حوله جمعًا من المتطفّلين، أو جمهورًا ينصّبونه ملكًا، بل أمره: «امضِ وأرِ نفسك للكاهن، وقدّم... كما أمر موسى» (لا ١٤: ٤). فالكلام بشأن التقدمة هو كلام عن المسيح. أما دور الكاهن فهو أن يتفحّص الأبرص ويقرر هل شُفي حقًّا. فالكاهن لا يستطيع أن يشفي، لكنه يستطيع أن يعلن أن الشفاء قد تمّ. لم يرَ هذا الكاهن قط أبرص قد طَهُرَ، فإن المشهد بنظره مشهد عجيب فريد، لذا فلا بدّ أن المسيّا قد ظهر. لقد كانت حادثة الشفاء هذه، ولا شك، شهادةً لجميع الكهنة، لكنّ قلّة الإيمان قد أعمت قلوبهم.

٥: ١٥، ١٦ وعلى الرغم من وصية الرب بعدم التكلّم عن المعجزة، فإن الخبر قد ذاع واجتمع جموع كثيرة حوله لكي يشفوا. أما الربّ يسوع فكان يعتزل في البراري لكي يصلّي. إن ربّنا ومخلّصنا رجل صلاة؛ وبما أنّ هذا الإنجيل يقدّمه بوصفه ابن الإنسان، فمن المناسب أن يبسط حياة الصلاة لديه أكثر من أي موضوع آخر.

ز. القدرة على شفاء الفالج (٥: ١٧-٢٦)

٥: ١٧ وإذ ذاع صيت أعمال الربّ يسوع، طفق الفرّيسيّون ومعلّمو الناموس يحقدون عليه أكثر فأكثر. فها هم يلتئمون في الجليل لعلّهم يجدون علّة يلصقونها به. وكانت قوة الرب لشفاء المرضى. في الواقع أنّ قوة الرب يسوع على الشفاء لم تتوقّف مرة، لكنّ ثمة أوضاعًا ليست مؤاتية دائمًا. ففي الناصرة، مثلاً، لم يصنع معجزات كثيرةً لعدم إيمان الناس (مت١٣: ٥٨).

٥: ١٨، ١٩ جاء أربعة رجال يحملون مفلوجًا على فراش إلى البيت حيث كان يسوع يعلّم. ولمّا لم يجدوا مدخلاً لسبب الجمع، دَرّجوا إلى السطح، ومن ثمّ دلّوه بعد أن نقبوا فتحةً بين الأجرّ.

٥: ٢٠، ٢١ بالطبع عاين يسوع مقدار الإيمان الذي تجاوز العقبات لكي يصل إليه؛ فلما رأى إيمانهم — أي إيمان الخمسة: الحاملين والمحمول — قال للمفلوج: «أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك». وكان من شأن هذه العبارة أن تغيظ الكتبة والفرّيسيّين، لأنهم يعلمون علم اليقين أنّ الله وحده يستطيع أن يغفر الخطايا. وإذ رفضوا أن يقرّوا بأن يسوع هو الله، أطلقوا لألسنتهم العنان قائلين: هذا تجديف.

٥: ٢٢، ٢٣ وجعل الرب يبيّن لهم أنه بالحقيقة قد غفر خطايا هذا الإنسان. سألهم، أولاً، أيّما أيسر أن يقال: «**مغفورة لك خطاياك**» أم أن يقال: «**قم وامشِ**»؟ إن مجرّد التفوّه بالعبارة الواحدة أو بالأخرى لا يشكّل أيّ فرق، ولكن الفرق الشاسع هو في العمل، لأن العملين كليهما مستحيلان على القدرة البشرية. إن الفكرة هنا، على ما يبدو، هي أنه أيسر أن يقال: «مغفورة لك خطاياك»، إذ في هذه الحال لن يُعرف هل غُفرت الخطايا أم لا. أمّا أن يقال: «قم وامشِ» فهذا أيسر، لأنه يسهل أن يُرى هل شُفي المفلوج.

لم يستطع الفريسيون أن يروا أن خطايا هذا الإنسان قد غُفرت، وهكذا لم يؤمنوا. لذلك صنع يسوع معجزة يستطيعون أن يروها، ليبيّن لهم أنه بالحقيقة قد غفر خطايا الرجل. لقد منح المفلوج القدرة على المشي.

٥: ٢٤ إن لقب الرب ابن الإنسان الذي ورد في هذا العدد: «**ولكن لكي تعلموا أنّ لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا**»، لهوَ دليل واضح على أنّ الرب هو إنسان كامل. فمن جهة، جميعنا أبناء الإنسان ولكن هذه التسمية «ابن الإنسان» تفرز يسوع عن أي إنسان آخر. من شأنها أن تصفه إنسانًا بالنسبة إلى الله، إذ يغدو الإنسان الكامل خُلُقيًّا؛ الإنسان الذي سيتألم ويسفك دمه ويموت؛ الإنسان الذي دُفع إليه كلّ سلطان ورئاسة.

٥: ٢٥ إطاعة لكلمة الرب، قام المفلوج وحمل فراشه وذهب إلى بيته **وهو يمجّد الله**.

٥: ٢٦ بالفعل كان الجميع في حيرة، وهكذا **مجّدوا الله** معترفين وقائلين: «**قد رأينا اليوم عجائب**»، إشارةً إلى عجيبة غفران الخطايا والعجيبة التي أثبتت ذلك.

٥. ابن الإنسان يوضح معالم خدمته (اص٥: ٢٧ - ٦: ٤٩)

أ. دعوة لاوي (٥: ٢٧، ٢٨)

كان **لاوي عشّارًا** يهوديًّا يعمل لحساب الإمبراطورية الرومانية. كان اليهود يُبغضون هذه الفئة من الناس لسببين: أولاً، لأن العشّارين يتعاملون مع الرومان؛ وثانيًا لأنهم غشّاشون في عملهم. وذات يوم وبينما كان الربُّ يسوع مارًّا التقى لاويَ يعمل فدعاه ليتبعه. وبسرعة تسترعي الأنظار، **ترك كلّ شيء وقام وتبعه**. وما أعظم النتائج التي أعقبت ذلك القرار البسيط، إذ إنّ لاوي - أي متى - صار كاتب الإنجيل الأول؛ وبذلك يكون القرار قد استوفى أجره.

ب. لماذا يدعو ابن الإنسان خطاة (٥: ٢٩-٣٢)

٥: ٢٩-٣١ يبدو أنّ في ذهن **لاوي** ثلاثة أهداف من وراء هذه **الضيافة الكبيرة**. فقد أراد أولاً أن يُكرم الربّ، وثانيًا أن يُعلن ولاءه الجديد، وثالثًا أن يُعرّف أصدقاءه بالمسيح. إنّ معظم اليهود لا يأكلون مع **العشّارين**، لكن يسوع أكل مع **العشّارين والخطاة**. بالطبع، لم يُجارِهم الرب في خطاياهم، ولا هو ساوم على شهادته، بل استغلّ هذه الفرص لكي يعلّم ويوبّخ ويبارك. لقد انتقد **كَتَبَة** الشعب **والفرّيسيّون** يسوع لأنه كان يتعامل مع هؤلاء الناس الذين هم رعاع القوم. **فأجاب يسوع وقال** إن عمله هذا يتفق تمامًا مع هدف مجيئه إلى العالم، لأنّ ذوي الصحة الجيدة لا يحتاجون إلى طبيب بل **المرضى**.

٥: ٣٢ بما أن الفريسيين يحسبون أنفسهم أبرارًا، فهم لا يشعرون بالخطية أو بالحاجة؛ وإذ ذاك لا يفيدون من عمل الطبيب الأعظم. بيد أن العشّارين والخطاة يشعرون بأنهم **خطاة** وهكذا يحتاجون إلى الخلاص من

الخطية. وفوق هذا كلّه، إلى مثل هؤلاء جاء المخلّص. هذا وإن الفريسيين لم يكونوا بالحقيقة أبرارًا، بل كانوا في حاجة إلى الخلاص كالعشّارين سواء بسواء. لكنهم إذ رفضوا الاعتراف بخطاياهم والإقرار بآثامهم، عيّروا الطبيب في ذهابه إلى المرضى.

ج. *تفسير عدم الصوم عند تلاميذ المسيح* (٥: ٣٣-٣٥)

٥: ٣٣ وفي سياق تذمّر الفريسيين على المسيح، سألوه عن عادة الصوم، قائلين إن **تلاميذ يوحنا** المعمدان قد اتّبعوا حياة معلّمهم التقشّفية؛ وكذلك تلاميذ الفريسيين راعوا مناسبات الأصوام كافّةً، ولكن تلاميذ المسيح لم يُراعوا، فلِمَ لا؟

٥: ٣٤، ٣٥ فأجابهم الربّ أن لا داعي لتلاميذه أن يصوموا ما دام هو **معهم**؛ وهكذا جعل الرب الصوم مرتبطًا بالنوح والحزن؛ ولذا حين **يُرفع عنهم**، أي بموته، فحينئذٍ **يصومون** تعبيرًا عن حزنهم.

د. *ثلاثة أمثال تشير إلى التدبير الجديد* (٥: ٣٦-٣٩)

٥: ٣٦ هنا ثلاثة أمثال من شأنها أن تكشف النقاب عن ابتداء تدبيرٍ جديد، فلا يكون مجال للتخلّط بين القديم والجديد. ففي المثل الأول يمثّل **الثوب العتيق** تدبير الناموس أو نظام الشريعة، أما الثوب الجديد فيمثّل عصر النعمة. انهما منفصلان، وكل محاولة للخلط بين الناموس والنعمة تُفسد الاثنين. فالرقعة التي أُخذت من الثوب الجديد أفسدته، والثوب **العتيق لا توافقه الرقعة**، لا من حيث المظهر ولا من حيث المتانة.

يقول داربي *Darby* في هذا الصدد: لا يحاول يسوع ربط المسيحية بالديانة اليهودية، لأن الجسد والناموس يتّفقان، أما النعمة والناموس – أي برّ الله وبرّ الإنسان – فلا يختلطان البتة.

٥: ٣٧، ٣٨ والمثل الثاني يبيّن حماقة وضع الإنسان **خمرًا جديدة في زقاق عتيقة**. هذا، لأن عملية التخمير في **الخمر الجديدة** تسبّب ضغطًا على الزقاق العتيقة التي لم تعد ليّنة لتحتمل التمدّد، وهكذا فالزقاق **تتلف** والخمر **تُهرق**. فالعادات البالية والتقاليد والطقوس في الديانة اليهودية لا يمكنها أن تحتمل أفراح الحياة الجديدة وحيويّتها وقوّتها. إنّ **الخمر الجديدة** تظهر هنا في العمل اللافت الذي قام به الرجال الأربعة حين أتوا بالمفلوج إلى يسوع. كما تظهر أيضًا في اندفاع لاوي وحماسته. أما الزقاق العتيقة فتظهر في النظم الناموسيّة العقيمة التي لدى الفريسيين.

٥: ٣٩ ويبيّن المثل الثالث أنْ **ليس أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد؛ لأنه يقول: «العتيق أطيب»**. يشير هذا الأمر إلى الميل الطبيعي عند الناس لرفض التخلّي عن القديم لأجل الجديد: عدم التخلّي عن الديانة اليهودية لأجل المسيحية، عدم التخلّي عن الناموس لأجل النعمة، عدم التخلّي عن الظل لأجل الحقيقة. وكما يقول داربي *Darby*: إنّ الإنسان الذي اعتاد الترتيبات البشرية وديانة الآباء وغيرها، لا تروقه المبادئ الجديدة التي في الملكوت وفاعلية عمله.

هـ. *ابن الإنسان هو ربّ السبت* (٦: ١-١١)

٦: ١، ٢ أمامنا هنا سرد لحادثتين تتعلقان بالسبت، وذلك لإظهار أن تصعيد مقاومة الرؤساء الدينيين ليسوع كاد يبلغ ذروته. وقد صادف وقوع الحادثة الأولى في السبت

الثاني بعد الأول، على اعتبار أن السبت الأول هو السبت الذي يلي الفصح مباشرة. **ففي السبت الثاني بعد الأول**، سار الرب مع تلاميذه بين الحقول المزروعة. **فقطف** التلاميذ بعض السنابل، **وفركوا الحبوب بأيديهم**، قبل أن أكلوها. ما كان باستطاعة الفريسيين شجب عملية قطف السنابل، ذلك لأن الناموس كان قد سمح بذلك (تث٢٣: ٢٥). إلا أنهم انتقدوا حصول ذلك **في السبت**. فأحيانًا، كان قطاف السنابل في نظرهم، بمثابة عملية حصاد، وفرك الحبوب أشبه بعملية درس.

٦: ٣-٥ والرب في معرض ردّه عليهم، استعان بحادثة من حياة داود، لإظهار أن شريعة السبت لم يقصد بها قط الحد من القيام بعمل ضروري. **فداود** ورجاله الذين كانوا مرفوضين ومطرودين، **جاعوا**. **عندئذ دخلوا بيت الله وأكلوا خبز التقدمة المخصص عادة للكهنة**. لكن الله استثنى داود في هذه القضية. فالخطية كانت متفشية في الأمّة، والملك مرفوضًا. فشريعة خبز التقدمة لم تُصمَّم للتدقيق في حفظها بالشكل الذي يجعل الملك المعيَّن من الله يتضوّر جوعًا.

وكانت قد طرأت الآن حالة مشابهة. فالمسيح وتلاميذه كانوا جياعًا. وكان موتهم جوعًا أنسب في نظر الفريسيين، من رؤيتهم يقطفون سنابل في السبت. غير أن **ابن الإنسان هو رب السبت أيضًا**. وهو الذي كان قد سنّ هذه الشريعة في بداية الأمر، حتى إنه ليس من هو أجدر منه بتفسير مغزاها الروحي وبصونها من العبث بمضمونها.

٦: ٦-٨ حادثة ثانية وقعت **في سبت آخر**، تناولت هذه المرة عملية شفاء معجزية. **فالكتبة والفريسيون راقبوا** يسوع عن قرب وبخبث، ليرَوا **هل يشفي في السبت رجلاً يده اليمنى يابسة**. كانوا يعلمون من خبرتهم السابقة، ومن معرفتهم به، أنّه سيُقدم على ذلك، ولا شك. والرب لم يخيِّب ظنّهم قطّ. **فهو دعا الرجل إلى الوقوف** في وسط جمهور المحتشدين في المجمع. وبذلك يكون قد أثار انتباه الآخرين إلى ما كان سيحصل.

٦: ٩ ثم سأل يسوع منتقديه **هل يحلّ في السبت فعل الخير أو فعل الشر**. كان عليهم حتى يجيبوا بالصواب أن يُعبِّروا أنه يصحّ فعل الخير في السبت، ولا يصحّ فعل الشر. فإن صحّ فعل الخير، فالرب بشفائه الرجل، يكون إذًا صانعًا خيرًا. وإن كان لا يجوز فعل الشر في السبت، فإنهم بمؤامرتهم على الرب لقتله ينقضون السبت.

٦: ١٠ لم يُدلِ الأضداد بأية إجابة. عندئذ طلب يسوع من الرجل أن يمدّ يده اليمنى اليابسة. (لقد انفرد الطبيب لوقا وحده بذكر اليد اليمنى). وهذا الأمر الذي أصدره الرب يسوع، رافقته القوة اللازمة. ذلك لأنه ما إن أطاع هذا الرجل، حتى **عادت يده صحيحة**.

٦: ١١ وعلى أثر ذلك، **امتلأ الكتبة والفريسيون حمقًا**. لقد أرادوا إدانة يسوع بسبب نقضه السبت. فهو نطق ببضع كلمات كانت كافية لإبراء الرجل. ولم يلزمه القيام بأي عمل شاق يتطلب مجهودًا. لذا تآمروا معًا لإلقاء القبض عليه.

و. اختيار اثني عشر تلميذًا (٦: ١٢-١٩)

٦: ١٢ قضى يسوع **الليل كلّه في الصلاة** قبل اختياره تلاميذه الاثني عشر. فكم نتوبّخ، إزاء هذا، على الدفاعنا المتهور أحيانًا، وعلى استقلاليتنا عن الله. والجدير ذكره أن لوقا هو البشير الوحيد الذي يأتي على ذكر ليلة الصلاة هذه.

٦: ١٣-١٦ التلاميذ الاثنا عشر الذين اختارهم من جملة **تلاميذ**، كانوا:

١- **سمعان الذي سمّاه أيضًا بطرس**، وهو ابن يونا، وأحد الأقطاب بين الرسل.

٢- **اندراوس أخوه**. وكان اندراوس هو الذي أحضر بطرس إلى الرب.

٣- **يعقوب** بن زبدي. وكان له امتياز اصطحاب بطرس ويوحنا إلى جبل التجلي. لقي مصرعه على يد هيرودس أغريباس الأول.

٤- **يوحنا** بن زبدي. وكان يسوع قد سمّى يعقوب ويوحنا «ابني الرعد». وكان يوحنا هذا هو الذي كتب الإنجيل مع الرسائل التي تحمل اسمه، وسفر الرؤيا.

٥- **فيلبس الذي من بيت صيدا**، والذي كان قد أحضر نثنائيل إلى يسوع. على أنه ينبغي عدم الخلط بينه وبين فيلبس المبشّر في سفر الأعمال.

٦- **برثولماوس**، الذي يُعدّ، على العموم، بمثابة اسم آخر لنثنائيل. ولا ذكر له إلا في عداد لائحة الاثني عشر.

٧- **متى العشّار**، المدعو أيضًا لاوي. وهو كاتب الإنجيل الأول.

٨- **توما**، الملقّب أيضًا بالتوأم. وهو القائل إنه لا يؤمن بحقيقة قيامة الربّ ما لم يرَ البراهين الدامغة التي تؤكد ذلك.

٩- **يعقوب بن حلفى**. لعله هو الذي كان له مركز قياديّ في الكنيسة بأورشليم بعد مقتل يعقوب بن زبدي على يد هيرودس.

١٠- **سمعان الذي يدعى الغيور**. لا يذكر لنا الوحي المقدّس الشيء الكثير عنه.

١١- **يهوذا أخو يعقوب**. يُحتمل أن يكون هو نفسه يهوذا، كاتب الرسالة، كما أن هناك إجماعًا على أنه هو نفسه لباوس الملقب تداوس (مت ١٠: ٣؛ مر٣: ١٨).

١٢- **يهوذا الاسخريوطي**، الذي يُفترض أنه كان من مدينة قريوت في يهوذا؛ الأمر الذي يجعل منه الرسول الوحيد الذي لم يكن من الجليل. هو المسؤول عن تسليم ربّنا، وقد دعاه الربُّ يسوع «ابن الهلاك».

لم يكن التلاميذ جميعهم أفذاذًا على صعيد الفكر أو المهارات. إنما كانوا بمثابة عيّنة عن البشرية جمعاء. كما أنّ سر عظمتهم كان يكمن في علاقتهم بالرب، في تكريسهم له. ويرجح أنهم كانوا شبّانًا في العشرينيّات عندما اختارهم المخلّص. ففي مرحلة الشباب، يكون الرجال مملوئين غيرة، وقابلين للتعلّم، وقادرين على تحمّل المشقات أكثر من أي وقت مضى. والمعروف أن الرب اكتفى باختيار اثني عشر تلميذًا فقط. فالنوعية كانت تهمُّه أكثر من الكمية. فلدى توافر الرجال من المستوى الرفيع المطلوب، كان باستطاعته إرسالهم، ومن ثم تبشير العالم بأسره بالاعتماد على ظاهرة التكاثر الروحي.

بعد اختيار التلاميذ، كان يلزم الآن تدريبهم على أكمل وجه في مبادئ ملكوت الله. لذا خصص البشير لوقا ما تبقى من هذا الفصل ليصف بإيجاز نوع الخلق والسلوك الذي يجب أن يظهر في حياة تلاميذ الرب يسوع.

٦: ١٧-١٩ إن الحديث التالي غير مشابه للعظة على الجبل (مت٥-٧). فأحدهما قدّمه الرب على جبل؛ أما الآخر، والذي يعنينا هنا، فقدّمه في موضع سهل. ومن جهة أخرى، احتوى الأول على بركات من دون ويلات، فيما ضمّ الثاني هذين العنصرين معًا. إلى ذلك، ثمة فروقات أخرى بينهما: بالكلام، وبطول الحديث، وبالنواحي التي تمّ التركيز عليها.

ولنلاحظ أيضًا أن جمهورًا كثيرًا من الشعب كانوا إلى جانب التلاميذ، يصغون معهم إلى هذا الحديث الجدي عن التلمذة. فالرب، على ما يبدو، كان في كل مرة تتبعه الحشود يمتحن مدى إخلاصهم، إذ يخاطبهم بكل صراحة. وكما قال أحدهم: "كان المسيح يُلقي مناشداته أولاً، وبعد هذا يغربل سامعيه".

كان **الشعب** قد توافدوا من **جميع اليهودية وأورشليم** جنوبًا، ومن **صور وصيدا**، عند الناحية الشمالية الغربية؛ وكانوا من اليهود والأمم. ومن جهة أخرى، راح المرضى والمسكونون بالأرواح الشريرة يقتربون من يسوع، لعلمهم أن **قوة** عظيمة كانت **تخرج منه** لشفائهم.

ومن الأهمية بمكان كبير التحقّق من مدى ثوروية تعاليم المخلص. ولنتذكر أنه كان في طريقه إلى الصليب. كان سيموت، ويُدفَن، ويقوم في اليوم الثالث، ومن ثم يعود إلى السماء. كان ينبغي أن تُذاع في العالم الأخبار السارة المختصة بالخلاص المجاني. ذلك لأن فداء الناس كان يتوقف على سماعهم هذه الرسالة. لكن، كيف يمكن تبشير العالم؟ إنّ قادة هذا العالم الأذكياء قد يقومون بتنظيم جيش ضخم، وبتخصيص أموال ضخمة لهذا الغرض وبتوزيع الطعام بسخاء على الناس، وبالرفع من معنوياتهم ومن شأن علاقاتهم العامة. ولكن أين التبشير من هذا كُلّه؟

ز. تطويبات وويلات (٦: ٢٠-٢٦)

٦: ٢٠ اختار الربّ يسوع اثني عشر **تلميذًا**، وأرسلهم كفقراء، وجياع ومضطهَدين. وهل بإمكاننا تبشير العالم بهذا الشكل؟ أجل لأن ما من طريقة أخرى تنفع في هذا المجال. لقد استهل المخلّص حديثه ذاكرًا أربع بركات وأربعة ويلات. «**طوباكم أيها المساكين**». لم يقل الرب «طوبى للمساكين»، بل قال بالحري «طوباكم (أنتم) أيها المساكين». فالمسكنة والفقر ليسا بحد ذاتهما بركة، لكنهما غالبًا ما يكونان بمثابة لعنة. لذا كان يسوع يتكلم هنا عن فقر يفرضه المرء على نفسه ويرضى به من أجل الرب. إذًا، لا إشارة هنا إلى الذين هم فقراء بسبب الكسل أو على أثر مأساة أصابتهم أو لأية أسباب لا سلطة لهم عليها. إنما المقصود هنا هم الذين قبلوا طوعًا أن يكونوا فقراء حتى يتسنى لهم الشهادة للآخرين عن المخلّص. ولدى تأملك في هذا الأمر، يتبيّن لك أن هذا الأسلوب الوحيد المنطقي والمعقول. فعلى افتراض أنّ التلاميذ كانوا قد انطلقوا للخدمة كأناس أثرياء، فإنّ الناس كانوا، في هذه الحال، سينضوون تحت راية المسيح، على أمل أن يصيروا أغنياء. لكن التلاميذ المساكين كانوا عاجزين عن وعدهم بأية فضة أو ذهب. وفي حال أتوا إلى التلاميذ، كان سيتم ذلك طلبًا للبركة الروحية. ومن جهة أخرى لو كان التلاميذ أغنياء، لفاتتهم من جراء ذلك بركة الاعتماد المستمر على الرب واختبار أمانته. فملكوت الله يخصّ أولئك المكتفين بحصولهم على سدّ لحاجاتهم الوقتية، على أن يستخدموا كل ما عدا ذلك لخدمة الرب.

٦: ٢١ «**طوباكم أيها الجياع الآن**». وبالطبع ليس المقصود هنا الحشود الغفيرة من الناس الذي يعانون سوء التغذية؛ إنما الإشارة هنا هي إلى تلاميذ يسوع المسيح الذي يتبنّون طوعًا حياة نكران النفس، وذلك بهدف التخفيف من وطأة أعواز الناس وحاجاتهم، على الصعيدين الروحي والجسدي. هؤلاء القوم هم على استعداد للاكتفاء بتناول وجبة طعام بسيطة وغير مكلفة، عوضًا عن الاسترسال وراء طلب الأمور المادية وبالتالي حرمان الآخرين من الإنجيل. إن كل نكران نفس من هذا النوع، له مكافأة في المستقبل.

«**طوباكم أيها الباكون الآن**». ليس بمعنى أن الحزن هو بحد ذاته بركة؛ لأنه ما من فائدة باقية وراء الدموع التي يذرفها غير المخلّصين. فالرب يسوع يتكلّم هنا عن الدموع التي تُسكب من أجل شخصه، ومن أجل البشرية الهالكة. إنها الدموع من أجل حالة الشقاقات والضعف التي تتخبط فيها الكنيسة اليوم. كما أنها تضم كل الأحزان التي نتحمّلها خلال خدمتنا للرب يسوع المسيح؛ فالذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج.

٦: ٢٢ «**طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيّروكم وأخرجوا اسمكم كشرير**». ليست هذه البركة من نصيب الذين يتألمون من أجل خطاياهم أو من أجل طيشهم؛ إنّما هي لأجل الذين يتحملون آلام الرفض والإهانة والعار بسبب **وفائهم للمسيح**. «**من أجل ابن الإنسان**»: هنا يكمن المفتاح لفهم مضمون التطويبات الأربعة المذكورة آنفًا. فالأمور التي تبدو بحد ذاتها لعنة تُمسي بركة عندما نكون على استعداد لتحمّلها من أجل الرب. إلا أن محبتنا للمسيح يجب أن تكون الدافع وراء كل هذا، وإلا بقيت أعظم التضحيات البطولية بلا جدوى.

٦: ٢٣ إن مكابدة الاضطهاد لأجل المسيح هو سبب لابتهاج عظيم. أولاً، لأن له **أجرًا عظيمًا في السماء**. وثانيًا، لأنه يجعل رابطًا بين الشخص المتألم وأسلافه الشهود الأمناء في العصور الماضية.

إن هذه البركات الأربع، تصف الإنسان النموذجي في ملكوت الله: من يعيش حياة التضحية، والبساطة، والجدية، والاحتمال.

٦: ٢٤ ولكن، هناك بالمقابل أربعة ويلات تمثّل الذين لهم أقل قيمة ضمن مجتمع المسيح الجديد. إلا أن مجتمعنا اليوم، وا أسفاه، أكثر ما يقدر هذه الفئات الأربع. **ويل لكم أيها الأغنياء**. ثمة مشاكل أدبية خطيرة ترتبط بظاهرة تكويم الغنى في عالم فيه يموت الآلاف من الجوع يوميًّا، كما أنّ عددًا كبيرًا من الناس فيه هم محرومون الإطلاعَ على بشارة الخلاص بالإيمان بالمسيح. لذا فإن المسيحيين الذين يتجرّبون بأن يكنزوا لأنفسهم كنوزًا هنا على الأرض، كي يحتفظوا بها "ليومهم الأسود"؛ هؤلاء يجدر بهم أن يتأمّلوا مليًّا في كلمات الرب يسوع هذه. إنهم بتصرُّفهم هذا الأحمق، يعيشون للعالم المغلوط. والجدير ذكره أن هذا **الويل** الذي صبّه الرب على الأغنياء، يؤكد لنا، بشكل جازم، إن الرب لم يكن يقصد المساكين بالروح لدى قوله في العدد ٢٠ «طوباكم أيها المساكين». وإلا لوجب اعتبار أن العدد ٢٤ يعني: «ويل لكم أيها الأغنياء بالروح». وبالطبع هذا المعنى غير مقبول. فأصحاب الغنى الذي يخفقون في استخدام هذا الغنى لإغناء الآخرين أبديًّا، قد نالوا منذ الآن الأجر الوحيد الذي هو من نصيبهم: إشباع شهواتهم الوقتية، بكل أنانية.

٦: ٢٥ «**ويل لكم أيها الشباعى**». هؤلاء هم مؤمنون يتناولون، في أرقى المطاعم، وجبات مكلفة، ويعيشون على الأطعمة الثمينة التي لا يقتنيها إلا الذوّاقة، والذين لا يعنيهم قط أمر التوفير في النفقات عندما يشترون حاجياتهم. فلسان حالهم هو: "لا شيء أغلى من أن ينعم به شعب الله". لكن الرب صرّح بالنسبة إليهم بأنهم سيجوعون في المستقبل، أي متى حصل الأمناء على جزاء تلمذتهم المضحية.

«**ويل لكم أيها الضاحكون الآن**». هذا الويل موجّه إلى الذين تشبه حياتهم دورة مستمرة من التسلية والملذات. إنهم يعيشون وكأن التمتع بأكبر قسط ممكن من الفرح والمرح هو الهدف الأساسي من الحياة، متجاهلين بذلك حالة البؤس والشقاء التي يتخبط فيها الناس بعيدًا عن يسوع المسيح. إن الذين **يضحكون الآن سيحزنون ويبكون** عندما ينظرون إلى الوراء، إلى الفرص التي فوتوها، وإلى انغماسهم الأناني في مصالحهم الشخصية، وإلى مقدار فقرهم الروحي.

٦: ٢٦ «**ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنًا**». لماذا؟ لأن في هذا العلامة الأكيدة على أنك لست تعيش على المستوى الروحي السليم، ولا تقدِّم الرسالة بأمانة. ففي صُلب طبيعة الإنجيل أنه يُغضِب الفاجر. والذين يقبلون تصفيق العالم يُظهِرون بذلك أنهم زملاء **للأنبياء الكذبة** الذين طالما شنّفوا آذان الشعب في العهد القديم بنقلهم إليهم ما يريدون سماعه. كان كسب رضا الناس يهمّهم أكثر من الحصول على مديح الله.

ح. ابن الإنسان وسلاحه الخفي: المحبة (٦: ٢٧-٣٨)

٦: ٢٧-٢٩أ والآن يكشف الرب يسوع لتلاميذه سلاحًا سريًّا من مجموعة أسلحة الله: سلاح المحبة. فهذا السلاح سيكون من أكثر الأسلحة فعالية في مجال تبشير العالم. إلا أن الرب في كلامه عن المحبة، لا يقصد بذلك الشعور البشري المعروف بهذا الاسم، بل هي محبة خارقة للطبيعة. والذين وُلدوا ثانية، باستطاعتهم وحدهم معرفتها أو إظهارها. كما أنها تعسر على أي شخص لا يسكن داخله الروح القدس. فالإنسان القاتل قد يحب أولاده، إلا أن هذه المحبة ليست من الصنف الذي قصده الرب يسوع. فالواحدة لا تتعدى كونها مجرد عاطفة بشرية، فيما تشير الأخرى إلى محبة إلهية. كما أن الصنف الأول من المحبة لا يستلزم سوى حياة جسدية، فيما يتطلب الصنف الثاني حياة روحية. وهذا الصنف الأول من المحبة هو، إلى حد كبير، مسألة مشاعر؛ في حين نجد أن الصنف الثاني يُعنَى أكثر بالإرادة. فأي شخص قد يتمكن من محبة أصدقائه، غير أن محبة الأعداء تتطلب قوة خاصة خارقة للطبيعة. وهذا بالتحديد هو صنف المحبة (أغابى باليونانية) المذكور على صفحات العهد الجديد. إن هذه المحبة تجعلنا **نحسن إلى مبغضينا، ونبارك لاعنينا، ونصلي لأجل الذين يلحقون بنا الأذى**، ونعرض، وأبدًا، الخدّ الآخر.

وقد أوضح ف. ب. ماير *F.B. Meyer* ما يلي:

> المحبة، بأسمى معانيها، هي الامتياز الخاص في المسيحية: إنّها الشعور من نحو الأعداء ما يشعره الآخرون من نحو أصدقائهم؛ إنّها التشبّه بالمطر وبأشعة الشمس في تعاملنا مع الأشرار ومع الأبرار؛ إنّها التفاني في خدمة أصحاب المظهر غير اللائق بل المنفِّر، كما يخدم الآخرون الأناس الجذابين والمحبوبين؛ إنها تفترض أن نبقى على ما نحن عليه

دائمًا، ولا تتصرف بوحي المزاج أو الهوى؛ إنّها الصبر على الآلام، والتغاضي عن الإساءة، والفرح بالحق؛ إنّها احتمال كل شيء، وتصديق كل شيء، ورجاء كل شيء، والصبر على كل شيء؛ وهذه المحبة لا تسقط أبدًا. هذه هي المحبة، وهي من عمل الروح القدس، ولا نستطيع أن نحققها بأنفسنا.

إن محبة من هذا الصنف، لا تُقهَر. فالعالم يستطيع عادةً أن يغلب الإنسان الذي يشنّ هجومًا مضادًّا. فحرب الأدغال ومبدأ الأخذ بالثأر، هما من الأمور المألوفة لدى العالم. لكنه لا يعرف طريقة التعامل مع شخص يردّ على الإساءة باللطف. إنه يرتبك بالتمام تجاه تصرّف غريب عنه.

٦: ٢٩ب-٣١ المحبة، لدى تجريدها من ردائها، تكون على استعداد للتنازل عن ثوبها أيضًا. إنها لا تصرف النظر عن أية حالة تعرض احتياجًا حقيقيًّا. وإذا ما حُرمت، ظلمًا، من ملكيتها لأمر ما، لا تُصرّ على ضرورة إعادته إليها. لذا فإن قاعدتها الذهبية تقتضي معاملة الآخرين باللطف والتقدير اللتين تتمنى هي نفسها الحصول عليهما.

٦: ٣٢-٣٤ باستطاعة الناس غير المخلّصين أن **يحبوا الذين يحبّونهم**. وهذا التصرف طبيعي ومألوف جدًّا حتى إنه لا يخلف وراءه أي أثر في عالم الناس غير المخلّصين. فالمصارف، وشركات التسليف، تعمل على **إقراض** الأموال بنيّة كسب الفوائد المترتبة على ذلك. وهذا الأمر لا يستلزم أية حياة إلهية.

٦: ٣٥ لذا كرّر يسوع كلامه عن ضرورة أن **نحبّ أعداءنا، ونحسن، ونقرض ونحن لا نرجو شيئًا**. فهذا النوع من التصرف هو مسيحي على نحو مميّز، كما أنّه يبرز من **هم بَنو العلي**. وبالطبع، ليست هذه هي الطريقة التي على أساسها يصبح الناس من أبناء العلي؛ فهذا لا يتم إلا من خلال قبول يسوع المسيح ربًّا ومخلّصًا (يو ١: ١٢). إنما بهذه الطريقة يُظهِر المؤمنون الحقيقيون أنفسهم للعالم كأولاد الله. ومن جهة أخرى، فالله تعامل معنا بالأسلوب المذكور في الأعداد ٢٧-٣٥. **فهو منعم على غير الشاكرين والأشرار**. وإذ نتصرف نحن بهذا الشكل، نعلن بذلك أننا نشابهه لكوننا من أفراد عائلته. كما أننا نظهر حقيقة ولادتنا من الله.

٦: ٣٦ أن **تكون رحماء**، يعني أننا نغفر ونسامح عندما يكون في قدرتنا أن نثأر لأنفسنا. فالآب أظهر لنا رحمة بعدم منحنا ما نستحقه من عقاب. لذا يريد منا أن نظهر بدورنا رحمة للآخرين.

٦: ٣٧ ثمة أمران لا تعملهما المحبة: فهي **لا تدين، ولا تقضي**. لقد قال الرب يسوع: «**لا تدينوا فلا تدانوا**» أولاً، ينبغي ألاّ ندين دوافع الناس. فنحن في عجزنا عن قراءة القلوب، نجهل السبب الكامن وراء تصرفات الناس. ثم، علينا ألا ندين مؤمنًا آخر على وكالته أو خدمته (١كو٤: ١-٥). فالله يبقى الديان الوحيد في جميع هذه الأمور. ومن جهة أخرى، نحتاج، بشكل عام، ألا نراعي فينا روحًا نقّادة. فهذه الروح التي دأبها كشف الأخطاء، تنقض شريعة المحبة.

إلا أن هناك بعض النواحي حيث يلزم المؤمن المسيحي أن يدين ويحكم على الأمور. فنحن غالبًا

ما نحتاج أن نميّز كون الأشخاص الآخرين مؤمنين حقيقيين أم لا. وإلا لفاتنا التنبُّه إلى المتخالف (٢كو٦: ١٤). وبالمقابل، يجب الحكم على الخطية، وإدانتها بصرامة، في كل من البيت وداخل الجماعة. إذًا باختصار، علينا أن نميز بين الخير والشر، مع الحرص على تجنّب الطعن في نيّات الآخرين ودوافعهم، أو قتل الشخصية والخُلق.

«**اغفروا يُغفر لكم**». وبذلك يصبح حصولنا على الغفران وقفًا على مدى استعدادنا لنغفر للآخرين. إلا أن هناك بعض النصوص الكتابية الأخرى التي تعلم، على ما يبدو، أنه لدى قبولنا المسيح بالإيمان، نحصل بذلك على الغفران المجاني وغير المشروط. فكيف نستطيع معالجة هذا التناقض الظاهري؟ علينا أن نفهم أننا نتناول هنا صنفين مختلفين من الغفران: الغفران الشرعي والغفران الأبويّ. فالغفران الشرعي هو الذي يمنحه الله الديّان لكل من يؤمن بالرب يسوع المسيح. وهو يعني أن المسيح تحمّل عقاب الخطايا، حتى أن الإنسان الخاطئ الذي آمن لا يعود في حاجة إلى دفع أجرة خطاياه. وهذا الغفران هو غير مشروط.

أما الغفران الأبويّ فهو الذي يمنحه الله الآب لولده الضالّ، على أثر اعترافه بخطيته وتركها. فينتج من ذلك إعادة الشركة ضمن عائلة الله. إذًا، لا علاقة لهذا بمعاقبة الخطية. فالله، بصفته الآب، لا يستطيع أن يغفر لنا عندما لا نكون على استعداد لنغفر أحدُنا للآخر. إنّه لا يتصرّف على هذا النحو، ولا يُمكن أن يكون في شركة مع الذين يتبعون نهج عدم الغفران. إذًا، كان يسوع يشير إلى الغفران الأبويّ بقوله: «**يغفر لكم**».

٦: ٣٨ المحبة تظهر من خلال العطاء (راجع يوحنا٣: ١٦؛ أفسس٥: ٢٥)، كما أن الخدمة المسيحية هي خدمة عطاء وتضحية. والذين **يعطون** بسخاء، تأتي مكافأتهم سخية. والصورة هنا هي لرجل يحمل في مقدمة ردائه طيّة عريضة وواسعة تشبه المئزر. وهو يستخدمها لحمل البذار. فكلما اتسعت دائرة نشره للبذار ازدادت، من جراء ذلك، غلال حصاده. وهكذا تكون مكافأته **كيلاً جيّدًا ملبّدًا مهزوزًا فائضًا**. وهو يحصل على ذلك في **حضنه**، أي داخل طيّة ردائه. وإنه لمبدإ ثابت في الحياة: كوننا نحصد على قدر ما نزرع، وكون أعمالنا تعود لتنعكس علينا؛ كما أنه **بالكيل** الذي نعتمده في تعاملنا مع الآخرين، **يكال لنا**. فإذا زرعنا أمورًا ماديّة، فسنحصد من جراء ذلك كنوزًا روحية لا تقدّر بثمن. كذلك، يصحّ القول إننا نخسر ما نحتفظ به، كما أننا ندّخر ما نعطيه.

ط. مثل المرائي الأعمى (٦: ٣٩-٤٥)

كان الرب يسوع قد علّم في الفقرة السابقة عن ضرورة أن يقوم التلاميذ بخدمة عطاء. والآن ينبّه إلى أن مدى قدرتهم على أن يكونوا بركة للآخرين يتوقف على حالتهم الروحية. فالإنسان **الأعمى لا يقدر أن يقود أعمى**، إنما **يسقط الإثنان في حفرة**. فنحن لا نستطيع أن نعطي ما ليس لدينا. وإذا كنا عميانًا عن بعض حقائق كلمة الله، فيعسر علينا في هذه الحال مساعدة شخص آخر في هذا المجال. وإذا تخلّلت حياتنا الروحية بعض النقاط العمياء أو الثغرات، فباستطاعتنا التحقُّق، في هذه الحال، من أن هذه النقاط العمياء ستشوب أيضًا حيوات الأشخاص الذين في عهدتنا.

٦ : ٤٠ **«ليس التلميذ أفضل من معلّمه. بل كل من صار كاملاً يكون مثل معلّمه».** فالإنسان لا يستطيع أن يعلّم ما يجهله هو شخصيًّا. كما أنه يعسر عليه قيادة تلاميذه إلى مستوى أسمى وأعلى من الذي بلغه هو. فعلى قدر ما يعلّمهم، يزدادون، أكثر فأكثر، شبهًا له. إلا أن مستوى نضجه ونموّه يبقى يشكل الحد الأعلى الذي باستطاعته أن يرفع تلاميذه إليه. وهكذا يكون التلميذ قد حصل على تدريب **كامل**، متى أصبح كسيّده. فأي خلل أو نقص في عقيدة المعلّم أو في حياته، لا بد من أن ينتقل إلى حيوات تلاميذه. وبعد تتميم منهاج التعليم المقرر، لا يمكن أن نتوقّع من التلاميذ أن يكونوا أعلى من مستوى معلّمهم.

٦ : ٤١، ٤٢ عاد الرب ليبرز هذه الحقيقة الهامة، بشكل يلفت الأنظار، من خلال إيضاح **القذى والخشبة**. فربّما يكون أحدُ الناس سائرًا ذات يوم على مقربة من حقل لدراسة القمح. وإذا بريح تهبّ فجأة في المكان، فترفع قطعة **قذى** صغيرة، فتأتي لتستقر في عينه. فيبدأ يفرك عينه للتخلّص من هذا الجسم الغريب المزعج؛ ولكن على قدر ما يفرك عينه، يزداد من جراء ذلك انزعاجه. وفي تلك اللحظة، يصادف مرور رجل آخر في المكان، فيرى محنة الشخص الأول، ويعرض عليه مساعدته. غير أن هذا الرجل يحمل **خشبة** وقد خرجت من **عينه** بشكل ناتئ فبالجهد يقدر أن يساعد، بما أنه لا يستطيع رؤية ما يفعل. والمغزى الواضح هنا أنه ليس بوسع المعلّم أن يكلّم تلاميذه عن هفوات في حيواتهم إن فاته هو إدراك وجود هذه الهفوات عينها في حياته أيضًا، وعلى مستوى أضخم بعد. إذًا، على حياتنا أن تكون نموذجية ومثالية إذا ابتغينا مساعدة الآخرين. وإلا خاطبونا بالقول: «أيها الطبيب طبّب نفسك».

٦ : ٤٣-٤٥ استخدم الرب إيضاحًا رابعًا في هذا المجال، يتعلق هذه المرة **بالشجرة وثمرها**. فالشجرة تحمل ثمرًا، جيّدًا أو رديًّا، في ضوء ما هي عليه بحد ذاتها. كما أننا نحكم على الشجرة من صنف ثمرها ومن مستواه. وهذا الأمر عينه يصحّ أيضًا على التلمذة. فالإنسان الطاهر أدبيًّا والصحيح روحيًّا، باستطاعته إخراج بركة للآخرين من **كنز قلبه الصالح**. وبالمقابل، فإن الرجل الفاجر في طبيعته، **لا يُخرج إلا الشر**.

إذًا، ينقل الرب إلى تلاميذه في الأعداد ٣٩-٤٥، حقيقة أن خدمتهم تتعلق أولاً بخُلُقهم. فإن ما هم عليه هو أهم بكثير من أي شيء، يقولونه أو يفعلونه. كما أن النتيجة النهائية التي تسفر عنها خدمتهم، يقررها ما هم عليه في قرارة نفوسهم.

ي. الرب يطالب بالطاعة (٦ : ٤٦-٤٩)

٦ : ٤٦ **«ولماذا تدعونني يا ربّ يا ربّ وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟»** فالكلمة «الرب» تعني "السيّد"؛ فهو إذًا صاحب السلطان المطلق على حيواتنا، ونحن ننتمي إليه، وملزمون فعل كل ما يقوله لنا. أن ندعوه «ربًّا» ومن ثم نتقاعس عن إطاعته، ظاهرة لا تخلو من التناقض. فالإقرار بربوبيته علينا، كمجرد ادعاء، لا يكفي. بل المحبة والإيمان الحقيقيان يتضمنان أيضًا الطاعة. لذا، فإننا لا نحبّه حقًّا، ولا نؤمن به حقًّا، إن كنا لا نعمل بموجب ما يقوله لنا.

أنتم تدعونني "الطريق" ومع هذا لا تسلكون فيّ،
أنتم تدعونني "الحياة" ومع هذا لا تعيشونني،

أنتم تدعونني "الرب" ومع هذا لا تطيعونني،
إذًا، لا تلومونني إذا حكمت عليكم.
أنتم تدعونني "الخبز" ومع هذا لا تأكلونني،
أنت تدعونني "الحق" ومع هذا لا تؤمنون بي،
أنتم تدعونني "السيد" ومع هذا لا تخدمونني،
إذًا، لا تلومونني إذا حكمت عليكم.

جفري اوهارا Geoffrey O'hara

٦: ٤٧-٤٩ روى الرب مَثَل البنّاءين للتركيز أكثر على هذه الحقيقة الهامة. ونحن غالبًا ما ننظر إلى هذه القصة من زاوية الإنجيل، على اعتبار أن الإنسان الحكيم يصف الشخص الذي يؤمن ويحصل على الخلاص، فيما الإنسان الجاهل هو من يرفض المسيح ويكون الهلاك من نصيبه. إن هذا النوع من التطبيق هو، بالطبع، سليم. لكن إذا ما قصدنا تفسير هذه القصة بوحي قرينتها، نكتشف أنها تحمل مغزى أعمق.

فالإنسان العاقل هو الذي يأتي إلى المسيح (الخلاص)، ويسمع كلامه (التعليم)، ويعمل به (الطاعة). إنه الشخص الذي يبني حياته على مبادئ التلمذة المسيحية التي أرساها هذا الفصل. هذه هي الطريقة السليمة لبناء الحياة. وعندما تأتي السيول والأنهار وتصدم البيت، فإنه يثبت بما أنه مؤسّس على الصخر، أي على المسيح وتعاليمه.

أما الإنسان الجاهل بالمقابل، فهو الذي يسمع (التعليم)، إلا أنه يتقاعس عن العمل بموجب هذا التعليم (عصيان). لذا يبني حياته على ما يظن أنه الأفضل بالنسبة إليه، متّبعًا في ذلك مبادئ هذا العالم الجسدية. ومتى هبّت عواصف الحياة، فإنها ستجرف حياته التي هي من دون أساس. قد تخلص نفسه، إلا أنه سيخسر حياته.

الإنسان العاقل هو الإنسان الفقير، والجائع، والباكي، والمضطهَد، وكل ذلك من أجل ابن الإنسان، ومن شأن العالم أن يدعو إنسانًا كهذا جاهلاً. غير أن الرب يسوع يدعوه حكيمًا.

والإنسان الجاهل هو الغني الذي يعيش مترفّهًا، ويحيا حياة المرح المقرون بالصخب، وشعبيّته واسعة النطاق. وقد يدعوه العالم إنسانًا حكيمًا. إلا أن الرب يسوع يعتبره جاهلاً.

٧- ابن الإنسان يوسّع نطاق خدمته (٧: ١- ٩: ٥٠).

أ. شفاء عبد قائد المئة (٧: ١-١٠)

٧: ١-٣ بعد أن أنهى الرب يسوع حديثه، ترك الجموع، ودخل كفرناحوم. وهناك، أحاط به شيوخ اليهود الذين جاءوا يسألونه أن يساعد عبد قائد مئة أممي. ويبدو أن قائد المئة هذا كان لطيفًا على نحو خاص مع الشعب اليهودي، حتى إنه بنى لهم مجمعًا. لقد تكلّم فيه الكتاب المقدس حسنًا، وذلك على غرار سائر قواد المئة المذكورين في العهد الجديد (لو٢٣: ٤٧؛ أع١٠: ١-٤٨).

إنه لمن غير المألوف أن يعامل السيد عبده بكل اللطف الذي أظهره قائد المئة هذا. فعندما مرض هذا العبد، جاء قائد المئة يطلب إلى قواد اليهود التوسّل إلى الرب يسوع لشفائه. وهكذا نجد أن هذا الضابط الروماني كان الوحيد، على حدّ علمنا، الذي سأل بركة من الرب يسوع لأجل عبد.

٧: ٤-٧ لقد شعر قادة الشعب أنهم في ورطة. ذلك لأنهم لم يكونوا يؤمنون بيسوع، غير أن صداقتهم التي كانت تربطهم بقائد المئة أرغمتهم على الذهاب إلى يسوع في وقت الحاجة. وهكذا ذكروا أمام الرب أن قائد المئة هذا كان **مستحقًّا**. إلاّ أن هذا الرجل لدى مقابلة يسوع، صرّح بالقول: «**لست مستحقًّا**»، بمعنى "لست هامًّا بما فيه الكفاية".

يذكر لنا إنجيل متى أن قائد المئة هذا كان قد قصد إلى الرب يسوع مباشرة، ولكن نقرأ هنا في إنجيل لوقا أنه أرسل الشيوخ. كلا النصين صحيح. فهو أولاً أرسل الشيوخ، ومن ثم جاء بنفسه إلى يسوع.

يستوقفنا تواضع قائد المئة هذا وإيمانه. فهو لم يحسب نفسه **أهلاً** لأن **يدخل** الربّ يسوع بيته، ولا اعتبر نفسه بالمقابل، أهلاً لأن **يأتي** شخصيًّا إلى الرب يسوع. لكن كان عنده الإيمان بقدرة الرب على الشفاء، حتى لو لم يحضر إلى المكان. كانت **كلمة** واحدة منه كافية لانتهار المرض.

٧: ٨ ثم راح قائد المئة يوضح إلمامه، إلى حدّ ما، بشؤون **السلطان** والمسؤولية. لقد كان لدية خبرة هائلة في هذا المضمار. فهو نفسه كان تحت سلطان الحكومة الرومانية، ومسؤولاً عن تنفيذ أوامرها. إلى ذلك، كان هناك **جنود تحت** يده، ويطيعون أوامره للحال. وهكذا أدرك أنه كان للرب يسوع السلطان نفسه على الأمراض، كسلطان الحكومة الرومانية عليه كقائد مئة، وكسلطانه هو على الخاضعين له.

٧: ٩، ١٠ فلا عجب إذًا إن كان إيمان قائد المئة الأممي هذا قد أدهش **يسوع**. فما من أحد في **إسرائيل**، سبق له أن نطق باعتراف جريء كهذا بسلطان يسوع المطلق. **إن إيمانًا بمقدار هذا**، لا بدّ من أن يكافئه الرب. لذا، لدى عودة شيوخ اليهود إلى بيت قائد المئة، وجدوا أن العبد كان قد صحّ بالتمام.

هذه مرة واحدة من أصل مرتين حيث نقرأ في الأناجيل عن يسوع أنه **تعجّب**. فهو تعجّب من إيمان قائد المئة الأممي هذا، كما أنه تعجّب، من جهة أخرى، من عدم إيمان الشعب القديم (مر٦: ٦).

ب. إقامة ابن الأرملة من الأموات (٧: ١١-١٧)

٧: ١١-١٥ كانت **نايين** مدينة صغيرة واقعة جنوب غربي كفرناحوم. ما إن اقترب الرب يسوع منها حتى رأى موكب جنازة مغادرًا **المدينة**. وكان الميت **ابنًا وحيدًا** لامرأة **أرملة**. **فتحنّن** الرب على الأم الثكلى. ثم لمس النعش الذي كان **يحمل** جثة الفتى، ربما بقصد وقْف الموكب. وبعد هذا أمر **الشاب** بأن **يقوم**. وللوقت عادت الحياة إلى الجثة، **وجلس** الفتى. عندئذ **قام** الرب السائد على الموت وعلى المرض بردّ الصبي إلى **أمّه**.

٧: ١٦، ١٧ اعترى **الخوف** الناس، بعد أن شاهدوا حصول معجزة عظيمة. فالميت أعيدت إليه الحياة. وعلى أثر ذلك، آمنوا بأن الرب يسوع كان **نبيًّا عظيمًا**، قد أرسله الله. لكنهم بقولهم **إن الله قد افتقد شعبه**، لم يكونوا، على الأرجح، قد أدركوا أن يسوع كان هو نفسه الله. لقد شعروا بأن هذه المعجزة جاءت لتؤكد لهم أنّ الله كان يعمل في وسطهم بطريقة ثابتة. وبعد هذا ذاعوا خبر هذه المعجزة **في جميع الكورة المحيطة**.

نقرأ في إنجيل لوقا الطبيب عن تعامل الرب يسوع مع ثلاثة أولاد كانوا «وحيدين» لذويهم: ابن الأرملة، ابنة يايرس (٨: ٤٢)، والولد الذي كان مسكونًا بالشياطين (٩: ٣٨).

ج. ابن الإنسان يطمئن يوحنا المعمدان (٧: ١٨-٢٣)

٧: ١٨-٢٠ إن الأنباء عن معجزات يسوع، بلغت يوحنا المعمدان في معتقله في قلعة ماكايروس الواقعة عند الشاطئ الشرقي للبحر الميت. فإن كان يسوع هو المسيّا حقًّا، فلمَ لم يمارس سلطانه بتحرير يوحنا من قبضة هيرودس؟

لذا أرسل يوحنا **اثنين من تلاميذه** ليسأل يسوع هل هو المسيّا حقًّا، أم هل سيأتي المسيح في ما بعد. قد نستهجن أن يُقدم يوحنا على التشكيك في مسيّانية يسوع. لكن، علينا أن نتذكر باستمرار أن أعظم الرجال يضعف إيمانهم أحيانًا، وعلى مدى فترات قصيرة من الزمن. كما أن الإرهاق الجسدي قد يؤدي أحيانًا إلى حالة من الاكتئاب النفسيّ الحادّ.

٧: ٢١-٢٣ ردّ يسوع على سؤال يوحنا بتذكيره بأنه كان يصنع تلك المعجزات التي سبق للأنبياء أن تنبّأوا عن المسيّا بأنه سيصنعها (إش٣٥: ٥، ٦؛ ٦١: ١). وبعد هذا ذيل كلامه ليوحنا بالقول: «**وطوبى لمن لا يعثر فيّ**» وقد نرى في هذا شكلاً من أشكال التوبيخ. فيوحنا كان قد أعثره إحجام الرب يسوع عن الإمساك بزمام الأمور لإظهار ذاته بالطريقة التي كان يتوقعها منه الشعب. لكن باستطاعتنا أيضًا اعتبار هذا القول بمثابة مناشدة ليوحنا لضرورة عدم التخلّي عن إيمانه.

كتب س.ج.مور *C.G. Moore* في هذا المجال:

> لا أعرف عن ساعات تشهد امتحانًا للإيمان أعنف من تلك التي فيها يضاعف الرب يسوع البراهين على قدرته من دون أن يستخدمها... فهناك حاجة كبيرة إلى النعمة عندما يعود المرسلان بالقول: "أجل، إنه يملك كل السلطان والقدرة؛ غير أنه لم يتلفظ ولا بكلمة واحدة بقصد إخراجك من السجن". لا تفسير؛ بل تعزيز للإيمان، وترك لأبواب السجن موصدة؛ وبعد هذا التفوه بالرسالة: «طوبى لمن لا يعثر فيّ». وهذا هو كل شيء.

د. ابن الإنسان يمتدح يوحنا المعمدان (٧: ٢٤-٢٩)

٧: ٢٤ كان باستطاعة الرب يسوع أن يقول ما يشاء ليوحنا في السرّ، إلاّ أنه لم ينطق في العلن إلاّ بالمديح لشخصه. فالناس الذين خرجوا للاحتشاد في البرية القريبة من نهر الأردن، ماذا كانوا يتوقّعون أن يجدوا هناك؟ هل انتظروا أن يلتقوا هناك رجلاً انتهازيًّا متقلّبًا وضعيفًا؟ ما من أحد كان بإمكانه اتّهام يوحنا بأنه أشبه **بقصبة تحرّكها الريح**.

٧: ٢٥ أم هل توقّعوا أن يقابلوا رجلاً مستهترًا منغمسًا في الملذات، على شاكلة نجوم السينما في هوليوود، يلبس الثياب الأنيقة؟ كلاّ، فهذا هو صنف الرجال الذي يتلكأون في **قصور الملوك**، للتمتّع بمباهج البلاط الملكي، ولإشباع شهواتهم الخاصة.

٧: ٢٦ لكنهم خرجوا **لينظروا نبيًّا**، هذا الضمير المجسّد الذي كان على استعداد لإعلان كلمة الله الحي، مهما كلّفه ذلك من ثمن. بل كان حقًّا **أفضل من نبيّ**.

٧: ٢٧ كان هو نفسه محور النبوة، وقد مُنح الامتياز الفريد من نوعه، بأن يقوم بالتمهيد لمجيء الملك السماوي. فيسوع اقتبس ملاخي ٣: ١ لإظهار أن يوحنا هو الذي كان العهد القديم قد وعد به. لكنه بفعله هذا، أجرى على الضمائر تعديلاً جديرًا بالانتباه. ففي ملاخي ٣: ١ نقرأ: «هأنذا أرسل أمام وجهك ملاكي فيهيّئ الطريق أمامي»، بينما أقتبس الرب يسوع هذا العدد على الشكل التالي: «ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيّئ طريقك قدامك». إذًا، ضمير المخاطَب "ك" حلّ مكان ضمير المتكلم "ي".

وقد فسّر جودي *Godet* هذا التعديل على النحو التالي:

> في نظر النبي، كان الذي يقوم بعملية الإرسال، والذي كانت الطريق تُهيّأ أمامه، يشيران إلى الشخص نفسه، أي إلى يهوه. من هنا نفهم مغزى العبارة «أمامي» في ملاخي. أمّا بالنسبة إلى الرب يسوع الذي في معرض كلامه عن نفسه لم يكن ليخلط قط بينه وبين الآب، فقد بات من الضروري التمييز بين الاثنين. فيهوه لا يتحدث هنا إلى نفسه، بل إلى يسوع. وهذا ما يفسّر الصيغة «أمام وجهك». ألا يتبين لنا من هذا الاقتباس، كما ورد بمفهوم النبي، أو بمفهوم يسوع، أن ظهور المسيّا هو أيضًا ظهور يهوه.

٧: ٢٨ واصل يسوع مدحه ليوحنا، عندما صرّح بأنه **بين المولودين من النساء ليس نبيّ أعظم من يوحنا المعمدان**. وهذا التفوق لا يتعلق بخُلقه الشخصي بل بمقامه كسابقٍ للمسيّا. ذلك لأنه ظهر على المسرح الروحي أناس ضارعوه في الغيرة، والكرامة، والوفاء للرب. لكن لم يُعطَ أي إنسان آخر امتياز الإعلان عن مجيء الملك. ومن هذا القبيل، كان يوحنا فريدًا في نوعه. إلاّ أن الرب أردف يقول: **إن الأصغر في ملكوت الله هو أعظم من يوحنا**. فالاستمتاع ببركات الملكوت يبقى أعظم من الإعداد لمجيء المسيح الملك.

٧: ٢٩ من المرجّح أن الرب يسوع هو الذي كان ما يزال يتكلم في العدد ٢٩. فهو يذكّر بالإقبال الذي لقيته كرازة يوحنا. فعامة **الشعب**، كما الخطاة من صنف **العشّارين** مثلاً، تابوا **واعتمدوا** في الأردن. إنهم بإيمانهم برسالة يوحنا، وبعملهم بموجبها، يكونون قد برّروا الله، بمعنى أنهم حسبوه بارًّا في مطالبته الشعب القديم بضرورة التوبة أولاً قبل أن يتمكن المسيح من أن يملك عليهم. فإنه من الواضح هنا أنّ فعل التبرير لم يرد هنا بمعنى جعل أحدهم بارًّا، لأن ما أحد يقدر أن يجعل الله بارًّا. إنما يعني بالحري أن الله هو على حق في أحكامه وفي مطالبه.

هـ. ابن الإنسان ينتقد جيله الخاص (٧: ٣٠-٣٥)

٧: ٣٠-٣٤ امتنع الفريسيون ومعلّمو الناموس عن الخضوع لمعمودية يوحنا، **رافضين بذلك خطة الله لخيرهم**. وفي الواقع، كان من المستحيل إرضاء **ذلك الجيل** الذي كانوا قوّادًا له. لذا جعل الرب يسوع يشبّههم **بأولاد** يلعبون ويلهون **في السوق**. لم يرد هؤلاء أن يتسلّوا لا بلعبة العرس ولا بلعبة الجنازة. إنما كانوا أشرارًا، عُنُدًا، ومتقلّبين، ومقاومين. وهكذا لم يتجاوبوا مع كل أشكال الخدمة التي اعتمدها الله بينهم. **فيوحنا المعمدان** كان قد قدّم لهم مثالاً في التزمّت والتقشّف ونكران الذات فلم يعجبهم ذلك، بل انتقدوه معتبرين أنه يسكنه شيطان.

ثم جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب مع **العشارين والخطاة**، بمعنى أنه تشبّه بالذين جاء ليباركهم. وهذا الأمر أيضًا لم يُسرّ الفريسيين، فاعتبروه **أكولاً وشرّيب خمر**. فلا شيء على الإطلاق كان يرضيهم: لا الصوم ولا العيد، لا الجنازة ولا العرس، لا يوحنا ولا يسوع.

يناشدنا رايل *Ryle* بالقول:

> علينا التخلّي عن فكرة إرضاء جميع الناس. فهذا الأمر ضرب من المستحيل، كما أن هذه المحاولة ليست سوى مضيعة للوقت. حسبُنا نحن أن نقتفي آثار المسيح، وليقل العالم ما يشاء. فمهما فعلنا، فلن ننجح في إرضائه ولا في إسكاته عن توجيه الملاحظات اللاذعة إلينا. فالعالم لام يوحنا المعمدان أولاً، ومن بعده سيّده المبارك. وهكذا سيواصل إثارته للاعتراضات التافهة ضدّ تلاميذ الرب، ولو لم يبقَ سوى واحد منهم فقط على وجه الأرض.

٧: ٣٥ «**والحكمة تبرّرت من جميع بنيها**». إن الحكمة تمثّل هنا المخلّص نفسه. **وبنوها** هم تلاميذ الرب الذين يكرمونه، والذي لا يشكّلون سوى أقلّية. فالجموع قد ترفض الرب يسوع، إلاّ أن أتباعه الحقيقيين سيبررونه (يُعلنون برّه) بحيواتهم المتّسمة بالمحبة، والقداسة، والوفاء لشخصه.

و. *خاطئة تمسح المخلّص* (٧: ٣٦-٣٩)

٧: ٣٦ لنا في الحادثة التالية إيضاح عن الحكمة التي تبرّرت على يد واحدة من أبنائها، أعني المرأة الخاطئة. وكما قال الدكتور هـ.س. وُدرينج *Dr. H. C. Woodring* فأجاد: مع انعدام تقدير القادة الدينيين للمسيح، يستعين الله بالزواني ليفعلوا ذلك. كان سمعان الفريسي قد **سأل** يسوع الحضور إلى بيته **ليأكل معه**، ربما بدافع الفضولية أو العداء.

٧: ٣٧، ٣٨ وفي الوقت نفسه، ظهرت في المكان امرأة خاطئة. ونحن نجهل هويّتها، إلاّ أن التقليد القائل إنها مريم المجدلية يفتقر إلى سند كتابي. كانت هذه المرأة تحمل **قارورة طيب**. وبينما كان يسوع متّكئًا يأكل، ورأسه على مقربة من الطاولة، جاءت هذه المرأة ووقفت عند قدميه. ثم راحت **تغسل رجليه بدموعها، وتمسحهما بشعرها، وتقبّلهما** مرارًا. وبعد هذا **دهنتهما** بالطيب الكثير الثمن. إنها بعبادتها وتضحيتها، بهذا الشكل، عبّرت عن اقتناعها بأنه لا شيء أغلى ممّا يستحق الربّ يسوع أن نقدّمه له.

٧: ٣٩ جاء موقف سمعان مختلفًا تمامًا. لقد شعر بضرورة أن يحذو الأنبياء حذو الفريسيين في انفصالهم عن الخطاة. ففي نظره، لو كان يسوع **نبيًّا حقًّا**، لما سمح لهذه المرأة **الخاطئة** بأن تعبّر له عن كل هذه المودّة.

ز. *مَثَل المديونين* (٧: ٤٠-٥٠)

٧: ٤٠-٤٣ قرأ الربّ يسوع أفكار **سمعان**، ثم عرض عليه أن **يقول** له **شيئًا**. وبمهارة فائقة، روى له الربّ قصة **المدايين والمديونين**. كان على **الواحد** خمسون دولارًا، وعلى الآخر خمسة دولارات. وإذ لم يكن لأي منهما ما **يوفي**، قام بإلغاء الدينين. وتوقّف يسوع عن الكلام، عند هذا الحد، ليسأل سمعان عمّن من المديونين سيحبّ المُقرض أكثر. فردّ عليه الفريسي بشكل صحيح بالقول: «**أظنّ الذي سامحه بالأكثر**». إنه بإقراره هذا، كان قد حكم على نفسه، كما سيُظهر له الرب يسوع ذلك.

٧: ٤٤-٤٧ لقد أظهرت هذه المرأة مودّة ليسوع منذ لحظة **دخوله البيت**. أمّا الفريسي، في المقابل، فاستقبله بكل برودة، وتقاعس حتى عن القيام بالكياسات المألوفة التي كانت تُقدّم للضيف في تلك الأيام، من غسل لقدميه، وتقبيل لوجنته، وإعطائه زيتًا لرأسه. وكيف يمكننا تفسير هذه الظاهرة؟ فالسبب يكمن في إدراك هذه المرأة أنه قد غُفر لها الكثير، بينما لم يشعر سمعان، على الإطلاق، بأنه كان خاطئًا عظيمًا. «**والذي يُغفر له قليل يحب قليلاً**».

لم يلمّح الرب يسوع في سياق كلامه إلى أن الفريسي لم يكن خاطئًا عظيمًا. إلاّ أنه شدّد على أن سمعان لم يسبق له قط أن اعترف حقًّا بذنبه الفظيع، حتى يختبر الغفران، ولو صحّ ذلك فيه، لكان قد أحبّ الرب بمقدار ما أحبّته هذه الزانية. فنحن جميعنا من أعظم الخطاة. كما أنّ باستطاعتنا جميعنا اختبار الغفران العظيم، حتى يتسنى لنا بالتالي أن نحب الرب محبة عظيمة وشديدة.

٧: ٤٨ من ثم، أعلن الرب جهرًا لهذه المرأة أن **خطاياها قد غُفرت**. فهي لم تنل الغفران من جراء محبتها للمسيح، بل إنما محبتها جاءت نتيجة حصولها على الغفران. لقد أحبّت كثيرًا لأنه غُفر لها الكثير. وهكذا اغتنم الرب يسوع هذه الفرصة للإعلان جهارًا أنّ خطاياها قد غُفرت.

٧: ٤٩، ٥٠ شكّك الضيوف الآخرون، في قرارة نفوسهم، بحقّ يسوع في غفران **الخطايا**. فالقلب الطبيعي يكره النعمة. إلاّ أن الرب يسوع عاد يؤكد لهذه المرأة، ويطمئنها إلى أن **إيمانها قد خلّصها**، وأنه ينبغي لها الآن أن **تذهب بسلام**. وهذا ما يعجز عن فعله أطباء النفس. قد يحاولون طمس عقد الذنب، إلاّ أنهم لا يقدرون على الإطلاق منح ما يعطيه المسيح من فرح وسلام.

أساء بعض المسيحيين فهم تصرُّف ربّنا هذا، عندما جلس إلى مائدة هذا الفريسي لتناول الطعام معه. وقد استشهدوا بهذه الحادثة في دفاعهم عن ظاهرة التودّد إلى الأشخاص غير المخلَّصين، وإقامة علائق حميمة بهم، والمشاركة في تسلياتهم، والانغماس في ملذاتهم. وفي هذا السياق، يقدّم لنا رايل *Ryle* التحذير التالي:

> إن الذين يستعينون بهذه الحجة، يعملون حسنًا إذا تذكّروا الطريقة التي على أساسها تصرّف الرب في هذه المناسبة. فهو حمل معه "عمل أبيه" إلى هذه المائدة. لقد شهد على خطيّة الفريسي. كما أنه أوضح له طبيعة غفران الخطايا المجاني، وسرّ المحبة الحقيقية لشخصه. كذلك أعلن طبيعة الإيمان المخلِّصة. فإذا كان المسيحيون الذين يحاجّون لصالح فكرة إقامة علائق حميمة بأناس غير مخلّصين يرتادون بيوت هؤلاء بروح ربّنا، لكي يتكلموا ويتصرفوا مثله، فليواصلوا سعيهم هذا، مهما كلّف الثمن.

لكن، هل يتكلمون كيسوع ويتصرفون مثله، عندما يجلسون إلى موائد معارفهم غير المخلّصين؟ هذا سؤال يعملون حسنًا إن أجابوا عنه.

ح. *بعض النساء يخدمنَ يسوع* (٨: ١-٣)

جيّد أن نتذكّر أن الأناجيل لا تحوي إلاّ بعض الأحداث القليلة من سيرة ربّنا وخدمته. فالروح القدس هو الذي انتقى تلك المواضيع التي ارتأى

تضمينها الأناجيل، إلاّ أنه أغفل أحداثًا كثيرة غيرها. ويطالعنا هذا تصريح بسيط مفاده أن الرب يسوع خدم مع تلاميذه في مدن الجليل وقراها. وخلال كرازته بالأخبار السارة المختصة **بملكوت الله**، كانت بعض النساء اللواتي كان قد باركهنّ، يخدمنه بأن يوفّرن له، على الأرجح، ما يتعلق بطعامه وسكنه. مثلاً، كان في عدادهنّ **مريم التي تُدعى المجدليّة**. ويرى بعضهم أنها كانت تحمل لقب "السيدة التي من مجدلة (مجدُل)". وعلى كل حال، كان الرب قد أنقذها من **سبعة شياطين**. كذلك كان هناك **يونّا**، امرأة **وكيل هيرودس**، مع **سوسنّة وأُخَر كثيرات**. إن ما أظهرته من لطف لربّنا، لم يذهب في غياهب النسيان. وبالطبع، لم يخطر قطّ على بالهنّ خلال مشاركتهنّ يسوع في مقتنياتهنّ أن المسيحيين على مرّ العصور التالية، سوف يقرأون عن سخائهنّ وعن حبّهن للضيافة.

كانت الأخبار السارة المختصة **بملكوت الله**، تشكّل محور خدمة الرب. **وملكوت الله** يعني ذلك المكان، المنظور أو غير المنظور، الذي يجري فيه الإقرار بسلطان الله. كما أن البشير متى يستخدم أحيانًا العبارة «ملكوت السماوات»، بالمعنى نفسه تقريبًا، وللإشارة ببساطة إلى أنّ «العلي متسلّط في مملكة الناس» (دا ٤: ١٧) أو أنّ «السماء سلطان» (دا ٤: ٢٦).

يشهد تطور الملكوت في العهد الجديد، مراحل متنوعة:

١- أولاً، كان يوحنا المعمدان قد أعلن اقتراب الملكوت (مت٣: ١، ٢).

٢- ثم حضر هذا الملكوت فعلاً في شخص الملك، ربّنا يسوع («ملكوت الله داخلكم» - لو١٧: ٢١). تلك كانت الأخبار السارة المختصة بالملكوت كما أذاعها الربّ يسوع. فهو قدّم نفسه بصفته ملك الأمّة القديمة (لو٢٣: ٣).

٣- بعد هذا، نرى ملكوت الله وقد رفضته الأمّة (لو١٩: ١٤؛ يو١٩: ١٥).

٤- اليوم، الملكوت هو في شكله السري (مت١٣: ١١). فالمسيح الملك هو غائب إلى حين، إلاّ أن على الأرض بعض القوم الذين يعترفون بسلطانه وبسيادته على قلوبهم. كما أن هذا الملكوت يضم اليوم، بمعنى من المعاني، جميع الذين يدّعون قبول سلطان الله عليهم، بمن فيهم أولئك الذين لم يختبروا الولادة الجديدة بعد. إن دائرة الاعتراف الخارجي تظهر في الأمثال التالية: مثل الزارع (لو٨: ٤-١٥)؛ مثل الحنطة والزوان (مت١٣: ٢٤-٣٠)؛ ومثل السمك في الشبكة (مت١٣: ٤٧-٥٠). غير أن الملكوت، بمفهومه الأعمق والأصح، لا يتضمّن إلاّ أولئك الذين اهتدوا (مت١٨: ٣) أو وُلدوا من جديد (يو٣: ٣). إنها دائرة الحقيقة الداخلية (راجع متى ٣: ١، ٢).

٥- سيأتي يوم حين يُقام هذا الملكوت، بالمعنى الحرفي للكلمة، هنا على الأرض. عندئذ سيملك الرب يسوع على مدى ألف سنة، بصفته ملك الملوك وربّ الأرباب (رؤ١١: ١٥؛ ١٩: ١٦؛ ٢٠: ٤).

٦- المرحلة الأخيرة، والتي تُعرف بملكوت ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح الأبدي (٢بط١: ١١). هذا هو الملكوت في صورته الأبدية.

ط. مثل الزارع (٨: ٤-١٥)

٨: ٤-٨ يصف لنا مثل الزارع الملكوت في حالته الراهنة. فهو يعلّمنا أن ملكوت الله يشتمل على أناس معترفين بالإضافة إلى الرعايا الحقيقيين. كما أن هذا المثل يشكّل أيضًا تحذيرًا جليلاً جدًّا يتعلق بالطريقة التي بها نسمع كلمة الله. فالإصغاء إلى مضمون الكتاب المقدس، سواء من طريق الوعظ أو التعليم، ليس بالأمر البسيط. فالسامعون يصبحون، من جراء ذلك، مسؤولين أكثر من أي وقت مضى. فإذا لم يبالوا بالرسالة، أو اعتبروا أمر إطاعتها مسألة اختيارية، فإنهم يفعلون ذلك لضرر أنفسهم. وبالمقابل، فإن كانوا يسمعون ويطيعون، فإنهم بذلك يجعلون أنفسهم في الموقع الذي يؤهلهم للحصول على المزيد من النور من عند الله. إن هذا المثل، نطق به الرب أمام جمع كثير، ثم عاد وشرحه لتلاميذه.

تحدث هذا المثل عن زارع، وزرعه، وأربعة أصناف من التربة استقبلت الزرع، وأربع نتائج:

	صنف التربة	النتيجة
١-	على الطريق	داسة الناس، وأكلته الطيور.
٢-	على الصخر	جفّ لافتقاره إلى الرطوبة.
٣-	في وسط الشوك	خنق الشوك نموّه.
٤-	في الأرض الصالحة	صنعت كل حبة مئة ضعف.

وقد ختم الرب هذا المثل بالعبارة التالية: «**مَنْ له أذنان للسمع فليسمع**». وبكلمة أخرى، كن حريصًا، لدى استماعك إلى كلمة الله، على الطريقة التي بها تستقبل هذه الكلمة. فالزرع ينبغي أن يسقط في أرض صالحة حتى يتسنى له أن يثمر.

٨: ٩، ١٠ عندما جاء تلاميذ الربّ يسألونه بشأن معنى هذا المثل، أوضح لهم أنه لن يكون بإمكان كل إنسان أن يفهم أسرار ملكوت الله. أمّا التلاميذ، وبفضل استعدادهم للإيمان والطاعة، فسيُعطَون القدرة على استيعاب تعاليم المسيح. كما أن يسوع كان قصد أن يعرض العديد من الحقائق بشكل أمثال، حتى لا يفهمها كل من لا يحبّ الرب محبة حقيقية. حتى إنهم مبصرين لن يتمكّنوا من رؤية الأمور على حقيقتها، وسامعين لن يتسنى لهم فهم ما يسمعونه. فهؤلاء كانوا، بمعنى من المعاني، قد أبصروا وسمعوا. لقد عرفوا مثلاً، أن يسوع كان يتحدث عن زارع وزرعه. إلاّ أنه فاتهم فهم المغزى العميق لهذا الإيضاح. كما أنهم لم يدركوا أن قلوبهم كانت قاسية، وغير تائبة، وأشبه بتربة قد علاها الشوك، وأنهم لم يستفيدوا من الكلمة التي سمعوها.

٨: ١١-١٥ لم يفسر الرب هذا المثل إلاّ للتلاميذ وحدهم. لقد سبق لهم أن قبلوا ما حصلوا عليه من تعليم، الأمر الذي يؤهلهم للحصول على المزيد من هذا التعليم. ويسوع، في معرض شرحه، أوضح أن الزرع هو كلام الله، أي حق الله الذي هو تعليمه.

المستمعون الذي سقط البذار عندهم على الطريق، هم الذين أصغوا إلى الكلمة، لكن بطريقة سطحية. وهكذا بقيت خارج حياتهم، الأمر الذي جعل من السهل على الشيطان (طيور السماء) أن يأتي ويخطفها.

المستمعون الذين سقط البذار عندهم على الصخر، أصغوا هم أيضًا إلى الكلمة، من دون السماح لها بأن تكسرهم. وهكذا بقوا غير تائبين. كما أن هذا

الزرع لم يقابله أيُّ تشجيع (رطوبة)، لذا جفّ ومات. ربما كانوا، في بادئ الأمر، قد ظهروا بمظهر مشرق من خلال ادعائهم الإيمان، إلاّ أن كل ذلك لم يكن حقيقيًّا. لقد كان هناك حياة، على ما يبدو، إلاّ أنه لم يكن لهذا النبات أي أصل أو جذور تحت الأرض. لذا تخلّوا عن اعترافهم المسيحي في وقت الضيق.

المستمعون الذين سقط البذار عندهم في وسط الشوك، بدا عليهم إلى حينٍ أنهم يسيرون على ما يرام، غير أن عجزهم عن النموّ باطّراد برهن عدم صدق إيمانهم. فهموم الحياة، وغناها، ولذّاتها، استولت على الكيان، وخنقت الكلمة.

تمثّل التربة الجيّدة المؤمنين الحقيقيين أصحاب القلوب الجيّدة والصالحة. فهم لم يكتفوا بقبول الكلمة، بل سمحوا لها أيضًا بتشكيل حيواتهم. كانوا قابلين للتعلّم، ومطيعين، الأمر الذي طوّر فيهم الخُلق المسيحيّ الحقيقي، وجعلهم مثمرين لله.

لخّص داربي *Darby* مغزى هذا النص على النحو التالي:

> إن كنت عند إصغائي لكلمة الله، أمتلك ما أصغي إليه، فلا أكتفي بالفرح الناتج من تقبّل الحقائق، بل بالحري امتلكها لنفسي، عندئذ تصبح جزءًا من جوهر روحيّ، الأمر الذي يخوّلني الحصول على المزيد من المعرفة بعد. لأنه متى دخل الحق في صُلب روحي، تتوافر في هذه الحال إمكانية الازدياد في المعرفة.

ي. المسؤولية المترتبة على السامعين (٨: ١٦-١٨)

٨: ١٦ قد يبدو أوّل وهلة أن لا علاقة لهذه الفقرة بما سبق، إلاّ أن هناك، في الواقع، تسلسلاً فكريًّا. فالمخلِّص ما يزال يركّز هنا على ما لموقف تلاميذه تجاه تعاليمه من أهمية. إنه يشبّه نفسه برجل أوقد سراجًا، لا ليجعله تحت إناء أو تحت سرير، بل على منارة حتى يتسنّى للجميع أن ينظروا النور. فالربّ، بتلقينه التلاميذ مبادئ ملكوت الله، كان بذلك ينير سراجًا. لكن، ماذا كانوا سيفعلون بهذا السراج؟

أولاً، كان عليهم ألاّ يغطّوه بإناء. وهذا الإناء ورد الحديث عنه بصفته مكيالاً في كل من متى ٥: ١٥، ومرقس ٤: ٢١، ولوقا ١١: ٣٣. والمكيال هو، بالطبع، وحدة كَيْل معتمدة في عالم التجارة. لذا فإن إخفاءنا السراج تحت المكيال قد يشير إلى سماحنا لشهادتنا بأن تخبو في خضمّ صخب أعمالنا اليومية. وكان من الأفضل لنا أن نجعل السراج فوق المكيال، أي أن نمارس مسيحيتنا في السوق، ونجعل مصلحتنا بمثابة منبر لنشر رسالة الصليب.

ثانيًا، ينبغي للتلميذ ألاّ يخفي سراجه تحت سرير. والسرير يشير هنا إلى الراحة، والرفاهية، والكسل، والانغماس في الأمور العالمية. وكم باستطاعة هذه العوامل أن تمنع النور من الإضاءة. لكن يجدر بالتلميذ أن يضع السراج على منارة. وبكلمة أخرى، عليه أن يعيش ويكرز بالحق، بالطريقة التي تتيح للجميع أن يروا الأمور الروحية ويدركوها.

٨: ١٧ يوحي العدد ١٧، على ما يبدو، بأنه في حال سماحنا بتقييد الرسالة وشلّ عملها، بسبب اعتبارات تتعلق بأشغالنا أو بسبب كسلنا، فإن إهمالنا هذا وكسلنا، لا بدّ من أن يظهرا. وهكذا سيظهر إخفاؤنا للحق، كما أن كتماننا له سيُعلن.

٨: ١٨ من هنا ضرورة سهرنا على الطريقة التي بها نسمع. فإذا كنّا أمناء في مشاركة الآخرين في الحق، عندئذ سيعلن لنا الله حقائق جديدة وأعمق بعد. لكننا إذا افتقرنا إلى هذه الروح الغيورة لأجل تبشير الآخرين، فسيحرمنا الله الحق الذي نظنّ أنّه لنا. فنحن نفقد ونخسر كل ما لا نستخدمه. وقد علّق ج. هـ. لانج *G. H. Lang* على هذا بالقول:

> كان التلاميذ يُصغون إلى تعاليم الرب بذهن متّقد، وبقابلية للفهم، وباستعداد كليّ للإيمان والطاعة. أمّا الآخرون فكانوا يُصغون بتوانٍ وكسل، أو من قبيل الفضولية وحبّ الاستطلاع، أو بعزم ثابت على مقاومة هذه التعاليم. فالقسم الأول من السامعين كانوا سيحصلون على المزيد من المعرفة، في حين سيُجرّد القسم الثاني من أية معرفة كان يظن أنها من نصيبه.

> إن أردنا أن نحتفظ، علينا أن نشارك النفوس
> بهذا الأمر الصالح الذي من فوق، من عند القدوس
> فإذ نكف عن العطاء نكف كذا عن الامتلاك
> هذا الأمر للمحبة ناموس

ر.س.ترنش *R. C. Trench*

ك. أم يسوع وإخوته الحقيقيون (٨: ١٩-٢١)

الآن أُحيط يسوع علمًا بأن **امّه وإخوته** كانوا ينتظرون في الخارج، ويريدون رؤيته. لم **يقدروا** أن يقتربوا إليه **بسبب الجمع**. أمّا الرب، وفي معرض ردّه على ذلك، فاعتبر أن العلاقة الحقيقية به لا تعتمد على الروابط العائلية الطبيعية، بل بالحري على الطاعة **لكلمة الله**. ففي نظره، أعضاء عائلته هم جميع المرتعدين من كلامه، الذين يقبلونه بوداعة، ويطيعونه فورًا. لذا لا يستطيع أي جمع مهما بلغ عدده، أن يمنع عائلته الروحية من الاقتراب إليه.

ل. ابن الإنسان يهدّئ العاصفة (٨: ٢٢-٢٥)

٨: ٢٢ في ما تبقى من هذا الفصل، أظهر يسوع سيادته على الطبيعة، كما أيضًا على الأرواح الشريرة، وعلى المرض، بل أيضًا على الموت. فهذه جميعها تطيع قوله، فيما الإنسان وحده يعصيه.

قد يتعرض بحر الجليل فجأة لهبوب رياح عاصفة، الأمر الذي يجعل الملاحة فيه خطرة. إنما هذه العاصفة بالتحديد، لعلها حصلت بتحريضٍ شيطانيّ، وذلك في محاولة للقضاء على مخلّص العالم.

٨: ٢٣ كان الربّ يسوع **نائمًا** عندما هبّت العاصفة؛ وهذا الواقع يأتي ليثبت حقيقة ناسوته الفعلي. لكن ما أن تكلم الربّ يسوع حتى نامت العاصفة هذه المرة؛ وهذا الأمر إنّما يُثبت حقيقة ألوهيّته المطلقة.

٨: ٢٤ **أيقظ** التلاميذ المخلّص، وذلك في خشيتهم على سلامتهم. فقام بكل رباطة جأش، **وانتهر الريح** والموج، فأصبح كل شيء هادئًا. وما فعله الربّ لبحر الجليل، ما يزال باستطاعته فعله اليوم لكل مؤمن مضطرب تتقاذفه رياح هذه الحياة.

٨: ٢٥ ثم سأل الرب التلاميذ: «**أين إيمانكم؟**» كان عليهم ألا يقلقوا. كما أنه لم يكُن من داعٍ إلى إيقاظه. "فما من مياه تقدر أن تبتلع مركب فيها ينام سيّد البحر والأرض والسماوات". فوجودنا مع المسيح في السفينة، يعني أننا ننعم بحالة من الأمان المطلق.

لم يقدّر التلاميذ تمامًا مدى جبروت سيّدهم. فإدراكهم لشخصه كان ما يزال ناقصًا. لذا تعجّبوا عندما رأوا الطبيعة تطيعه. أنهم في هذا الأمر، لا يختلفون

كثيرًا عنّا. ذلك لأننا أمام عواصف الحياة، غالبًا ما نُصاب بالقنوط والفشل. ثم متى هبّ الربّ لنجدتنا، يُدهشنا إستعلان قدرته العظيمة. كما أننا نخجل من نفوسنا، بسبب تقصيرنا في الوثوق به على نحوٍ أكمل.

م. *شفاء مجنون كورة الجدريين* (٨: ٢٦-٣٩)

٨: ٢٦، ٢٧ وصل يسوع وتلاميذه إلى شاطئ مقاطعة **الجدريين**، فلاقاهم هناك رجل مسكون **بالشياطين**. والبشير لوقا لا يذكر إلاّ رجلاً واحدًا فيما يتحدث البشيران متى ومرقس عن رجلين مسكونين بالشياطين. إن فوارق كهذه قد تشير إلى حادثتين مختلفتين، أو إلى كون أحد البشيرين قد سرد القصة بشكل مفصّل أكثر من الآخرين. وكانت الشياطين قد جعلت هذا الرجل يتخلّى عن **ثيابه**، ويهجر المجتمع، لكي يعيش **في القبور**.

٨: ٢٨، ٢٩ فلمّا رأى يسوع، راح يتوسّل إليه لكي يدعه وشأنه. وبالطبع، كان **الروح النجس** هو المتكلّم بواسطة هذا الرجل المسكين.

إن سكنى الشيطان داخل الإنسان هو أمر حقيقي. لذا لم يكن هؤلاء الشياطين مجرّد تأثيرات، بل كانوا كائنات روحية سكنت هذا الإنسان، مسيطرة بذلك على كل من أفكاره، وكلامه، وسلوكه. وكان هذا الصنف المحدّد من الشياطين قد حوّل هذا الرجل إلى إنسان متوحّش جدًّا، حتى إنه تمكّن، تحت تأثير إحدى هذه النوبات العنيفة والحادة، من **قطع** الربط التي أُعدّت لكبحه، الأمر الذي أتاح له الفرار إلى **البرية**. وسينتفي منّا كل شعور بالاندهاش، لدى تحققنا من أنه كان يسكن داخل هذا الرجل الواحد عدد من الشياطين يكفي لإهلاك نحو ألفي خنزير (راجع مرقس٥: ١٣).

٨: ٣٠، ٣١ كان اسم هذا الرجل لجئون، بما أنه كان مسكونًا بكتيبة كاملة من **الشياطين**. وهذه الشياطين عرفت أن يسوع هو ابن الله العلي. كما عرفت أيضًا أن مصيرها كان محتومًا، وانه كان لا بدّ للربّ من معاقبتها. لكنها سعت لإرجاء تنفيذ الحكم بحقها، بتوسّلها إلى الربّ **ألاّ يأمرها** بالمضي فورًا **إلى الهاوية**.

٨: ٣٢، ٣٣ ولدى خروجها من الرجل، استأذنت الرب أن يسمح لها بالدخول إلى **قطيع خنازير كثيرة** كانت ترعى **في الجبل** المجاور. سمح لها الربّ بذلك، الأمر الذي أسفر عنه أن **اندفع القطيع من على الجرف إلى البحيرة واختنق** فيها. وما يزال الرب يُنتقد اليوم على تخريب ملكية شخص آخر. إلاّ أنه لو كان رعاة الخنازير هؤلاء من اليهود، لثبت عليهم من جراء ذلك أنهم كانوا يعملون أعمالاً نجسة، وغير مشروعة. كما أنه، سواء أكانوا يهودًا أم أمميين، كان عليهم أن يقدّروا ما لإنسان واحد من قيمة أكثر من ألفي خنزير.

٨: ٣٤-٣٩ انتشر الخبر سريعًا في جميع أرجاء هذه المقاطعة. ولدى احتشاد جمع غفير في المكان، شاهدوا ذلك الرجل الذي كان مسكونًا قبلاً بالشياطين، وقد استعاد الآن عقله وحشمته. فاغتاظ **جمهور كورة الجدريين** جدًّا ممّا حصل، حتى إنهم **طلبوا** إلى الربّ يسوع أن يرحل عنهم. كان اهتمامهم بالخنازير يفوق اهتمامهم بالمخلّص أو بخير نفوسهم الخالدة. وقد لاحظ داربي *Darby* في هذا السياق ما يلي:

> يتوسّل أهل العالم إلى يسوع أن يرحل عنهم، وذلك صونًا لمصالحهم الشخصية، هذه المصالح التي تتأثر بحضور الله وبقدرته أكثر من تأثرها بوجود

لجنون من الشياطين. يُذعن الرب لطلبهم، ويمضي من المكان. أمّا الرجل الذي نال الشفاء، فكان يرجو من القلب أن يلازم الربّ؛ إلاّ أن الربّ يرسله رجوعًا ليشهد لما اختبره من نعمة الله وقوّته.

عندما زار الرب يسوع المدن العشر لاحقًا، كان جمهور من المؤيدين في استقباله (مر٧: ٣١-٣٧). فهل يمكن أن تكون هذه الظاهرة نتيجة أمانة هذا الرجل في شهادته للمسيح؟

ن. إبراء داءٍ مُستعصٍ وإقامة فتاة ميتة (٨: ٤٠-٥٦)

٨: ٤٠-٤٢ رجع يسوع إلى الشاطئ الغربي من بحر الجليل، حيث كانت جماعة غفيرة أخرى في **انتظاره**. **ويايرس، رئيس المجمع**، كان حريصًا، على نحو خاص، على رؤية يسوع، بما أنه كان له بنت لها **نحو اثنتي عشرة سنة**، وكانت تُحتضر. فللوقت، توسّل إلى الربّ يسوع أن يمضي معه بسرعة. إلاّ أن **الجموع زحمته**، معيقة بذلك تقدّمه.

٨: ٤٣ كان وسط الجمع امرأة خَجِلة، وقد أصيبت باليأس بسبب **نزف دم** كان قد ألمّ بها **منذ اثنتي عشرة سنة**. وقد اعترف الطبيب لوقا بأنها كانت قد **أنفقت على الأطباء** كل ما ذخرته في الحياة، مع كل مدخولها، من دون جدوى. (كان مرقس قد أضاف في معرض سرده لهذه الحادثة، ملاحظة مفادها أنّها «صارت إلى حال أردأ»).

٨: ٤٤، ٤٥ لقد شعرت بأنه كان لدى يسوع قوة لشفائها، لذا شقّت طريقها عبر الجموع إلى حيث كان يسوع. ومن ثم انحنت لكي **تلمس هدب ثوبه**، أي الحاشية في الطرف السفلي لرداء الرجل اليهودي آنذاك (عد١٥: ٣٨، ٣٩؛ تث٢٢: ١٢). **وللوقت توقّف النزف**، وشُفيت بالتمام. وبعد هذا حاولت أن تنسلّ من المكان بهدوء، إلاّ أنه أعاقها عن ذلك سؤال طرحه يسوع: **«من لمسني؟»**. هذا السؤال بدا سخيفًا في نظر **بطرس** وسائر التلاميذ؛ فالناس من كل الأصناف كانوا يحدقون بيسوع ويدفعونه ويلمسونه.

٨: ٤٦ **أمّا يسوع** فكان باستطاعته تمييز لمسة مختلفة عن سواها. وكما قال أحدهم: "الجسد يزحم، أمّا الإيمان فيلمس". لقد علم أن الإيمان **لمسه**، لأنه شعر بقوّة خرجت منه، هذه القوة التي شفت المرأة. وبالطبع، لا يُقصد هنا أنه أصبح الآن أقل اقتدارًا مما كان عليه من قبل، بل التركيز هنا هو على أن عملية الشفاء هذه كانت قد كلّفته شيئًا. فهذا الأمر لم يخلُ من إنفاق.

٨: ٤٧، ٤٨ جاءت هذه المرأة **مرتعدة أمامه**، شارحة له السبب الذي دفعها إلى لمسه، ومقدّمة شهادة لما حصل لها. فكافأها الرب يسوع على اعترافها العلني هذا، بمدحه **إيمانها** جهارًا، وبإضافته **سلامه** عليها علنًا. فما من أحد يمكن أن يلمس يسوع بالإيمان، من دون أن يحصل من جراء ذلك على بركة، ومن دون معرفة الربّ بذلك؛ كما أنه ما من أحد يعترف بالربّ علنًا، إلاّ ويؤيّده الربّ بالقوة إذ يؤكّد له الخلاص.

٨: ٤٩ من المرجّح أن عملية إبراء هذه المرأة النازفة الدم لم تؤخّر الرب كثيرًا، إلاّ أن الوقت الذي استغرقته، كان كافيًا لقدوم أحد الرسل حاملاً إلى يايرس نبأ **موت ابنته**، حتى إنه لم يعد في حاجة إلى خدمات المعلّم. لقد كان هناك إيمان بقدرته على الشفاء، ولكن ليس على إقامة الموتى.

٨: ٥٠ إلاّ أن يسوع ما كان لينصرف من المكان بهذه السهولة. لذا خاطب الأب بكلمات تعزية، وتشجيع، وبوعد: «**لا تخف، آمن فقط فهي تُشفى**».

٨: ٥١ـ ٥٣ ما إن وصل الربّ يسوع إلى البيت حتى دخل الغرفة مصطحبًا معه بطرس، ويعقوب، ويوحنا وحدهم، بالإضافة إلى والدَي الفتاة. كان الجميع يولولون من شدة الحزن، إلاّ أن الربّ يسوع دعاهم إلى الكفّ عن ذلك بما أن الفتاة **لم تمت لكنها نائمة**. وهذا جعلهم يسخرون منه، بما أنهم كانوا متيقّنين **موتها**.

هل كانت حقًّا ميتة، أم هل كانت تغط في نوم عميق هو أشبه بالغيبوبة؟ يجمع معظم الدارسين على أنها كانت ميتة. وهم يستشهدون في هذا الصدد بتصريح يسوع بأن لعازر قد نام، بمعنى أنه مات. أما السير روبرت اندرسن *Sir Robert Anderson* فيعتبر أن الفتاة لم تمت فعلاً. وحجّته في هذا الأمر، تأتي على الشكل التالي:

١ـ كان الرب يسوع قد قال عن الفتاة إنها «ستُشفى». وقد استخدم هنا اللفظة نفسها المذكورة في العدد ٤٨ من هذا الفصل، حيث الإشارة هناك هي إلى الشفاء، وليس إلى القيامة من الموت. كما أن كتاب العهد الجديد لا يستخدم البتّة هذه اللفظة بمعنى القيامة.

٢ـ كان الرب يسوع قد اعتمد كلمة أخرى للإشارة إلى النوم، عند إشارته إلى موت لعازر.

٣ـ ظنّ الناس أنها كانت ميتة، لكن يسوع لم يكن يرضى أن يعزى إليه فضل إقامتها من الموت، في حين كان يعرف أنها لم تكن سوى نائمة.

ثم يعتبر اندرسن أن المسألة تتعلّق بالجهة التي تريد أن تصدقها: فالرب يسوع قال إنها كانت نائمة، بينما زعم الآخرون معرفتهم بموتها.

٨: ٥٤ـ ٥٦ وعلى كل حال، خاطب يسوع الفتاة بالقول: «**يا صبية قومي**». **فقامت للحال**. ثم أعادها الربّ إلى ذويها، ودعاهم إلى عدم إذاعة خبر هذه المعجزة. فلا الوجاهة، ولا الحماسة الشعبية المزيّفة، ولا الفضولية الكسولة، كانت لتهمّة بأي شكل من أشكال.

وبهذا تنتهي السنة الثانية من خدمة يسوع الجهارية. وهكذا يستهل الفصل التاسع بإرسالية الاثني عشر.

س. ابن الإنسان يرسل تلاميذه (٩: ١ـ ١١)

٩: ١، ٢ هذه الحادثة تشبه، إلى حد كبير، إرسالية الاثني عشر في متى ١٠: ١ـ ١٥، إلاّ أن هذين النصين لا يخلوان من بعض الفوارق الجديرة بالانتباه. ففي متى مثلاً، لم يدعُ التلاميذ إلى الذهاب إلى اليهود فقط، كما أنه كانت قد أنيطت بهم مهمة إقامة الموتى، بالإضافة إلى **شفاء الأمراض**. فلا بد من وجود سبب وراء هذه الصيغة الموجزة في لوقا؛ إلاّ أن هذا السبب ليس واضحًا. والرب لم يكن يملك القوة والسلطان على صنع المعجزات وحسب، بل أعطى آخرين أيضًا هذه **القوة والسلطان**. **فالقوة** تعني القدرة أو المهارة، بينما يشير **السلطان** إلى الحق في استخدام ذلك. فقبل وجود الكتاب المقدس الكامل في صيغته المكتوبة، كان قد تمّ تثبيت رسالة التلاميذ، بواسطة الآيات والعجائب (عب٢: ٣، ٤). صحيح أن الله يقدر أن يشفي، بشكل معجزي، لكن القول بضرورة أن يبقى الشفاء يرافق عملية الكرازة بالإنجيل هو بالطبع من المسائل المشكوك فيها.

٩: ٣ - ٥ والآن ستُتاح أمام التلاميذ فرصة ممارسة المبادئ التي كان الرب قد لقنهم إياها. ذلك لأنه كان يترتب عليهم الوثوق به لجهة سدّه احتياجاتهم المادية: كان عليهم ألاّ يحملوا معهم **لا مزودًا، ولا طعامًا، ولا فضّة**، بل أن يعيشوا بالحري حياة بسيطة جدًّا، وخالية من أية مواد أو ثياب إضافية. كذلك كان ينبغي لهم أن **يقيموا في أول بيت** يستضيفهم، ولا يتنقّلوا من مكان إلى آخر على أمل الظّفر بموضع مريح أكثر. ومن جهة أخرى، كان عليهم ألاّ يمدّدوا إقامتهم لوقت طويل، وألاّ يمارسوا ضغوطًا على الذين يرفضون الرسالة، بل يكتفوا بالحري **بنفض الغبار عن أرجلهم شهادة عليهم**.

٩: ٦ من المفترض أن التلاميذ راحوا في **قرى الجليل يكرزون بالإنجيل، ويشفون المرضى**. والجدير ذكره أن رسالتهم كانت تتعلق بالملكوت، أي الإعلان عن حضور الرب الملك في وسطهم، وعن استعداده للسيادة على شعب تائب.

٩: ٧ كان **هيرودس** انتيباس **رئيس الربع** في الجليل وبيرية في ذلك الوقت. وهكذا كان يملك على ربع المملكة التي كانت واقعة تحت سيطرة أبيه هيرودس الكبير. وهيرودس الابن هذا، بلغه الخبر عن شخص كان يصنع معجزات عظيمة ضمن المقاطعة الواقعة تحت هيمنته. وللوقت اضطرب ضميره، وازدحمت فيه الأسئلة. فذكرى **يوحنا** المعمدان كانت ما تزال تقلقه وتُقضّ مضجعه. ذلك لأن هيرودس سبق له أن أبكم ذلك الصوت الشجاع والذي لا يعترف الخوف، من طريق قطع رأس يوحنا، إلاّ أن قوة تلك الحياة كانت ما تزال تلاحقه وتطارده. فمن كان هذا الشخص الذي دفع هيرودس إلى التفكير باستمرار في يوحنا؟ إلى ذلك، كان هناك **قوم** أشاعوا خبرًا مفاده أن **يوحنا قد قام من الأموات**.

٩: ٨، ٩ وآخرون ظنّوا أن ذلك الشخص كان **إيليا، أو نبيًّا** آخر من أنبياء العهد القديم. لقد حاول هيرودس أن يهدئ من روع نفسه القلقة بتذكيره الآخرين بأنه هو الذي كان بنفسه قد أمر **بقطع رأس** يوحنا المعمدان. وعلى الرغم من كل هذا، لازمه الخوف. **فمن هو هذا** الرجل على كل حال؟ لذا، **كان يطلب أن يراه**، إلاّ أنه لم يكن ليتسنّى له ذلك إلاّ قُبيلَ صلب المخلّص.

فما أقوى الحياة المملوءة بالروح القدس! فالرب يسوع، نجّار الناصرة المغمورة، جعل هيرودس يرتجف، وذلك مع كونه لم يقابله قط. لذا، حذار التقليل من شأن أي شخص مملوء بالروح القدس!

٩: ١٠ عندما **رجع الرسل**، رفعوا للرب يسوع مباشرةً تقريرًا عن نتائج مهمتهم. ولعل هذا النهج هو أفضل ما يصلح لجميع المؤمنين العاملين في حقل الرب. فالقيام بالدعاية عن الخدمة، غالبًا ما يقود إلى الغيرة والشقاقات. وقد علق ج. كامبيل مورجن *G. Campbbell Morgan* على هذا بالقول: "إن شغفنا بالإحصاءات محوره الذات، ومصدره الجسد، لا الروح". وبعد هذا، أخذ الرب تلاميذه إلى موضع خلاء على مقربة من بيت صيدا (بيت السمك). ويبدو أنه كان هناك في ذلك الوقت مدينتان تحملان هذا الاسم «**بيت صيدا**»، واحدة عند الجهة الغربية من بحر الجليل، والأخرى عند الجهة الشرقية. أما موقع كل مدينة بالتحديد، فهو مجهول.

٩: ١١ سرعان ما خابت كل الآمال بقضاء وقت هادئ معًا. ذلك لأنه تسارع إلى المكان حشد غفير من الناس. فالربّ يسوع كان دائمًا وأبدًا في المتناول. وهو لم يعتبر أن هذا الجمع، بتصرفهم بهذه الطريقة، كانوا قد قاطعوه بشكل مزعج. كما أنه لم يكن، في أي وقت من الأوقات، منشغلاً جدًّا، بشكل لا يسمح بمباركة الآخرين. ففي الواقع، يذكر لنا النص، بصريح العبارة، عن يسوع أنه **قبلهم** (أو رحّب بهم)، وراح يعلّمهم عن ملكوت الله، ويشفي **المحتاجين** إلى شفاء بينهم.

ع. *إشباع الخمسة آلاف* (٩: ١٢-١٧)

٩: ١٢ عند اقتراب المساء، انزعج **الاثنا عشر**. فكل هذا العدد من الناس كانوا في حاجة إلى قوت. الأمر الذي بدا في نظرهم مستحيل. لذا سألوا الربّ أن **يصرف** الجموع. فيا للشبه العظيم بينهم وبين قلوبنا. ففي المسائل التي تتعلق بنا شخصيًّا، يكون لسان حالنا مع بطرس: «مرني أن آتي إليك». لكن، ما أسهل أن نقول عن الآخرين: **اصرفهم!**

٩: ١٣ لم يرضَ يسوع أن يرسلهم إلى القرى المجاورة للحصول على طعام. فلماذا كان على التلاميذ أن يقطعوا مسافات بعيدة لخدمة الناس، ويهملوا في الوقت نفسه أولئك القوم القريبين منهم؟ ليهتمّ التلاميذ إذًا بأمر إطعام الجمع. لكنهم احتجّوا على هذا، على اعتبار أنه لم يكن في حوزتهم سوى **خمسة أرغفة وسمكتين**، متجاهلين بذلك أنهم كانوا يملكون أيضًا موارد الربّ يسوع غير المحدودة التي كانت موضوعة تحت تصرفهم.

٩: ١٤-١٧ اكتفى الرب بالطلب إلى التلاميذ أن يُجلسوا جمهور **الخمسة آلاف رجل** مع النساء والأولاد. ثم بعد رفعه التشكرات، كسر الخبز، وواصل تقديمه للتلاميذ، الذين راحوا بدورهم يوزعونه على الشعب. لقد كان هناك كمية كافية من الطعام لكل واحد. بل في الواقع أنه عند نهاية الوجبة، كان الطعام الذي فضل عن الآكلين أكثر من الطعام الذي كان متوافرًا في البداية. فالخبز الذي فضل ملأ **اثنتي عشرة قفّة**، أي بمعدل قفّة واحدة لكل تلميذ. أمّا أولئك الذين يحاولون إنكار المعجزات، فلا يأتون إلا بلغوٍ فارغ في تعليلاتهم إزاء هذه الحقائق الدامغة.

تزخر هذه الحادثة بالمعاني العميقة للتلاميذ الذين أنيط بهم تبشير العالم. فالخمسة آلاف رجل يمثلون البشرية الهالكة، والتي هي بمسيس الحاجة إلى خبز الله. كما أن التلاميذ يصوّرون المؤمنين الضعفاء، أصحاب الموارد المحدودة حسب الظاهر، وغير المستعدين لمشاركة الآخرين في ما يوجد في حوزتهم. أما أمر الرب: «أعطوهم أنتم ليأكلوا»، فهو ببساطة المأمورية العظمى، إنّما بصيغة أخرى. والمغزى من كل هذا، هو أنه في حال أعطينا الربّ يسوع كل ما عندنا، فهو يتولّى عندئذ تكسيره لإشباع الجموع الجوعى روحيًّا. فهذا الخاتم المصنوع من الماس، وبوليصة التأمين تلك، وهذا الحساب المصرفي، وتلك المعدات الرياضية؛ هذه جميعها يمكن توظيف أثمانها في طباعة أناجيل قد تؤدي بدورها إلى خلاص نفوس، هذه النفوس التي ستصبح بدورها تعبد حمل الله إلى أبد الآبدين.

كان بالإمكان تبشير العالم من خلال هذا الجيل، إن كان المؤمنون على استعداد لتسليم المسيح كل ما هم عليه وكل ما لديهم. وهذا هو المغزى العميق من حادثة إشباع الخمسة آلاف هذه.

ف. الاعتراف العظيم الذي أدلى به بطرس (٩: ١٨-٢٢)

٩: ١٨ إن الاعتراف العظيم، الذي أدلى به بطرس في شأن المسيح في قيصرية فيلبس، يأتي مباشرة بعد معجزة إشباع الجموع. تُرى، هل أدّت معجزة الخبز والسمك إلى فتح عيون التلاميذ لرؤية مجد الربّ يسوع بصفته مسيح الله؟ وهذه الحادثة التي وقعت في قيصرية فيلبس تُعتبر، بشكل عام، حدًّا فاصلاً ضمن خدمة المخلّص التعليمية مع الاثني عشر. فحتى هذا الوقت، كان يقودهم، بكل أناة، إلى تقدير شخصه، وما كان باستطاعته فعله فيهم ومن خلالهم. أما الآن، وبعد بلوغه هذا الهدف، فقد أصبح يتحرك بعزم في اتجاه الصليب. وهنا نقرأ عن الرب يسوع أنه كان يصلّي على انفراد. والكتاب لم يذكر قطّ أن المسيح صلّى مع تلاميذه؛ فهو صلّى لأجلهم، وصلّى في حضورهم، كما أنه علّمهم طريقة الصلاة، إلاّ أن حياة الصلاة عنده كانت تختلف عنها عندهم. وبعد فترة من الزمن قضاها في الصلاة، سأل تلاميذه عمّا يقوله فيه الجموع.

٩: ١٩، ٢٠ فأجابوه بأنّ هناك اختلافًا في الرأي بشأنه: فبعضهم يعتبر أنه يوحنا المعمدان،وآخرون ايليا، وفئة أخرى تقول إنه أحد أنبياء العهد القديم وقد قام من الأموات. لكن، ما إن طرح يسوع هذا السؤال على تلاميذه حتى اعترف بطرس، بكل ثقة، بأنه مسيح الله.

إن التعليقات التي دوّنها جيمس ستيورات *James Stewart* على حادثة قيصرية فيلبس هذه، جاءت رائعة على نحو مميّز جدًّا، الأمر الذي حملنا على اقتباسها بإسهاب:

بدأ الربّ بطرح السؤال غير الشخصي: «من تقول الجموع إني أنا؟»، وهذا السؤال لم يكن من الصعب الإجابة عنه، ذلك لأنّ الحديث عن يسوع كان على كل لسان، وكانت قد أشيعت حوله عشرات الآراء. ولم يكن الناس يكتفون بالتحدث عن يسوع، إنما كانوا يقولون أمورًا عظيمة فيه. فبعضهم ظنّ أنه كان يوحنا المعمدان العائد من الأموات، بينما أفاد آخرون أنه ذكّرهم بإيليا، كما تحدّث آخرون عن إرميا أو عن أحد الأنبياء. وبكلمة أخرى، ومع غياب أي إجماع على هوية يسوع، كان هناك إجماع على أنه كان شخصًا عظيمًا. فمكانه كان بين أبطال قومه.

والجدير ذكره أن التاريخ هنا يعيد نفسه. فها هو يسوع، من جديد على كل لسان. كما أن اسمه بات يطرح اليوم على نطاق أوسع بكثير من دائرة الكنيسة المسيحية. والآراء حوله هي متعددة ومتنوعة جدًّا: فالمفكّر بابيني *Papini* يرى في يسوع الشاعر. أما بروس بارتن *Bruce Barton* فيرى فيه رجل الحركة والعمل والنشاط. وملتن موري *Middleton Morry* يرى فيه الرجلَ الصوفيّ. كما أن بعض القوم غير المتحمسين كثيرًا للتعليم المسيحي الصحيح، نجدهم على استعداد للإعلاء من شأن يسوع وترفيعه بصفته المثال الأعلى للقديسين، والرئيس المطلق على جميع القادة في الميدان الأخلاقي. "وحتى في يومنا هذا"، كما كتب جون ستورات مل *John Stewart Mill*، "لن يكون من السهل، حتى على غير المؤمن، أن يجد ما هو أفضل من محاولة العيش بالشكل الذي يرضي المسيح، لنقل شريعة الفضيلة من حالتها المبهمة، وترجمتها إلى الواقع الملموس". إذًا، رجال اليوم، ما يزالون يعتبرون أن يسوع

يتبوأ المرتبة الأولى بين الأبطال والقديسين على مرّ الأجيال وفي كل زمان. إنهم بذلك يحذون حذو أولئك الذين عايشوا يسوع إبّان تجسّده، وقالوا فيه إنه يوحنا، أو إيليا، أو إرميا.

إلاّ أن يسوع لم يرضَ بهذا الإقرار. فالناس رأوا فيه يوحنا، وإيليا، وإرميا. لكن هذا إنما يعني أنه واحد من ضمن مجموعة، وأن هناك أشخاصًا قبله، وأناسًا موازين له. ففي هذه الحال، حتى لو تبوّأ المرتبة الأولى، كان ما يزال الأول بين نظرائه المساوين له. لكن، وبكل تأكيد، لم يكن هذا ما صرّح به مسيح العهد الجديد عن نفسه. فالناس قد يوافقون على صحة هذا التصريح، أو قد يرفضونه، إلاّ أن حقيقة هذا التصريح نفسها لا يمكن أن يرقى إليها أدنى شك. فالمسيح صرّح بأنه شخص لا مثيل له، وليس من يوازيه، أو يضارعه، أو ينافسه، بل هو فريد في نوعه (راجع مثلاً: مت ١٠: ٣٧؛ ١١: ٢٧؛ ٢٤: ٣٥؛ يو ١٠: ٣٠؛ ١٤: ٦).

٩: ٢١، ٢٢ وعلى أثر اعتراف بطرس التاريخي هذا، أوصى يسوع تلاميذه بألاّ يخبروا أحدًا بهذا الأمر، وذلك في معرض تجنّبه كل ما بوسعه عرقلة مسيرته نحو الصليب. ومن ثم، كشف المخلّص النقاب أمام تلاميذه عما كان ينتظره في المستقبل القريب. فإنه كان **ينبغي** له أن **يتألم**، و**يُرفَض** من قادة إسرائيل الدينيين، ويُقتل، ومن ثم يقوم **في اليوم الثالث**. كان هذا الإعلان مدهشًا حقًّا. ولا ننسى أن من نطق بهذه الكلمات كان الرجل البارّ والمنزّه عن الخطإ وحده بين كل من عاشوا أو قد يعيشون على وجه الأرض. لقد نطق بها المسيّا الحقيقي. إنها كلمات الله الذي ظهر في الجسد. ففيها نتعلم أن حياة الشبع، بل الحياة الكاملة والخاضعة لإرادة الله، لا بد من أن تتضمن آلامًا، ورفضًا، مع موت بشكل أو بآخر، تليه قيامة لحياة لا تعرف الموت. إنها الحياة المُهراقة لأجل الآخرين.

كان هذا بالطبع نقيض المفهوم الشعبي لدور المسيّا، كما كان سائدًا. فالناس كانوا يتطلعون إلى قائد عظيم يحطم العدو، ويهدد بإنزال أعنف أشكال العقاب به. لذا، لا بد من أن يكون هذا التصريح قد صدم التلاميذ. لكن، إن كان يسوع بحسب اعترافهم، هو حقًّا مسيح الله، فلا يعود هناك أي سبب لخيبة الأمل أو للفشل. وإن كان هو المسموح من الله، فلا يمكن أن تلحق بقضيته أية هزيمة. كان النصر حليفهم، مهما حصل له أو لهم. إذًا، لا مفرّ من الغلبة ومن تثبيت الحق.

ص. الدعوة إلى حمل الصليب (٩: ٢٣-٢٧)

٩: ٢٣ بعد أن رسم الربّ الخطوط العريضة لمستقبله، دعا تلاميذه إلى اتّباعه. وكان هذا يحتم عليهم ضرورة إنكار ذواتهم وحمل **صليبهم**. وإنكار النفس يعني التنازل طوعًا عمّا يسمّى الحق في التخطيط أو في الاختيار، والاعتراف بربوبيّته وسيادته على كل جانب من جوانب حياتنا. أما **حمل الصليب**، فيعني أننا نختار طوعًا صنف الحياة التي عاشها الربّ. وهذا يتضمن:

- مقاومة الأحباء.
- تعيير العالم.
- ترك العائلة، والبيت، والأراضي، وترفُّه هذه الحياة.
- الاتكال الكليّ على الله.
- الطاعة لإرشاد الروح القدس.
- إذاعة رسالة غير مُرحَّب بها عند العامّة.
- السير في درب موحش.

- هجومات منظمة، مصدرها القادة الدينيون الرسميّون.
- التألُّم من أجل البرّ.
- التعرُّض للإهانة والخجل.
- بَذل الحياة لأجل الآخرين.
- الموت عن الذات وعن العالم.

إلا أنّ ذلك يتضمن أيضًا الإمساك بالحياة، الحياة الفعليّة. كما أنه يعني العثور على السبب الكامن وراء وجودنا، ويعني أيضًا نوال المجازاة الأبدية. ونحن، من جهتنا، ننفر بالفطرة من الحياة التي تستلزم حمل الصليب. كما أن أذهاننا تقاوم تصديق فكرة أن هذا النوع من الحياة قد يكون إرادة الله لنا. ومع هذا، فإن كلمات المسيح «إن أراد أحد أن يأتي ورائي»، تفيد أن لا أحد معذور من هذا الأمر، كما أن لا أحد مستثنى منه.

٩: ٢٤ نحن نميل بشكل طبيعي إلى **تخليص** حيواتنا من خلال موقفٍ أناني، ورتيب، وحقير؛ شعاره الاكتفاء بما نحن عليه. وقد ننغمس في الملذات والشهوات، من خلال تنعّمنا بالرخاء، والرفاهية، والراحة، وبعيشنا ليومنا الحاضر، وبتسخيرنا أفضل ما نملك من مهارات للعالم، مقابل بعض السنوات من الطمأنينة المزيّفة. لكننا بفعلنا هذا، **نهلك** حيواتنا، أو نخسرها، بمعنى أننا نخطئ عن بلوغ الهدف الحقيقي من **الحياة**، مع ما يجب أن يرافقها من متعة روحيّة عميقة. ومن جهة أخرى، قد نُهلك حيواتنا في سبيل المخلّص. وفي هذه الحال، سيعتبرنا الناس مجانين إن كنا نضرب بطموحاتنا الأنانية عرض الحائط، ونطلب أولاً ملكوت الله وبرّه، وإن كنا نسلم نفوسنا للربّ تسليمًا كاملاً، ومن دون أي قيد أو شرط. إلا أن حياة التسليم للرب هذه تشكل الحياة الحقيقية. ففيها من الفرح، ومن النصرة المقدسة على القلق، ومن الشبع الداخلي العميق، ما يعسر وصفه.

٩: ٢٥ لقد أدرك المخلّص، خلال حديثه إلى الاثني عشر، أن الجدّ في أثر الغنى المادي، قد يكون من أعظم العوائق للتسليم الكامل. لذا، صرّح بما معناه: "لنفترض أنه كان باستطاعتك تكويم **كلّ ما في العالم** من ذهب وفضة، واقتناء كل الأملاك الثابتة، وحيازة كل رؤوس أمواله، وصكوك التأمين — أي كل ما له قيمة ماديّة — ولنفترض أنك في معرض سعيك هذا الدؤوب لاكتساب كل هذه الأمور، فاتك أن تدرس الهدف الحقيقي من الحياة، فما الفائدة من كل ذلك؟ فامتلاكك لهذه الأشياء لن يدوم طويلاً، لأنه لا بد من أن تتركها وتتخلّى عنها إلى الأبد. أنها لَصفقة جنونية وبعيدة كل البعد عن العقل السليم، أن تقدم على بيع هذه الحياة الوحيدة، والقصيرة الأمد، مقابل بعض الألعاب الترابية".

٩: ٢٦ ثمة عائق آخر للتسليم الكامل للمسيح، ألا وهو الخجل بالربّ. أنه لأمر بعيد كل البعد عن المنطق أن **يستحي** المخلوق بخالقه، وأن يخجل الخاطئ بمخلّصه. ولكن، من منا بلا لوم؟ لذا وعى الربّ احتمال حصول هذا الخجل، ومضى يُحذّر، بكل جديّة، منه. فإذا ما تجنّبنا هذا الخجل بعيشنا حياة مسيحية اسمية، أو بمشاكلتنا للمجتمع، **فعندئذٍ سيستحي ابن الإنسان بنا متى جاء بمجده ومجد** أبيه، ومجد ملائكته القديسين. لقد ركزّ الربّ على مجد مجيئه الثاني المثلّث البهاء، وكأنه أراد بذلك أن يقول إن كل عارٍ نتحمله لأجله الآن، سيبدو كلا شيء، لدى ظهوره في المجد، وذلك بالمقارنة مع العار الذي سيلحق بالذين ينكرونه الآن.

٩: ٢٧ إن كلام الرب عن مجده يشكّل الرابط لما يلي. لـذا، أخذ يتنبّأ الآن بأن **قومًا** من التلاميذ الواقفين معه، كانوا **سـيرون ملكـوت** الله قبل مماتهـم، الأمر الذي تمّ في الأعـداد ٢٨-٣٦، أي في حادثـة التجلّـي. وهؤلاء التلاميذ كانوا بطرس، ويعقوب، ويوحنا. وقد تسـنّى لهم أن يشاهدوا لمحة مسـبقة عمّا ستكون عليه الأمور متى أسس الربّ يسوع ملكوته على الأرض. وفي هذا السـياق، ذكر بطرس ما يلي في رسـالته الثانية: «لأننا لم نتبـع خرافات مصنّعة إذ عرفناكم بقوة ربّنا يسـوع المسـيح ومجيئه، بل قد كنّا معاينـين عظمته. لأنه أخذ مـن الله الآب كرامة ومجدًا، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السـماء، إذ كنا معه في الجبل المقدس» (٢بط١: ١٦-١٨).

ولنلاحظ التسلسـل المنطقي لتعليم الربّ في هذا النص. فهو كان قد ابتدأ بالكلام عمّا كان ينتظره من رفض، وألم، وموت. ثم دعا تلاميذه إلى اتّباعه في حياة تتسـم بنكران النفس، والتألّم والتضحية. وها هو الآن يخاطبهم بمـا معناه: "لكن، تذكّروا جيّـدًا أنه إن كنتم تتألّمون معي، فسـتملكون أيضًا معـي. فبعد الصلب، هناك المجد. والمجازاة هي أعظم بكثير من التضحية".

ق. تجلّي ابن الإنسان (٩: ٢٨-٣٦)

٩: ٢٨، ٢٩ بعـد هـذا بنحـو ثمانية أيام، أخذ يسـوع بطـرس ويوحنـا ويعقـوب وصعـد إلى جبـل ليصلّـي. إن موقـع هذا **الجبل** غير معروف، مـع أنه قد يكون جبل حرمون العالـي، والمكلّل بالثلـوج. بينما كان الربّ يصلّـي، راحت **هيئتـه** الخارجية تتغيّر. فيـا للحقيقة المدهشـة: إن الصلاة، من جملة مـا تغيّره، تحدث تغييرًا في هيئة المصلّي. لقد أشرق **وجهه** ببهاء لامع، فيما شعّ **ثوبـه** ببياض باهر. وكما أسـلفنا، كان هذا بمثابة لمحة مسـبقة عن مجد المسيح خلال ملكوته الآتي. فجسده المادي غالبًا ما كان يحجب هذا المجد إبّان تجسّـده. لقد عـاش هنا حيـاة التذلّل، وكان أشـبه بالعبـد؛ إلا أن مجده سيُسـتعلن بالتمام خلال الملك الألفي. حتى أنه سيتسنّى للجميع معاينته في كل بهائه وعظمته.

وقد علّق و.هـ.رودجرز *W. H. Rogers* على هذه الحادثة ببراعة، بهذه الكلمات:

> تـبرز، في حادثـة التجلّـي، بشـكل مصغّر، جميع سمـات الملكـوت الآتي. فنحن نـرى الربّ مكتسـيًا بالمجد، لا بأسمال التذلـل. كما أننا نعاين موسـى ممجّدًا، وهو يمثل جماعـة المؤمنين المُخلّصين الذيـن انتقلوا من المـوت إلى الملكـوت. كذلك نلاحـظ إيليا محاطًـا بالمجد، وهو الـذي يمثل جماعة المفديـين الذيـن نقلهم الـربّ ودخلـوا الملكوت بالاختطـاف. وهناك أيضًا ثلاثـة تلاميذ، بطرس، ويعقـوب، ويوحنا، لم يتمجّـدوا بعد، وهم يمثلون إسرائيل في الجسـد، خلال الحكم الألفي. كذلك هناك الجموع عن أسفل الجبل، والذين يرمزون إلى الأمم الذين سيُدخَلون الملكوت بعد إقامته.

٩: ٣٠، ٣١ موسـى وإيليـا تكلّما مع الربّ يسـوع عن **خروجه الذي كان عتيدًا أن يكمله في أورشـليم.** ولنلاحظ هنا أن موت المسـيح اعتُبِر بمثابـة إنجاز كان قد كمّله. كما أن هذا الموت لم يكن سوى مجرد خروج. فالمسيح لم ينقطع عن الوجود، بل انتقل من مكان إلى آخر.

٩: ٣٢، ٣٣ كان النعاس قد غلب على التلاميذ خلال حصول هذا كله. وقد علّق على هذا الأسقف رايل بالقول:

يجدر بنا أن نذكر أن التلاميذ الذين ناموا في أثناء إحدى رؤى المجد، كانوا هم أنفسهم الذين وُجِدوا نائمين خلال مرحلة الجهاد المرير في بستان جتسيماني. إذًا، لا بدّ للحم والدم أن يطرأ عليهما تغيير قبل أن يتسنّى لهما دخول السماء. ذلك لأن أجسادنا الضعيفة والحقيرة تبقى عاجزة عن السهر مع المسيح في ساعة تجربته، وأن تستمر صاحية ومستيقظة معه خلال تمجيده. إن استمتاعنا بالسماء يجب أن يسبقه تغيير كليٌّ يتناول بُنيتنا الجسدية.

فلما استيقظوا، رأوا مجد المسيح في بهائه المشرق. **وبطرس**، في سعيه للمحافظة على قدسية هذه الواقعة، اقترح تشييد **ثلاث مظال** أو خيم، واحدة إكرامًا للمسيح، **وواحدة لموسى، وواحدة لإيليا**. إلا أن فكرته هذه كانت مبنيّة على الغيرة الخالية من المعرفة.

٩: ٣٤-٣٦ **صار صوت الله من السحابة** التي اكتنفتهم، معلنًا أن يسوع هو **ابن الله الحبيب**، وداعيًا الجميع إلى **الاستماع له**، أو إطاعته. وما إن توقّف **الصوت** عن الكلام، حتى اختفى موسى وإيليا، وبقي الربّ يسوع وحده في المكان. وهكذا سيكون الحال في الملكوت: فيسوع هو الذي سيكون المتقدّم في كل شيء ومجده لن يشاركه فيه أحد.

غادر التلاميذ المكان وقد انتابهم شعور عميق بالمهابة والخوف جعلهم يسكتون عن بحث هذه الحادثة مع الآخرين.

ر. *شفاء الولد المسكون بالشياطين* (٩: ٣٧-٤٣أ)

٩: ٣٧-٣٩ عاد يسوع وتلاميذه **في اليوم التالي**، من جبل المجد إلى وادي الاحتياج البشري. فالحياة لا تخلو من لحظات الرفعة الروحية، ثم تأتي دورة الحياة اليومية مع ما يتخلّلها من أتعاب وضيقات، لتوجِد عندنا شيئًا من التوازن، وذلك بترتيب إلهي. وإذا بأبٍ شديد الاضطراب، **يخرج من بين الجموع التي جاءت لاستقبال** يسوع، وقد جاء متوسّلاً إليه أن يساعد **ابنه** المسكون بالشياطين. كان هذا الولد **وحيده**، وبالتالي مسرّة قلبه. فأي حزن لا يوصف كان يمتلك كيان هذا الأب لدى معاينته ابنه، فلذة كبده، وهو يعاني نوبات شيطانية. وكانت هذه النوبات تنتابه فجأة، ومن دون سابق إنذار. وكان الولد تحت وطأتها يصيح ويزبد. ولم يكن الشيطان ليفارقه إلا بعد صراع مرير، إذ يتركه وهو محطّم تمامًا.

٩: ٤٠ كان هذا الأب المفجوع قد قصد **التلاميذ** قبلاً للمساعدة، إلا أنهم عجزوا عن ذلك. لكن ما الذي يقف وراء عجز التلاميذ هذا؟ لعلّهم اصبحوا يخدمون بشكل رتيب، وذلك على غرار الحرفيين الذين ألِفوا عملهم. أو ربما ظنّوا أنه كان باستطاعتهم أن ينعموا بخدمة قوية ومملوءة بالروح القدس، من دون الحرص على المواظبة على الخضوع للتدريبات الروحية اللازمة. وقد يكونون أيضًا ينظرون إلى الأمور كثيرًا من قبيل تحصيل الحاصل.

٩: ٤١ هذا المشهد بجملته، أحزن الرب **يسوع**. لذا قال، من دون تسمية أي شخص أو أية جهة بالتحديد:

«**أيّها الجيل غير المؤمن والملتوي...**». ربّما يكون قد وجّه كلامه هذا إلى التلاميذ، أو إلى الجمع، أو إلى الأب، أو إليهم جميعهم؛ فالجميع كانوا عاجزين جدًّا تجاه حاجات الناس، وذلك على الرغم من أنه كان باستطاعتهم الاستقاء من موارد قوة الربّ غير المحدودة. **فإلى متى** عليه أن يبقى **معهم** ويحتملهم؟ ثم خاطب الأب بالقول: «**قدّم ابنك إلى هنا**».

٩: ٤٢، ٤٣أ وبينما كان الفتى **آتيًا** إلى يسوع، أمسكه **الشيطان** وطرحه أرضًا بعنف. إلاّ أن الربّ يسوع لم يروّعه كثيرًا هذا المظهر من مظاهر قدرة الروح الشرير. فعدم الإيمان هو الذي كان يعيقه أكثر من القوة الشيطانية. فانتهر الروح النجس، وأخرجه، وهكذا **شُفي الصبي وسلّمه إلى أبيه**. وعلى أثر ذلك، **بُهت الناس**. لقد أدركوا أن الله قد صنع معجزة. ورأوا في هذه المعجزة إعلانًا عن **عظمة الله**.

ش. ابن الإنسان يتنبّأ بموته وقيامته (٩: ٤٣ب-٤٥)

٩: ٤٣ب، ٤٤ قد يتبادر إلى ذهن التلاميذ أن سيّدهم كان سيواصل صنع المعجزات إلى أن تبايعه الأمّة بجملتها ملكًا عليها. لذا جعل الربُّ يذكّرهم هنا بأنه كان على **ابن الإنسان أن يسلَّم إلى أيدي الناس**، أي أن يُقتل.

٩: ٤٥ لِمَ فاتهم أن **يفهموا** معنى هذه النبوّة؟ ذلك لأنهم، ببساطة، عادوا إلى التفكير في المسيّا بصفته بطلاً قوميًّا. وفي ظنّهم أن موته كان يعني هزيمتهم وخسارة القضيّة. كانوا يعلّقون عليه آمالاً عظيمة، جعلتهم عاجزين عن مراعاة أي فكر مناقض لهذا. فالله لم يكن هو المسؤول عن إخفاء الحق عنهم، بل بالحري عزمهم على رفض الإيمان. ومن جهة أخرى، **خافوا** حتى طلبَ المزيد من الإيضاحات، وكأنهم كانوا يخشون أن تتحقق هواجسهم.

ت. العظمة الحقيقية في الملكوت (٩: ٤٦-٤٨)

٩: ٤٦ لم يكن التلاميذ يتوقّعون حلول الملكوت المجيد قريبًا وحسب، بل كانوا توّاقين أيضًا إلى شَغل مراكز عظيمة في الملكوت. وكانوا قد بدأوا منذ الآن يتجادلون حول من عساه **الأعظم فيهم**.

٩: ٤٧، ٤٨ إلاّ أنّ الربّ **يسوع**، العالِمَ بالمسألة التي كانت تزعجهم، أحضر ولدًا إليه، وأوضح أن كل من يقبل ولدًا باسمه، يكون بذلك قد قبله هو شخصيًّا. قد يبدو، أوّلَ وهلة، أنْ لا علاقة البتة لكل هذا، بمسألة العظمة التي كانت تدور في خَلَد التلاميذ. إلاّ أن هذه العلاقة، وعلى الرغم من عدم وضوحها، تظهر كأنها على الشكل التالي: إن المحبة الحقيقية تكمن في الاهتمام، بدافع المحبة، بالصغار وبالضعفاء وبكل من يتجاوزهم العالم. لذا، فإن يسوع بقوله: «**إن الأصغر فيكم جميعًا هو يكون عظيمًا**»، كان يشير إلى من أخلى نفسه للالتصاق بمؤمنين مرفوضين ولا قيمة لهم.

وفي متى ١٨: ٤، صرح الربّ بأن الأعظم في ملكوت السماوات هو الذي يضع نفسه، على شاكلة الولد الصغير. أما هنا في إنجيل لوقا، فالأمر يتعلق بالتشبّه بالأصغر بين أولاد الله. والإشارة في كلتا الحالتين هي إلى ضرورة التحلّي بالتواضع، وذلك على غرار شخص المخلِّص نفسه.

ث. ابن الإنسان يمنع التعصّب الطائفي (٩: ٤٩، ٥٠)

٩: ٤٩ هذه الحادثة توضح، على ما يبدو، ذلك التصرّف الذي كان الرب لتوّه قد دعا تلاميذه إلى ضرورة تجنّبه. كالوا قد قابلوا رجلاً **يخرج الشياطين باسم يسوع. فمنعوه** لا لأي سبب أفضل من أنه لم يكن يتبعهم. وبكلمة أخرى، لقد رفضوا قبول واحد من أولاد الله باسم الربّ. كانوا متعصّبين، وضيّقي الآفاق. كان حَريًّا بهم أن يفرحوا ويبتهجوا بإخراج الشياطين من الناس. كما أنه كان يجدر بهم ألاّ تتملّكهم الغيرة من أي شخص أو أية جماعة كان باستطاعتها إخراج عددٍ من الشياطين أكثر منه. لذا وجب على كل تلميذ الاحتراز من هذا الميل إلى الاحتكار، وإلى حصر القوة والمكانة الروحية بشخصه وحده.

٩: ٥٠ فقال له يسوع: «لا تمنعوه لأن من ليس علينا فهو معنا». إذًا، لا مجال البتة لاتخاذ موقف الحياد في ما يتعلق بشخص المسيح وبعمله. فالناس الذين ليسوا مع المسيح، هم بطبيعة الحال عليه. وقد كتب أ. ل. وليامس *A. L. Williams* بصدد الخدمة المسيحية ما يلي:

> على المؤمنين الصادقين أن يتذكروا باستمرار أنه متى قام أناس من الخارج بأي شيء باسم المسيح، فيجب أن تُعَدّ هذه الأعمال تأييدًا لقضية المسيح... لقد تضمن جواب الربّ، حقيقة عميقة وواسعة النطاق. فما من جماعة أرضية، مهما بلغت درجة قداستها، باستطاعتها أن تحتكر وحدها القدرات الإلهية المرتبطة حتمًا باستخدام اسم الرب عن حق وبإخلاص.

٧ـ ازدياد حدّة المقاومة لابن الإنسان (٩: ٥١– ١١: ٥٤).

أ. السامرة ترفض ابن الإنسان (٩: ٥١ـ ٥٦)

٩: ٥١ كان زمن صعود يسوع إلى السماء قد اقترب. وكان هو يعرف ذلك جيّدًا. ومن جهة أخرى، علم أن لا مفرّ من الصليب. لذا انطلق بعزم نحو أورشليم غير آبه لكل ما ينتظره هناك.

٩: ٥٢، ٥٣ وفي الطريق، لم ترحب إحدى القرى للسامريين بابن الله. فسكانها عرفوا أنه كان متوجّهًا إلى **أورشليم**، الأمر الذي كان كافيًا، في نظرهم، لاعتراض سبيله. وعلى كل حال، كانت العداوة على أشُدّها بين السامريين واليهود. كانوا غير مستعدين **لقبول** ربّ المجد، وذلك بسبب **تعصّبهم** الطائفي، وتحيُّزهم، وكبريائهم العرقية.

٩: ٥٤ـ ٥٦ أسخط تصرّفهم هذا يعقوب ويوحنا، حتى عرضا أن يطلبا أن **تنزل نار من السماء** وتفني هؤلاء القوم. لكن يسوع سارع إلى **انتهارهم**. فهو **لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليخلّص**. كانوا يعيشون في سنة الربّ المقبولة، كما أن يوم النقمة لإلهنا لم يكن قد حضر بعد. لذا كان يجدر بهم أن يتّسموا بالنعمة، لا بالرغبة في الأخذ بالثأر والانتقام.

ب. عوائق للتلمذة (٩: ٥٧ـ ٦٢)

٩: ٥٧ يطالعنا في هذه الأعداد، ثلاثة أشخاص يُبدون استعدادًا للتلمذة ليسوع، وهم يوضّحون لنا ثلاثة من أبرز العوائق التي تمنع أي اتّباع قلبي للرب. فالرجل الأول كان واثقًا برغبته في اتّباع يسوع حيثما توجّه. فهو لم ينتظر حتى يدعوه الرب، بل اندفع بتهوّر في هذا الاتجاه. كان واثقًا

بنفسه، ومتحمّسًا أكثر من اللازم، وغير آبه للثمن المترتّب على تصميمه هذا. كما أنه لم يكن يعرف معنى ما يقول.

٩: ٥٨ لأوّل وهلة، بدا جواب يسوع كأنْ لا علاقة له بما صرح به الرجل. لكنه كان له، في الواقع، ارتباط وثيق به. فيسوع أراد أن يقول له ما معناه: "هل تعي تمامًا ماذا يعني اتّباعي؟ إنه يعني التخلي عن الكثير من مباهج هذه الحياة، ومن وسائل الراحة فيها. فأنا لا أملك أي بيت هنا. كما أن هذه الأرض لا تقدم لي أي شكل من الراحة، حتى إنّ وسائل الراحة الطبيعية ينعم بها **الثعالب والطيور** أكثر مني". فهل أنت على استعداد لاتّباعي، حتى لو اضطرك ذلك إلى التخلي عن تلك الأمور التي يرى معظم الناس أنها من حقوقهم المكتسبة؟".

وعندما نقرأ أن ابن الإنسان **ليس له أين يسند** رأسه، نميل إلى الإشفاق عليه. وقد علق أحدهم على هذا بالقول: "ليس الربّ في حاجة إلى شفقتك عليه. بل حريٌّ بك أن تشفق على نفسك، إذا كنت تملك بيتًا يعيقك عن الارتقاء إلى المرتفعات التي قصدها الربّ". هذا الرجل، لا نعود نسمع أي شيء عنه. وكل ما يمكننا افتراضه عنه هو أنه لم يكن على استعداد للتخلّي عن بعض مباهج هذه الحياة لاتّباع ابن الله.

٩: ٥٩ سمع الرجل الثاني دعوة المسيح له إلى اتباعه. كان على استعداد لتلبية هذه الدعوة. إلا أنه أراد تتميم شيء ما أوّلاً. لقد كان يريد **أن يمضي ويدفن** أباه. ولنلاحظ كلامه جيّدًا: «**يا سيّد، ائذن لي أن أمضي** (أنا) **أولاً**». **وبكلمة أخرى**، "**يا سيد**،... **أنا أولاً**". فهو دعا يسوع ربًّا، إلا أنه جعل رغائبه ومصالحه الشخصية أولاً.

فاللفظتان "رب"، و"أنا.. أولاً"، هما متناقضتان تمامًا، الأمر الذي يحتم علينا اختيار الواحدة أو الأخرى. كما أن المسألة تبقى هي نفسها، سواء أكان **الأب** قد مات، أو إذا ارتأى ابنه ملازمة البيت إلى حين يموت: كان لديه شيء ما يقدمه في الأهمية على دعوة المسيح له. أنه لأمر مشروع، بل سليم تمامًا، إظهارُ الاحترام للأب الميت أو الذي يحتضر. لكن ما إن يُسمح لشخص ما أو شيء ما بمنافسة المسيح على احتلال المكانة الأولى في الحياة حتى يتحوّل ذلك الشخص أو الأمر إلى خطية. وقد نقول إنّ هذا الرجل كان لديه شيء آخر يقوم به، كالوظيفة مثلاً، وقد منعه ذلك من اتّباع الربّ بالتمام.

٩: ٦٠ ونبّه الرب على تردُّده بهذه الكلمات: «**دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله**». فباستطاعة الموتى روحيًّا أن يدفنوا الموتى جسديًّا، إلا أنه ليس بمقدورهم أن يكرزوا بالإنجيل. لذا، يجدر بالتلاميذ عدم إعطاء الأولويّة للقيام بمهامّ قد يتمكّن غير المخلّصين من إتمامها ببراعة وإتقان موازيَين. كما أن على المؤمن التحقق من أن لا غنى عنه في ما يتعلق بالقصد الرئيسي من حياته. فشغله الأساسي يجب أن يكون المساهمة في نصرة قضية المسيح وازدهارها على الأرض.

٩: ٦١ يشبه الشخص الثالث زميله المذكور أولاً، وذلك في تطوّعه **لاتّباع** المسيح. كما أنه بتلفّظه بالعبارة التي تنمّ عن تناقض: «**يا سيد**... **أنا**.. **أولاً**». يشبه زميله المذكور ثانيًا. كان يريد أن يودّع أفراد عائلته **أولاً**. وهذا الطلب هو بحدّ ذاته معقول وصحيح، غير أنّه حتى اللياقات المألوفة في الحياة، تصبح مغلوطة وشريرة إذا ما وُضعت قبل الطاعة الفورية والكاملة.

٩: ٦٢ فأجابه الربّ يسوع أنه متى وضع يده على محراث التلمذة، فعليه عدم النظر إلى الوراء، وإلاّ لا يعود يصلُح لملكوت الله. فتلاميذ المسيح يجب ألاّ يكونوا أصحاب قلوب مجزّأة، كما أنه يجدر بهم ألاّ يعتمدوا على المشاعر الخيالية. فلا اعتبارات عائدة إلى العائلة أو الصداقة، مهما كانت مشروعة بحدّ ذاتها، يجب أن يُسمَح لها بتحويلهم عن التسليم الكامل للرب. أمّا العبارة «**يصلح لملكوت الله**» فلا تشير إلى الخلاص بل إلى الخدمة. فالمسألة هنا لا تتعلق بدخول الملكوت، بقدر ما تتعلق بالخدمة داخل الملكوت، بعد دخوله. فنحن نجد في شخص الرب يسوع وفي عمله كفايتنا لدخول الملكوت. وهكذا يصبح الملكوت من نصيبنا، من خلال الإيمان بالرب.

وهكذا تكون قد اتّضحت لنا من اختبار هؤلاء الرجال الثلاثة عوائق للتلمذة:

١- وسائل الراحة المادية.
٢- الوظيفة أو العمل.
٣- العائلة والأصدقاء.

ينبغي أن يملك المسيح وحده على القلب، من دون أي منافس. وكل أشكال المحبة أو الولاء الأخرى. يجب أن تأتي في المرتبة الثانية.

ج. *إرسالية السبعين* (١٠: ١-١٦)

١٠: ١-١٢ هذا هو الموضع الوحيد في الأناجيل الذي تطالعنا فيه حادثة إرسال الربّ للسبعين تلميذًا. إن نص هذه الحادثة يشبه إلى حدّ كبير نص إرسالية الاثني عشر، بحسب الفصل العاشر من إنجيل متى. غير أن هؤلاء الاثني عشر كانوا قد أُرسِلوا باتجاه المناطق الشمالية، خلافًا للسبعين الذين تمّ إرسالهم جنوبًا في الطريق التي كان سيسلكها الرب لبلوغ أورشليم. وهذه المهمة كانت تهدف، على ما يبدو، إلى إعداد طريق الربّ خلال رحلته من قيصرية فيلبس شمالاً، مرورًا بالجليل والسامرة، ومن ثمّ عبوره الأردن باتجاه بيرية جنوبًا، وذلك قبل رجوعه إلى أورشليم عبر الأردن أيضًا.

كان لخدمة السبعين طابع مؤقت، إلاّ أن التعليمات التي وجّهها الرب إلى هؤلاء الرجال تضمّنت مجموعة من المبادئ الحياتية التي تصلح للمسيحيين المؤمنين في كل جيل وعصر. وباستطاعتنا إيجاز بعض هذه المبادئ على النحو التالي:

١- لقد أرسلهم الرب **اثنين اثنين** (ع١). وهذا إنما يوحي بالشهادة الفعّالة. «على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة» (٢كو١٣: ١).

٢- يحتاج خادم الرب لأنْ يصلي ويطلب منه باستمرار أن **يرسل فعلة إلى حقل حصاده** (ع٢). فالحاجة تفوق دائمًا عدد الفعلة المتوافرين. كما أنه في معرض صلاتنا لأجل الفعلة علينا، بالطبع، أن نكون نحن أيضًا على استعداد للذهاب. ولنلاحظ جيّدًا تسلسل الفعلين: اطلبوا (ع٢)، واذهبوا (ع٣).

٣- إن تلاميذ الربّ يسوع يجري إرسالهم إلى محيط معادٍ لهم (ع٣). إنهم حسب الظاهر ضعفاء، وأشبه **بحملان بين ذئاب**. لذا لا يمكنهم أن يتوقّعوا من العالم أن يكرمهم أو يقدّرهم، بل لينتظروا منه بالحري أن يضطهدهم، بل أن يقتلهم أيضًا.

٤- على التلاميذ أن يُسقِطوا من حساباتهم كل

الاعتبارات المتعلقة براحتهم الشخصية (ع٤أ).

«**لا تحملوا كيسًا ولا مزودًا ولا أحذية**». والكيس يشير إلى المدّخرات المالية، بينما المزود يوحي بالمخزون من الطعام. أما الأحذية، فتدلّ إما على زوجين إضافيّين من الأحذية يحملونهما معهم، وإما على صنف مميّز من الأحذية المريحة، على نحو خاص. وهذه جميعها تشير إلى الفقر الذي يملك كل شيء مع أن لا شيء له، والذي يغني كثيرين أيضًا (٢كو٦: ١٠).

٥- «**لا تسلّموا على أحد في الطريق**» (ع٤ب). يلزم تلاميذ المسيح ألا يضيعوا الوقت في تحيات احتفالية طويلة، كتلك التي كانت مألوفة في بلاد الشرق. ينبغي لهم أن يعاملوا الناس بكل كياسة واحترام، مع الحرص على استخدام وقتهم الثمين في الكرازة المجيدة بالإنجيل، عوضًا عن الأحاديث الباطلة وغير النافعة. فلا وقت لديهم لتأخيرات غير ضرورية.

٦- عليهم قبول الضيافة التي تُقدَّم لهم (ع٥، ٦). ففي حال لاقت تحيّتهم تجاوبًا، يكون الضيف ابن السلام. إنه إنسان يتّسم بالسلام، ويقبل رسالة السلام. وفي حال رفض التلاميذ، عليهم ألاّ يفشلوا. ذلك لأن سلامهم سيرجع إليهم، ولن يكون هناك أية خسارة بما أن آخرين سيقبلون هذا السلام.

٧- على التلاميذ أن يقيموا في البيت نفسه الذي يعرض عليهم أوّلاً استضافتهم (ع٧). فالانتقال من بيت إلى بيت، قد يُظهرهم بمظهر من ينشدون حياة الترفّه، والحالُ أنّه مطلوب منهم العيش ببساطة وبروح شاكرة.

٨- يجب ألاّ يترددوا في تناول أي صنف من الأطعمة يقدّم لهم (ع٧). ومن حقهم أن تُسدَّ لهم هذه الاحتياجات الجسدية، بما أنهم من خدام الرب.

٩- المدن والقرى، لا الأفراد وحدهم، تتخذ هي أيضًا موقفًا من الرب، إمّا معه إمّا ضده (ع٨، ٩). فإذا أعربت مقاطعة معينة عن تجاوبها مع الرسالة، ينبغي للتلاميذ، في هذه الحال، أن يكرزوا هناك، ويقبلوا ضيافة أبنائها لهم، ويجلبوا عليها بركات الإنجيل. ومن جهة أخرى، ينبغي لخدّام المسيح أن يأكلوا مما يقدَّم لهم، فلا يكونوا صعبي الإرضاء من ناحية الطعام حتى لا يسببوا إزعاجًا أو إحراجًا لأصحاب البيت. فالطعام، على كل حال، لا يشكل جوهر حيواتهم. إلى ذلك، فإن المدن التي سترحب بخدّام الرب، سينعم سكانها المرضى بالشفاء. كما أن الربّ نفسه، صاحب الملكوت، سيقترب منهم (ع٩).

١٠- قد تقوم إحدى المدن برفض الإنجيل، فتُحرَم بالتالي امتياز الإصغاء إلى رسالته ثانية (ع١٠-١٢). فبحسب معاملات الله، يأتي وقت فيه تُسمَع الرسالة للمرة الأخيرة. لذا وجب على الناس عدم الاستهانة بالإنجيل، بما أنه قد يُحجَب عنهم إلى الأبد. فنحن برفضنا النور، نحرم أنفسنا منه. كما أن المدن والقرى التي نعمت بامتياز الإصغاء إلى الأخبار السارة، إلاّ أنها رفضتها، ستكون دينونتها أعظم من دينونة سدوم. فكلما ازداد الامتياز، ازدادت من جراء ذلك المسؤولية أيضًا.

١٠: ١٣، ١٤ بينما كان الربّ يسوع ينطق بهذه الكلمات، يذكُر ثلاث مدن من الجليل، كان الله قد خصّها بامتيازات أكثر من غيرها. كانت قد رأته يصنع المعجزات العظيمة في شوارعها. كما أنه كان قد تسنّى لها الإصغاء إلى تعليمه المبارك. ومع هذا، فقد رفضه شعبها بالتمام. فلو أن المعجزات التي صُنعت **في كورزين وبيت صيدا** صُنعت قديمًا **في صور وصيداء**، لَتابت هاتان المدينتان الساحليتان أصدقَ توبة. وبما أن مدن الجليل لم تتأثر البتة بأعمال يسوع، فإن دينونتهنّ ستكون أعنف من الدينونة التي ستكابدها صور وصيداء. إنها حقيقة تاريخية أنّ كورزين وبيت صيدا قد ضربهما خراب كليّ، حتى إنه لم يعد باستطاعتنا اليوم تحديد موقعهما بالتمام.

١٠: ١٥ أصبحت **كفرناحوم** بلدةَ الربّ يسوع بعد انتقاله من الناصرة. وكانت هذه المدينة قد **ارتفعت إلى السماء** بسبب وفرة الامتيازات التي نعمت بها. لكنها احتقرت أشرف مواطن فيها، الربّ يسوع، وبذلك يكون قد فاتها الانتفاع من زمن افتقادها. لذا، **ستُهبَط إلى الهاوية** عندما تُدان.

١٠: ١٦ اختتم الربّ يسوع التعليمات التي كان قد وجّهها إلى السبعين بتصريح اعتبرهم فيه سفراءه. فرفضهم كان بمثابة رفضه هو؛ كما أن رفضه كان يعني رفض الله الآب أيضًا.

وقد علق رايل *Ryle* على هذا بالقول: لعل كتاب العهد الجديد بأكمله لا يحتوي على تعابير أعنف من هذه، لوصف كرامة الخادم الأمين، والمُذنبيّة التي تعلق بأولئك الذين يرفضون الإصغاء إلى رسالته. والجدير ذكره أن هذه التعابير لم توجّه إلى الاثني عشر رسولاً، بل بالحري إلى السبعين تلميذًا الذين لا نعرف أي شيء عن أسمائهم أو عن تاريخهم التالي. ويصرح سكوت *Scott* في هذا المجال بما يلي: إن رفض أحد السفراء أو معاملته بازدراء، يشكّل تحدّيًا للأمير الذي كان قد كلّفه وأرسله، والذي يقوم السفير بتمثيله. فالرسل والسبعون تلميذًا كانوا سفراء عن المسيح وممثلين له؛ وكل من كان يرفضهم أو يرذلهم، كان في الواقع يرفض الربّ ويُرذله.

د- رجوع السبعين (١٠: ١٧-٢٤)

١٠: ١٧، ١٨ رجع **السبعون** من أداء مهمتهم مسرورين، بما أنه **حتى الشياطين** كانت تخضع لهم. إن ردّ يسوع عليهم قد نفهمه بطريقتين. أولاً، قد يعني أنّه تسنّى للربّ أن يرى، في ما أحرزوه من نجاح، علامة أكيدة على سقوط **الشيطان من السماء** في نهاية المطاف. إن مفسّري الكتاب المقدس جامسون *Jamieson* وفاوست *Fausset* وبراون *Brown*، أعادوا صياغة هذه الكلمات على الشكل التالي:

> أنا تتبّعتكم خلال أدائكم لمهمتكم، ملاحظًا ما أحرزتموه من انتصارات. وفي غمر اندهاشكم من خضوع الشياطين لكم باسمي، أطلّ عليّ مشهد أعظم بعد: لقد رأيت الشيطان ساقطًا من السماء، وذلك فجأة كالبرق.

وهذا السقوط للشيطان هو حدث مستقبلي. فميخائيل وملائكته هم الذين سيطرحونه خارج السماء (رؤ ١٢: ٧-٩). وسيتم ذلك خلال الضيقة العظيمة، وقبيل تقلُّد المسيح زمام الملك هنا على الأرض.

كما أن هناك تفسيرًا محتملاً ثانيًا لكلمات الربّ يسوع هذه، على اعتبار أنها بمثابة تحذير من الانتفاخ والكبرياء. وكأن الرب أراد أن يقول: "أجل، إني أخالكم معتزّين بأنّه حتى الشياطين قد خضعوا لكم. لكن حذار، ذلك لأن الكبرياء هي أم الرذائل والخطايا. فالكبرياء هي التي كانت قد تسببت بسقوط زُهَرة بنت الصبح، وبطرحه من السماء. لذا، احرصوا على ضرورة تجنب هذا الخطر".

١٠: ١٩ كان الرب قد أعطى تلاميذه سلطانًا على قوات الشر. كما حصّنهم ضد جميع أنواع الأذيّة في أثناء قيامهم بمهامهم. وهذا يصحّ أيضًا على جميع خدام الله. أنهم محروسون ومحفوظون.

١٠: ٢٠ لكن كان عليهم ألاّ يفرحوا بانتصارهم على الأرواح، بل بالحري بنصيبهم من الخلاص العظيم. وهذه هي المرة الوحيدة التي فيها يدعو الرب تلاميذه إلى عدم الابتهاج. فالنجاح في الخدمة المسيحية لا يخلو من بعض الأخطار الحقيقية. وبالمقابل، يذكّرنا واقع كون **أسمائنا كُتبت في السماوات** بمدى دَيننا العظيم لله ولابنه. فإنّه لأمر مأمون أن نبتهج بالخلاص بواسطة النعمة.

١٠: ٢١ إنّ الربّ **يسوع** الذي كانت قد رفضته الجموع، التفت إلى أتباعه المتواضعين، **وتهلل** بالروح، شاكرًا **الآب** على حكمته التي لا مثيل لها. فالسبعون رجلاً، لم يكونوا من جملة **حكماء** هذا العالم **وفهمائه**. كما أنهم لا يُعَدُّون من المثقفين أو الدارسين، بل كانوا مجرد **أطفال**. إلاّ أنهم كانوا أطفالاً لهم إيمان بالرب، وولاء له، ويطيعونه على الفور من دون أي تساؤل.

أما المفكّرون والمثقفون بالمقابل، فكانوا حكماء أكثر من اللازم، وعارفين، ومَهَرَةً، أكثر من اللازم في ما يختص بمصالحهم الشخصية. كما أن كبرياءهم أعمَت أذهانهم عن إدراك ما لابن الله الحبيب من قيمة حقيقية. لذا، يستطيع الله أن يعمل بأكثر فعالية بواسطة الأطفال. كذلك كان ربّنا مسرورًا بجميع هؤلاء الذين كان الآب قد أعطاه إيّاهم، وبهذا الانتصار الأولي الذي حققه السبعون، والذي ينبّئ بسقوط الشيطان، في نهاية المطاف.

١٠: ٢٢ كل شيء، سواء ما في السماء، أو على الأرض، أو تحت الأرض، كان **الآب** قد دفعه إلى الابن. فالله جعل الكون بأسره تحت سيطرة ابنه. **وليس أحد يعرف من هو الابن إلاّ الآب**. فالتجسد يكتنفه غموض لا يستطيع سبرَ غوره إلاّ الآب وحده. فأن يصبح الله إنسانًا ويحلّ في جسد بشري، هو من الأمور التي تفوق حدّ إدراك المخلوق. ومن جهة أخرى، ليس أحد يعرف **من هو الآب إلاّ الابن ومن أراد الابن أن يعلن له**. فالله أيضًا هو فوق القدرة البشرية على الإدراك. أما الابن فيعرفه بالتمام، وهو الذي أعلنه للناس الضعفاء، والأدنياء والمحتقرين، لأولئك الذين يؤمنون به (١كو ١: ٢٦-٢٩). فالذين رأوا الابن، قد رأوا بذلك الآب أيضًا. ذلك لأن الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو الذي خبر عن الآب بشكل وافٍ وكامل (يو ١: ١٨).

يقول كلي *Kelly*: يقوم الابن حقًا بإعلان الآب، غير أن الذهن البشري يتحطم أجزاءً مبعثرة لدى محاولته فك اللغز المستعصي المتعلّق بالمسيح ومجده الشخصي.

١٠: ٢٣، ٢٤ نقل الرب **إلى تلاميذه على انفراد**، حقيقة أنهم كانوا يتمتعون بامتيازات لم يسبق لها أي مثيل. **فالأنبياء والملوك** في العهد القديم، **أرادوا أن ينظروا** أيام المسيّا، إلاّ أنّ ذلك لم يتسنَّ لهم. فالربّ يسوع يصرّح هنا بأنه هو المسيّا الذي كان محط تطلعات أنبياء العهد القديم. أما التلاميذ فنعموا بامتياز رؤية العجائب التي صنعها المسيح، رجاءُ إسرائيل، **والاستماع** إلى تعليمه.

هـ. *الناموسي والسامري الصالح* (١٠: ٢٥-٣٧)

١٠: ٢٥ يرجّح أن **الناموسي**، هذا الخبير بتعاليم ناموس موسى، لم يكن مُخلصًا في سؤاله. كان يحاول أن يحتال على المخلِّص، بنصبه شبكةً أمام قدميه. لعله كان يظن أن الرب سيرفض الناموس. كما أن يسوع كان، في نظره، مجرد **معلّم**؛ وقد رأى أيضًا أنه كان بالإمكان أيضًا كسب الحياة الأبدية أو استحقاقها.

١٠: ٢٦-٢٨ نظر الرب إلى هذه الأمور جميعها بعين الاعتبار في معرض ردّه عليه. فلو أن هذا الناموسي كان تائبًا ومتحلّيًا بالتواضع، لكان المخلِّص قد أجابه بشكلٍ أكثرَ مباشرةً. وفي هذه الحال، وجّه يسوع نظره إلى **الناموس**. فماذا كان **الناموس** يطلب؟ كان يطالب الإنسان بضرورة **محبة** الربّ فوق الكل، **ومحبة قريبة** كنفسه. وقال له الربُّ يسوع إنه **سيحيا** في حال نجح في تتميم هذا.

قد يبدو، أولَ وهلة. أن الرب علّم هنا أن الخلاص يكون من طريق حفظ الناموس. إلا أن هذا الفكر غير صحيح. فالله لم يقصد قطّ أن يخلص أي إنسان من خلال حفظ الناموس. كما أن الوصايا العشر أُعطيت لأناس كانوا خطاة من قبل. إلى ذلك، فالناموس لم يكن الهدف منه الخلاص من الخطية، بل بالحري جعل الناس يدركون خطاياهم. فالقصد منه هو إظهار الإنسان كخاطئ ومذنب.

إنه لمن المستحيل على الإنسان الخاطي أن يحب الله **من كل قلبه**، ويحب **قريبه** كنفسه. فإذا استطاع أن يتمم ذلك من المهد إلى اللحد، لا تعود تدعو الحاجة بعد إلى الخلاص. كما أنه لن يهلك. حتى في هذه الحال، لن يكافأ الناسُ إلا بطول الحياة على الأرض، وليس بالحياة الأبدية في السماء. كانوا سيستمرون في الحياة، ما داموا يعيشون بلا خطية. أما الحياة الأبدية فهي وقف على الخطاة الذين يعترفون بواقع كونهم هالكين، والذين يختبرون الخلاص بنعمة الله.

لذا، كان قول الربّ يسوع: «**افعل هذا فتحيا**»، فرضيًّا صِرفًا. فلو كان للناموس الذي أشار إليه الربّ تأثيرُه المرجوُّ في الناموسّي، لكان لسان حاله: "إن كان هذا ما يطلبه الله، فأنا إذًا هالك، وعاجز، وفاقد الأمل. لذا أتكل، يا رب، على محبتك وعلى رحمتك. فخلِّصني بنعمتك".

١٠: ٢٩ لكنه سعى، عوضًا عن ذلك، **لتبرير نفسه**. وهل كان ذلك ضروريًّا، ولا سيما لأنّ أحدًا ما لم يتهمه بشيء؟ كان، ولا شك، قد وعى حالته الخاطئة، إلا أن قلبه المتكبر قاوم ذلك. كان سؤاله: «**مَن هو قريبي؟**» مجرّدَ ذريعة للتهرّب من الحقيقة.

١٠: ٣٠-٣٥ والربّ **يسوع**، في معرض إجابته عن هذا السؤال، روى قصة السامري الصالح التي قد ألِفنا تفاصيلها. فضحية عملية السرقة (والذي يرجح، بشكل أكيد تقريبًا، أنّه كان يهوديًّا)، كان قد طُرح **بين حي وميت** على الطريق المؤدية **إلى أريحا**. وكان **الكاهن واللاوي** قد

رفضا مدّ يد العون له، لخشيتهما من أن تكون المسألة لها علاقة بمؤامرة مدبَّرة، أو لخوفهما من أن يتعرّضا هما أيضًا للسرقة إذا ما تأخرا في المكان. أمّا الذي هبّ لمساعدة هذا الرجل المنكوب، فكان واحدًا من **السامريين** المكروهين؛ فأجرى له الإسعافات الأولية، قبل نقله إلى **فندق**، والحرص على **الاعتناء** به. فبالنسبة إلى هذا الرجل السامري، كان هذا اليهودي المحتاج هو قريبه.

١٠: ٣٦، ٣٧ وبعد هذا، طرح المخلِّص السؤال الذي لا مفرّ منه. **فأي هؤلاء الثلاثة** برهن أنه قريب لهذا الإنسان المسكين؟ إنّه بالطبع، ذاك **الذي صنع معه الرحمة**. وفي هذه الحال، كان يتعيّن على الناموسي أن **يذهب ويصنع هكذا**. "فإذا تمكّن السامري من برهان أنه قريب حقيقي لليهودي، وذلك بإظهاره الرحمة له، فالناس جميعهم إذًا أقرباء".

ليس من الصعب علينا أن نرى في الكاهن واللاوي صورة لعجز الناموس عن مساعدة الخاطي الميّت. فالناموس كان قد أوصى بضرورة محبة القريب كالنفس إلا أنه لم يمنح القوة اللازمة للطاعة. كذلك ليس من الصعب أيضًا تشبيه السامري الصالح بالرب يسوع الذي جاء إلينا حيث نحن، وخلّصنا من خطايانا، ورتّب كل ما يلزمنا خلال رحلتنا من الأرض إلى السماء، بل كل ما يتعلّق بأبديّتنا. فالكهنة واللاويون قد يخيبون آمالنا، إنما هذا لا يصحّ على السامري الصالح.

شهدت قصة السامري الصالح تحوّلاً غير متوقع في سياق السرد. فهي استُهِلّت كجواب عن السؤال: "ومن هو قريبي؟"، لكي تعود وتطرح في خاتمتها السؤال: "لمن تُظهِر أنك قريب؟".

و. مريم ومرثا (١٠: ٣٨-٤٢)

١٠: ٣٨-٤١ يركز الرب الأنظار الآن على كلمة الله وعلى الصلاة، بصفتهما أعظم وسيلتين لنوال البركة (١٠: ٣٨ – ١١: ١٣). **جلست مريم عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه**، فيما كانت **مرثا** مرتبكة بالإعدادات للاحتفاء بالضيف الملوكي. لقد طلبت مرثا إلى **الرب** أن يوبّخ أختها على تقاعسها عن مساعدتها، إلا أن يسوع وجّه توبيخاته بالحري إلى مرثا نفسها بسبب اضطرابها.

١٠: ٤٢ لمحبتنا قيمة في نظر الرب أكثر من خدمتنا. فالخدمة قد تتّسم بالكبرياء، وبالشعور بالأهمية الذاتية. فالانشغال بذات الربّ هو **الشيء الواحد** الذي تدعو الحاجة إليه؛ ذلك هو **النصيب الصالح الذي لا ينزع** منّا. وقد علّق س. أ. كوتس *C. A. Coates* في هذا السياق بما يلي: "يريد الربّ تحويلنا من «مرثوات» إلى «مريمات»، تمامًا كما ينبغي تحويلنا من ناموسيين إلى أقرباء".

أيضًا كتب تشارلز ر. إردمن *Charles R. Erdman* في هذا المجال:

> يُقدِّر الرب كل ما نقوم به لأجله، إلا أنه يعرف أن حاجتنا الأولى هي إلى الجلوس عند قدميه لتعلّم إرادته؛ عندئذ سنتحلّى بالهدوء والسلام واللطف خلال قيامنا بمهامنا. كما أن خدمتنا قد تبلغ، في نهاية المطاف، الكمال الذي وصلت إليه مريم عندما نراها في مشهد لاحق تسكب الدهن على قدمي يسوع، هذا الطيب الذي ما يزال شذاه يفوح في كل أرجاء العالم.

ز. *صلاة التلاميذ* (١١: ١-٤)

ثمة فاصل زمني بين الفصلين العاشر والحادي عشر، وقد غطى أحداثه إنجيل يوحنا ٩: ١ – ١٠: ٢١.

١١ : ١ هذه واحدة من الإشارات الكثيرة التي يوردها لوقا عن حياة الصلاة عند ربّنا. وهي تلائم قصد لوقا في تقديمه المسيح بصفته ابن الإنسان المتكل دائمًا وأبدًا على الله أبيه. فالتلاميذ كانوا قد شعروا بأن الصلاة كانت بمثابة قوة حقيقية وحيوية في حياة يسوع. إن استماعهم إلى صلاته دفعهم هم أيضًا إلى الصلاة. لذا جاء واحد من تلاميذه يسأله أن **يعلّمهم أن يصلّوا**. فهو لم يقل له: "علّمنا كيف نصلّي"، بل بالحري «**علّمنا أن نصلّي**». غير أن هذا الطلب يشتمل بالتأكيد على تعلّم الأسلوب أيضًا.

١١ : ٢ إن الصلاة النموذجية التي عرضها عليهم الرب في هذه المناسبة تختلف، إلى حد ما، عن الصلاة المذكورة في إنجيل متى، والتي يطلق عليها اسم «الصلاة الربانية». ولأوجه الاختلاف هذه جميعها قصد ومعنى. ولكل واحد منها أهميته.

أولاً، علم الرب تلاميذه أن يخاطبوا الله بصفته **أباهم**. كانت هذه العلاقة العائلية الودية غريبة على مؤمني العهد القديم. وهي تعني، ببساطة، أنه بات الآن باستطاعة المؤمنين أن يتحدّثوا إلى الله كما إلى أب سماوي محبّ. ومن ثمّ، نتعلّم عن ضرورة الطلب لكي **يتقدّس اسم الله**. وفي هذا تعبير عمّا في قلب المؤمن من شوق إلى تقدير اسم الرب، وتعظيمه، وعبادته.

أما الطلبة، «**ليأتِ ملكوتك**» فهي دعاء لكي يأتي سريعًا ذلك اليوم الذي فيه سيضع الله حدًّا لقوى الشر، ويسود تعالى على الأرض حيث تُعمل **بمشيئته** كما في السماء.

١١ : ٣ بعد طلب ملكوت الله وبرّه أولاً، يتعلّم المصلّي الآن ضرورة الإفصاح عن حاجاته الشخصية ورغائبه. عليه أن يطلب سدًّا لحاجته المستمرة إلى الطعام الجسدي والروحي. فنحن نحتاج أن نعيش **يوميًا** في الاتكال على الرب، معترفين أبدًا بأنه مصدر كل خير.

١١ : ٤ يلي ذلك الصلاة لأجل غفران **الخطايا**، انطلاقًا من حقيقة أننا أظهرنا روحًا غفورة في تعاملنا مع الآخرين. ومن الواضح أن لا علاقة للغفران هنا بالمعاقبة على الخطية. فهذا الغفران يرتكز على عمل المسيح الكامل فوق الصليب، ونحن ننالـه بالإيمان فقط. إلاّ أن الكلام هنا هو عن الغفران الأبويّ أو التأديبيّ. فبعد اختبارنا الخلاص، يبدأ الله يعاملنا كأولاد. ففي حال وجد في قلوبنا شيئًا من روح العناد أو عدم الغفران، فسيؤدبّنا حتى يكسرنا ويعيدنا إلى الشركة معه. إن هذا الغفران يُعنى بالشركة مع الله، أكثر منه بالعلاقة به تعالى.

إن الدعاء «**ولا تدخلنا في تجربة**»، يستصعبه بعضهم. فنحن نعلم أن الله لا يجرّب أحدًا لحمله على السقوط في الخطية. إنما يسمح لنا تعالى باجتياز التجارب والامتحانات في الحياة، والتي هي مصمّمة لصالحنا ولخيرنا. لذا فإن الفكرة هنا، على ما يبدو، هي أنه علينا أن نعي باستمرار ميلنا الشخصي إلى الانحراف والسقوط في المعصية. من هنا ضرورة الطلب إلى الرب أن يحفظنا من السقوط في الخطية، حتى لو دفعتنا رغائبنا إلى اقترافها. كما نحتاج أن نصلّي بالتحديد، حتى لا يكون هناك أي تزامن بين

الفرصة المتاحة لفعل الخطية، ورغبتنا الشخصية في ذلك. وهذه الصلاة تشكّل التعبير السليم عن عدم ثقتنا بقدرتنا الذاتية على مقاومة التجربة. ثم تنتهي هذه الصلاة بالطلب إلى الرب أن ينجّينا **من الشرير**.

ح. مَثَلان على الصلاة (١١: ٥-١٣)

١١: ٥-٨ في سياق كلام الرب عن الصلاة، عاد وقدّم إيضاحًا أظهر فيه استعداد الله للاستماع إلى طلبات أولاده ولاستجابتها. وهذه القصة تتعلق برجل زاره ضيف **في منتصف الليل**. ولم يكن، وا أسفاه، متوافرًا لديه ما يكفي من طعام. لذا قصد أحد أصدقائه، وقرع بابه، وطلب منه **ثلاثة أرغفة**. انزعج الجار، أوّلَ وهلة، من جراء إيقاظه في هذه الساعة المتأخرة من الليل، كما أنه لم يأبه قط للنهوض. لكن، بعدما واصل المضيف قرعه وصراخه، قام جاره أخيرًا، **وأعطاه** قدر ما يحتاج.

ينبغي لنا، في معرض تطبيقنا لهذا الإيضاح، أن نحترز من التسرّع في استخلاص بعض الاستنتاجات. فهذا المثل لا يفيد أن الله ينزعج من جراء إلحاحنا عليه في الطلب. كما أنه لا يوحي بالمقابل بأن اللجاجة تبقى السبيل الوحيد للحصول على استجابة صلواتنا. لكن هذا المثل يعلّم حقًّا أنه إن كان الإنسان على استعداد لمساعدة صديقه بسبب إلحاحه عليه، فبالأولى جدًّا سيُظهِر الله استعداده للإصغاء إلى صراخ أولاده.

١١: ٩ وهذا المثل يعلّمنا أيضًا ضرورة ألاّ نفشل أو نُصاب بالإحباط في صلواتنا: "استمروا في الطلب... استمروا في السؤال... استمروا في القرع..."، ذلك لأن فعل الأمر في صيغة الحاضر في اليونانية، يوحي بالاستمرار. فتارةً يستجيب الله صلواتنا أول ما نسأله، وطورًا لا يستجيبها ألاّ بعد مواصلتنا الطلب على مدى فترة طويلة من الزمن.

الله يستجيب الصلوات:
فأحيانًا، عندما تكون القلوب ضعيفة،
يمنح الله المؤمنين تلك العطايا التي يطلبونها منه.
لكن غالبًا ما يلزم الإيمان أن يتعلّم صفًا أعمق من الراحة،
إذ يثق بصمت الله عندما يمتنع عن الكلام؛
ذلك لأن الذي اسمه محبة يعطي الأفضل لأولاده.
فالنجوم قد تحترق وتفنى، وحتى الجبال تزول،
أمّا الله فيبقى أمينًا، ومواعيده أبدًا صادقة.
إنه قوتنا.

م.ج.ب. *M.G.P.*

وهذا المثل يعلّم أيضًا، على ما يبدو، عن درجات متزايدة في اللجاجة، تتدرج من الطلب، إلى السؤال، إلى القرع.

١١: ١٠ وهو يعلّم إن **كل من يسأل يأخذ**، وكل **من يطلب يجد**، وكل **من يقرع يُفتح له**. إذًا لنا هذا الوعد بأنه عندما نصلّي، يعطينا الله دائمًا ما نطلب، بل قد يعطينا حتى ما هو أفضل من ذلك. فالاستجابة بالنفي، تعني أنه على علم بأن طلبنا ربّما لا يكون الأفضل لنا. فامتناعه عن الاستجابة في هذه الحال، يبقي أفضل من منحنا طلبنا.

١١: ١١، ١٢ وهذا المثل يعلّمنا أيضًا أن الله لن يخدعنا أبدًا بإعطائنا **حجرًا** عندما نطلب منه **خبزًا**. فالخبز في تلك الأيام كان أشبه بقرصٍ دائريّ الشكل ومنبسط، كما هي الحال اليوم في كثير من البلاد العربية، وكان بذلك يشبه الحجر. فالله لن يهزأ بنا بإعطائنا أشياء غير صالحة للأكل، عندما نطلب منه طعامًا. فإذا سألناه **سمكة**، لن يعطينا عقربًا، أي ما بوسعه أن يسبّب لنا آلامًا حادة.

١١: ١٣ لا يقدِّم الأب البشري عطايا مضرّة، مع كونه صاحب طبيعة خاطئة. **لكنه يعرف أن يعطي أولاده عطايا جيدة. فكم بالحري يكون أبونا الذي من السماء على استعداد لإعطاء الروح القدس للذين يسألونه.** قال جاي. ج. بلّت *J. G. Bellet* في هذا المجال: "من الجدير ذكره أن الروح القدس هو العطية التي انتقاها الرب بصفتها أكثر ما نحتاج نحن إليها، وأكثر ما يرغب هو في منحنا إياها". وعندما تكلم الربّ يسوع بهذه الكلمات، لم يكن الروح القدس قد أُعطي بعد، ونحن يجدر بنا ألاّ نصلّي لكي نُعطى الروح القدس كشخص يأتي ليسكن داخلنا، ذلك لأن هذا الأمر يتمّ لحظة اختبارنا الولادة الثانية (رو٨: ٩ب؛ أف١: ١٣، ١٤).

لكن يصح أن نصلّي، بل يلزمنا أن نصلّي، لأجل الروح القدس من نواحٍ أخرى. علينا أن نصلّي حتى يكون عندنا استعداد للتعلّم من الروح القدس، وحتى نقبل منه القيادة والإرشاد، وحتى تنسكب قوته فينا لدى قيامنا بأيّ خدمة للمسيح.

من المحتمل جدًّا أنه عندما علّم يسوع التلاميذ بشأن الصلاة **لأجل الروح القدس**، كان يشير بالتحديد إلى قوة الروح التي تؤهلهم للعيش في الحياة الرفيعة المختلفة عن حياة أهل العالم، وعلى مستوى التلمذة التي سبق له أن علّمهم عنها في الفصول السابقة. فيرجّح أنهم كانوا في ذلك الوقت قد بدأوا يشعرون بمقدار عجزهم الكامل عن الارتقاء إلى مستوى التلمذة الحقيقية، بالاتكال على قوتهم الذاتية. وهذا بالطبع صحيح. فالروح القدس هو روح القوة التي تمكّن المؤمن من العيش في الحياة المسيحية. لذا، صوّر الربُّ يسوع الله مهتمًّا بمنح هذه القوة لكل من يسأله.

بحسب اللغة اليونانية الأصلية، لم يرد الكلام عن الله الذي يعطي الروح القدس، مع ال التعريف، بل بالحري عن الله الذي "يعطي روحًا قُدُسًا"، أي من دون ال التعريف. وقد علّق الأستاذ هـ.ب. سويت *H. B. Swete* على هذا القول إنه في وجود أل التعريف، تكون الإشارة إلى شخص الروح نفسه، أمّا في غيابها، فالكلام يكون عن مواهب الروح أو عن أعماله لأجلنا. إذًا، لا يتعلّق هذا النص بالصلاة لأجل شخص الروح القدس، بقدر ما يتناول موضوع خدماته في حيواتنا. كذلك يأتي النص في متى ٧: ١١، والموازي لنصّنا هذا، ليسند هذه الفكرة: «... فكم بالحري أبوكم الذي من السماوات يهب خيرات للذين يسألونه».

ط. *يسوع يردّ على منتقديه* (١١: ١٤-٢٦)

١١: ١٤-١٦ تسبّب يسوع بحدوث بلبلة بين أوساط الشعب، **بإخراجه شيطانًا** كان قد ضرب ضحيّته بالخرس. **اندهشت الجموع** من هذا، إلاّ أن بعض القوم كثّفوا مقاومتهم العلنية للربّ. وقد اتخذت هذه المقاومة شكلين رئيسيين: فبعضهم زعموا أنه كان يُخرج الشياطين بقوّة **بعلزبول رئيس الشياطين**. أمّا آخرون فدعوه إلى صنع **آية من السماء**. وكأن هذا الأمر كان كفيلاً، في نظرهم، بإبطال التهمة التي كانت قد وُجّهت إليه.

١١: ١٧، ١٨ ردّ الرب على تهمة أنه كان يُخرج الشياطين ببعلزبول الساكن فيه على زعمهم، في الأعداد ١٧-٢٦، كما أنه ردّ في العدد ٢٩ على طلبهم إليه

أن يصنع آية. وهكذا ابتدأ الرب أوّلاً بتذكيرهم بأن **كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب، وبأن كل بيت منقسم** على ذاته **يسقط**. فلو أنه كان مجرد أداة في يد الشيطان لإخراج الشياطين، لكان الشيطان من جراء ذلك يحارب أعوانه. ومن السخافة الظنّ أن الشيطان سيقاوم نفسه بهذا الشكل، معرقلاً بذلك مخططاته الخاصة.

١١: ١٩ ثانيًا، قام الرب بتذكير منتقديه بأن بعضًا من مواطنيهم كانوا في ذلك الوقت عينه يخرجون الأرواح الشريرة. فإن كان هو يفعل ذلك بقوة الشيطان، فيستتبع ذلك أنهم هم أيضًا يعتمدون القوة عينها. وبالطبع، لم يكن اليهود على استعداد أبدًا لقبول ذلك. ومع هذا، فكيف كان باستطاعتهم التنكّر لقوة هذه الحجة؟ فالقوة لإخراج الشياطين كان يجب أن تصدر إمّا من الله وإمّا من الشياطين، ولا يمكن أن تأتي من الاثنين معًا. وإن كان يسوع يعمل ويتصرف بقوة الشيطان، فإنّه يلزم مخرجي الشياطين أصحاب التبعية اليهودية أن يتّكلوا على هذه القوة نفسها. وكانت إدانة الرب تعني بطبيعة الحال إدانتهم أيضًا.

١١: ٢٠ أمّا التفسير الصحيح فهو أن الربّ يسوع كان **يخرج الشياطين بإصبع الله**. وماذا عنى بهذه العبارة «**بإصبع الله؟**» ففي متى ١٢: ٢٨، نقرأ ما يلي: «ولكن إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله». لذا نستخلص من هذا أن أصبع الله هو نفسه روح الله. كما أن ظاهرة إخراج يسوع للشياطين بروح الله، كانت حقًّا بمثابة البرهان على أن ملكوت الله قد **أقبل** على شعب ذلك الجيل. وهذا الملكوت قد حضر في شخص الملك نفسه.

فالربّ يسوع الحاضر هناك لصنع عجائب كهذه، كان البرهان القاطع على أن الرئيس والحاكم الذي مسحه الله، قد ظهر حقًّا على مسرح التاريخ.

١١: ٢١، ٢٢ كان الشيطان حتى ذلك الحين، أشبه **برجل قوي يحمل سلاحه الكامل**، ويسيطر سيطرة تامة على رعاياه. لذلك كان يُمسك في قبضته جميع الذين كانت الشياطين قد سكنتهم، ولم يكن أحد ليردّه عن ذلك. كما أن **أمواله كانت في أمان**، بمعنى أنه لم يكن أحد يملك القدرة على التشكيك في سلطانه. أما الربّ يسوع فكان **أقوى** من الشيطان، فجاء **وغلبه**، ونزع منه **سلاحه الكامل**، ووزّع **غنائمه**.

لم يتمكن حتى منتقدو يسوع من إنكار أنه هو الذي كان مسؤولاً عن إخراج الشياطين. وهذا إنما كان يدلّ على إلحاق الهزيمة بالشيطان، وعلى إطلاق ضحاياه. وهذا هو مغزى هذه الأعداد.

١١: ٢٣ ومن ثم أضاف الرب يسوع أن كل **من ليس معه، هو عليه، ومن لا يجمع معه فهو يفرّق**. وكما قال أحدهم: "كل إنسان هو إمّا سائر على الطريق وإمّا واقف في الطريق لعرقلة سير الآخرين". وسبق لنا أن ذكرنا التناقض الظاهري بين هذا العدد ولوقا ٩: ٥٠. ومن جهة أخرى، لا مجال لاتخاذ موقف الحياد عندما تتعلّق المسألة بشخص المسيح وبعمله. فكل من لا يقف لأجل المسيح، يعمل ضدّه بطبيعة الحال. لكن، في ما يختص بالخدمة المسيحية، كل من لا يقفون ضدّ خدام المسيح فهم معهم. إذًا، الأمر يتعلّق بالخلاص في لوقا ١١: ٢٣، فيما لوقا ٩: ٥٠ يُعنى بالخدمة.

١١: ٢٤-٢٦ هنا، يبدو أن الرب يشنّ هجومًا على منتقديه. فهم سبق لهم أن اتّهموه بأنه مسكون بالشياطين، وها هو الآن يشبّه أمّتهم برجل كان قد تخلّص موقتًا من سيطرة الشياطين عليه. وهذا ما يصحّ في تاريخ هذا الشعب. ذلك لأن الأمّة القديمة كانت، قبل السبي، ترزح تحت شيطان الوثنية. فجاء السبي، وخلّصهم من هذا الروح الشرير، حتى إن اليهود لم يعودوا إلى الوثنية ثانية منذ ذلك الحين. لقد أصبح بيتهم **مكنوسًا ومزيّنًا**. إلاّ أنهم رفضوا السماح للرب يسوع بأن يدخله ويمتلكه. لذا، جاء الرب يتنبّأ هنا بأنه سيأتي يوم حين يجمع الروح النجس سبعة أرواح أُخَر أشرّ منه، **فتدخل البيت، وتسكن هناك**. والإشارة هنا هي إلى شكل الوثنية الفظيع الذي ستتبنّاه الأمة خلال فترة الضيقة العظيمة، حتى إنهم سيعترفون بأن ضد المسيح هو الله (يو٥: ٤٣). أما العقاب على هذه الخطية فسيكون أعظم ممّا كانت الأمّة قد كابدته من قبل.

يشير هذا الإيضاح، في المرتبة الأولى، إلى تاريخ الأمّة الوطني. إلاّ أنه يبيّن أيضًا عدم كفاية مجرّد التوبة أو محاولات الإصلاح الذاتية على صعيد الحياة الفردية. فإن التصميم على قلب صفحة جديدة في حياتنا لا يكفي. إنما يجب الترحيب بالرب يسوع في القلب وفي الحياة، وإلاّ أمست الحياة عُرضة لأن تغزوها أشكال من الخطية أشرّ ممّا عرفَ المرءُ من قبل.

ي. مطوّبون أكثر من مريم (١١: ٢٧، ٢٨)

قامت امرأة من الجمع، وحيّت الربّ يسوع بهذه الكلمات: «**طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما**». فردّ عليها الربّ بشكل مثير للانتباه. فهو لم ينكر أن مريم أمّه كانت مباركة، لكنه تخطّى هذا الأمر عندما اعتبر أن ما هو أهم من ذلك بعد، هو **الاستماع إلى كلمة الله وحفظها**. وبكلمة أخرى، فالعذراء مريم نفسها كنت مباركة في إيمانها بالمسيح واتّباعها له، أكثر ممّا في كونها أُمّه. فالعلائق الطبيعية ليست على قدر أهمية العلائق الروحية. وفي هذا ما يكفي لإفحام أولئك الداعين إلى عبادة مريم.

ك. آية يونان (١١: ٢٩-٣٢)

١١: ٢٩ في العدد ١٦، كان بعض القوم قد جرّبوا يسوع بطلبهم منه آية من السماء. فردّ يسوع على هذا الطلب معتبرًا أنه صادر من **جيل شرير**. كان بذلك يتحدث، في المرتبة الأولى، عن **الجيل** اليهودي الذي كان عائشًا في ذلك الوقت. فأولئك القوم كانوا قد نعموا بامتياز حضور ابن الله بينهم. وهكذا تسنّى لهم أن يصغوا إلى كلماته، ويشهدوا عجائبه. لكنهم لم يكونوا ليكتفوا بذلك. لذا جاءُوا الآن يدّعون بأنّ كل ما يحتاجون إليه الآن لكي يؤمنوا بالرب، إنّما هو معاينة عمل خارق يقوم به الرب. فأجابهم الربّ بأنّه لن تُعطى لهم أية آية إضافية إلا **آية يونان النبي**.

١١: ٣٠ كان الرب يشير إلى قيامته هو من بين الأموات. **فكما أُنقذ يونان** قديمًا من البحر، بعد مكوثه في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا أيضًا سيقوم الرب يسوع أيضًا من الموت بعد بقائه في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. وبكلمة أخرى، كانت قيامة الرب يسوع هي المعجزة الأخيرة والحاسمة في خدمته ـ له المجد ـ على الأرض. وعلى هذا الأساس، أصبح **يونان آية لأهل نينوى**. فهو انطلق للكرازة لتلك الأمّة الأممية، كمن قام من الأموات، ولو بشكل مجازي على الأقل.

١١: ٣١، ٣٢ ملكة التيمن، أو ملكة سبأ الأممية، قطعت مسافة طويلة لتسمع حكمة سليمان، وذلك مع كونها لم تعاين ولا حتى معجزة واحدة. فلو أنها حصلت على امتياز العيش في أيام الرب فكم كانت ستسرع في قبوله. على هذا **ستقوم في الدين** ضدّ أولئك الرجال الأشرار الذين رفضوا الرب يسوع مع أنه كان لهم امتياز رؤية أعماله الخارقة. وأما الآن فقد ظهر على مسرح التاريخ البشري من هو **أعظم من يونان، وأعظم من سليمان**. كان **رجال نينوى قد تابوا بمناداة يونان**، أما رجال إسرائيل فرفضوا أن يتوبوا بمناداة من هو **أعظم من يونان**.

وفي أيامنا، يسخر عدم الإيمان بقصة يونان، معتبرًا إيّاها مجرد أسطورة عبرانية. إلاّ أن الرب يسوع تحدث عن يونان بصفته شخصية تاريخية حقيقية، على غرار سليمان تمامًا. ومن جهة أخرى، يخطئ كل من يزعم أنه سيؤمن إذا رأى معجزة. ذلك لأن الإيمان لا يرتكز على البراهين المحسوسة بل على كلمة الله الحي. فالإنسان الذي لا يؤمن بكلمة الله، لن يؤمن ولو قام أحدهم من الأموات. لذا فإن الموقف الذي يطالب بآية، ليس بموقف مرضي عند الله. فهذا عيان، لا يمان. إذ إنّ لسان حال عدم الإيمان هو: "دعني أرى لكي أومن". أما الله فيقول: "آمن، وعندئذ سترى".

ل. *مثل السراج الموقد* (١١: ٣٣-٣٦)

١١: ٣٣ قد نظن، أول وهلة، أن لا علاقة لهذه الأعداد بما سبق. لكن، لدى إمعان النظر في مضمونها، يظهر أمامنا أية صلة وثيقة تربط هذه الأعداد بالنصوص السابقة. فيسوع يذكّر هنا سامعيه بأن **ليس أحد يضع سراجًا موقدًا في** مكان **مخفي أو تحت المكيال**، بل يجعله **على منارة** حيث يكون بالإمكان رؤيته حيث يوفّر النور لجميع الداخلين.

أما المغزى من هذا الكلام فهو ما يلي: الله هو الذي **أوقد السراج**. فهو - تعالى - كان قد وفّر للعالم نورًا ساطعًا، وذلك في شخص الرب يسوع وعمله. لذا، إن كان أحد لا يرى النور، فلا يكون ذلك بسبب أي تقصير من جهة الله. ففي الفصل الثامن، كان الرب يسوع قد تحدث عن المسؤولية الملقاة على عواتق تلاميذه في ما يتعلق بضرورة نشر الإيمان وعدم إخفائه تحت وعاء. وها هو الآن في ١١: ٣٣ يعتبر أن الطمع والخوف من العار يكمنان وراء عدم إيمان منتقديه الذين جاءوا يسألونه آية.

١١: ٣٤ كان عدم إيمانهم نتيجة دوافعهم غير المقدسة. **فالعين**، على الصعيد الطبيعي، هي التي **تمدّ الجسد كله بالنور**. فإذا كانت العين صحيحة، فسيكون عندئذ باستطاعة الشخص أن يرى النور. لكن في حال كانت العين سقيمة، أو عمياء، فهذا إنما يعيق النور.

وهذا الأمر عينه يصحّ أيضًا على الصعيد الروحي. ذلك لأنه عندما يكون الإنسان مُخلصًا في رغبته في معرفة حقيقة كون يسوع هو مسيح الله، فإن الله سيعلن له ذلك. لكن في حال لم تكن دوافعه نقيّة، أو في حال إصراره على جشعه، واستمراره في خوفه مما يقوله الآخرون، فعندئذ سيكون أشبه بأعمى عاجز عن تقدير الربّ حق قدره.

١١: ٣٥ كان الناس الذين خاطبهم يسوع يخالون أنفسهم حكماء جدًّا. فباعتقادهم أنهم كانوا ينعمون بوفرة من النور. إلا أن الرب يسوع المسيح نبّههم إلى حقيقة كون **النور الذي فيهم ظلامًا** في الواقع. فهذه الحكمة التي ادّعوها لأنفسهم هي التي أبقتهم بعيدين عن الرب.

١١: ٣٦ بالمقابل، نجد أن النور الروحي يغمر كيان كل صاحب دوافع نقيّة يسلم نفسه بالكلّيّة ليسوع، نور العالم. وهكذا سينير الرب حياته الداخلية، تمامًا كما تعمل أشعّة أحد المصابيح على إنارة جسده كُلّه.

م. *النقاوة الخارجية والداخلية* (١١: ٣٧-٤١)

١١: ٣٧-٤٠ عندما لبّى الرب يسوع دعوة أحد **الفريسيين** له إلى تناول طعام الغداء إلى مائدته، فوجئ مضيفه لدى ملاحظته أنّه - له المجد - **لم يغتسل أولاً قبل الغداء**. قرأ يسوع أفكاره، ووبّخه بعنف على ريائه هذا، وعلى تمسّكه بالأمور الخارجية. لقد ذكّره بأن نقاوة الكأس من **الداخل، لا من الخارج**، هي التي يُحسب لها حساب. فمن الخارج، كان الفريسيون يظهرون أبرارًا إلى حد كبير، في حين كانوا في الداخل ملتوين وأشرارًا. كما أن الله الذي **صنع خارج** الإنسان، هو نفسه الذي صنع أيضًا **داخله**، وتهمّه كثيرًا نقاوة حيواتنا الداخلية: «لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الربّ فإنه ينظر إلى القلب» (١صم ١٦: ٧).

١١: ٤١ لقد عرف الرب مقدار جشع هؤلاء الفريسيين وأنانيتهم، لذا دعا مضيفه إلى **إعطاء صدقة من مقتنياته**. وإذا ما نجح في هذا الامتحان الأساسي الذي يتعلق بالمحبة للآخرين، فعندئذ سيكون **كل شيء نقيًّا** له. وقد علّق هـ.أ. أيرنسايد *H. A. Ironside* على هذا بالقول:

> عندما تملأ محبة الله القلب حتى إن الإنسان يصبح مهتمًّا باحتياجات الآخرين، عندئذ فقط يصبح لهذه المظاهر الخارجية قيمة حقيقية. أما الذي لا ينفك يجمع خيرات لنفسه غير آبه البتة بالفقراء والمحتاجين حواليه، فإنه يؤكد حقيقة كون محبة الله لا تسكن فيه.

كذلك ذكر كاتب مجهول ما يلي:

> كان الرب متّكئًا إلى مائدة أحد الفريسيين عندما نطق بتوبيخاته العنيفة المذكورة في الأعداد ٣٩- ٥٢ والتي وجّهها إلى الكتبة والفريسيين (ع٣٧). إن ما ندعوه "الذوق السليم"، غالبًا ما يكون بديلاً للولاء للحق. فنحن نبتسم عندما يجدر بنا أن نعبس، كما أننا نلازم الصمت عندما ينبغي لنا أن نتكلم. إن مقاطعة إحدى حفلات العشاء تبقى أفضل من الإساءة إلى إيماننا بالله.

ن. *توبيخ الفريسيين* (١١: ٤٢-٤٤)

١١: ٤٢ كان **الفريسيّون** يهتمون كثيرًا بالأمور الخارجية. كانوا يدقّقون في أبسط التفاصيل المختصة بشريعة الطقوس، كتعشير **البقل** مثلاً. ومن جهة أخرى، لم يكونوا ليُبالوا بعلاقتهم بالله وبالإنسان، إذ يظلمون الفقراء، ولا يحرصون على محبة الله. والربّ لم يوبّخهم على تعشيرهم **النعنع والسذاب وكل بقل**، بل اكتفى بالإشارة إلى أنه كان يجدر بهم ألا يظهروا كل هذه الغيرة في بعض النواحي، ويهملوا في الوقت عينه واجبات الحياة الأساسية **كالحق ومحبة الله**. لقد ركزوا على الأمور الثانوية والهامشية، متجاهلين بالمقابل المسائل الرئيسية والهامة. كما أنهم برعوا في الأشياء التي كان باستطاعة الآخرين رؤيتها؛ أما الأمور التي كان بمقدور الله وحده أن يراها، فلم يأبهوا لها.

١١: ٤٣ كانوا يحبون أن يعرضوا أنفسهم، وأن يجلسوا في صدور **المجامع**، وأن يستحوذوا على أكبر قدر ممكن من الاهتمام والانتباه **في الأسواق**. وهنا تظهر كبرياؤهم، بالإضافة إلى ولعهم بالمظاهر الخارجية.

١١: ٤٤ أخيرًا، شبّههم الرب **بقبور** تخلو من أي شيء يشير إليها. وبحسب ناموس موسى، كان كل من يمسّ قبرًا، يصبح نجسًا على مدى سبعة أيام (سفر العدد ١٩: ١٦)، حتى لو فعل ذلك سهوًا بسبب عدم معرفته بوجود قبر في المكان. والفريسيون كانوا من وجهتهم، يظهرون من الخارج بمظهر القادة الدينيين الأتقياء. لكن، كان حريًّا بهم أن يحملوا علامةً بها يحذرون الناس من مغبّة مسّهم لئلا يتنجسوا. لقد كانوا **مثل القبور** الخالية من أية علامة تشير إليها، والمملوءة فسادًا ونجاسة. كما أنهم كانوا ينقلون إلى الآخرين عدوى كبريائهم وولعهم بالمظاهر الخارجية.

س. شجب الناموسيين (١١: ٤٥-٥٢)

١١: ٤٥ كان **الناموسيون** هم الكتبة المتضلّعين من شرح ناموس موسى وتفسيره. إلا أن مهارتهم كانت تقتصر على إخبار الآخرين بما يجب عمله، من دون أن يحرصوا هم على ممارسة ذلك. لقد شعر أحد الناموسيين بأن الكلمات التي نطق بها يسوع جاءت لاذعة إلى حدٍّ ما. فذكّره بأنه بانتقاده الفريسيين، كان في الوقت عينه يهين أيضًا الخبراء بالأمور الشرعية والقانونية.

١١: ٤٦ اغتنم الرب هذه الفرصة لشن هجوم على بعض خطايا الناموسيين. أولاً، كانوا يظلمون الناس بمختلف أنواع **الأحمال** الناموسيّة، من دون السعي، بأيّ شكل من الأشكال، لمساعدتهم على حملها. وكما قال كلي *Kelly*: "لقد اشتهروا بازدرائهم بذلك الشعب عينه الذي منه كانوا قد اكتسبوا أهميتهم". كما أن العديد من قوانينهم كانت من صنع البشر، وتتعلق بأمور خالية من أية أهمية حقيقية.

١١: ٤٧، ٤٨ كان الناموسيون جماعة من القتلة المرائين. كانوا يتظاهرون بإكبارهم لأنبياء الله، حتى توصلوا إلى تشييد أنصابٍ فوق **قبور أنبياء** العهد القديم. كان ذلك يؤكد، في ما يبدو، مدى تقديرهم العميق لهم. غير أن الرب يسوع كان يعرف أمورًا أخرى عنهم. كانوا حسب الظاهر، يفصلون أنفسهم عن أسلافهم اليهود الذين **قتلوا** الأنبياء، إلا إنهم كانوا في الواقع يسيرون على خطاهم مقتفين آثارهم. ففي الوقت الذي كانوا فيه يبنون **قبور** الأنبياء، كانوا في هذا الوقت عينه يتآمرون لقتل نبي الله الأعظم، الرب يسوع نفسه. كما أنهم كانوا سيواصلون عملهم في قتل أنبياء الله ورسله الأمناء.

١١: ٤٩ إذا ما قارنا العدد ٤٩ بمتى ٢٣: ٣٤، يتبيّن لنا أن يسوع هو نفسه **حكمة الله**. وها هو هنا يقتبس قول **حكمة الله**: «**إني أرسل إليهم أنبياء**». أما في إنجيل متى، فلا يعرض الربّ هذا الكلام كاقتباس من العهد القديم أو من أي مصدر آخر، بل كتصريحه الخاص (راجع أيضًا كورنثوس الأولى ١: ٣٠ حيث يذكر عن المسيح أنه الحكمة). فالربّ يسوع وعد بأنه سيرسل **أنبياء ورسلاً** إلى أهل جيله، غير أن هؤلاء **سيقتلونهم ويطردونهم**.

١١: ٥٠، ٥١ والرب سيطالب **هذا الجيل بدم** جميع الناطقين بلسان الله، ابتداء من أول شخص ذكره في العهد القديم، أي **هابيل**، وحتى آخر واحد بينهم، وهو **زكريا الذي أهلك بين المذبح والبيت** (٢أخ ٢٤: ٢١). كان سفر أخبار الأيام الثاني يُعَدُّ الأخير بحسب الترتيب اليهودي لأسفار العهد القديم. وبذلك، يكون الرب يسوع قد شمل جميع الشهداء، عندما أتى على ذكر كل من **هابيل وزكريّا**. كما أنّه خلال نطقه بهذه الكلمات،

وكان يعرف جيدًا أن جيل الأحياء في أيامه، كانوا سيميتونه على الصليب، بالغين بذلك ذروة مقاومتهم المروعة لرجالات الله. وبما أنهم سيقتلونه، كان سيُطلب منهم دم جميع الشهود الذين سقطوا من قبل.

١١: ٥٢ أخيرًا، أنّب الرب يسوع **الناموسيين** على **أخذهم مفتاح المعرفة**، أي حجبهم كلمة الله عن الشعب. ومع أنهم كانوا من الخارج يتظاهرون بولائهم للكتاب المقدس، كانوا في الوقت عينه يرفضون مَن تحدّثت الأسفار المقدسة عنه. كما أنهم منعوا الآخرين من قبول المسيح. فهم لم يريدون الربّ، ولا أرادوا للآخرين أن يقبلوه.

ع. ردّة فعل الكتبة والفريسيين (١١: ٥٣، ٥٤)

من الواضح أن الكتبة والفريسيين انزعجوا من الاتهامات المباشرة التي كان الربّ قد وجّهها إليهم. **فابتدأوا يحنقون جدًّا عليه**، كما كثّفوا مجهوداتهم لاصطياده بكلامه. كانوا يسعون بكل الوسائل الممكنة للاحتيال عليه وحمله على التفوّه **بشيء** يُتيح لهم إدانته وإصدار الحكم عليه بالموت. إنهم بفعلهم هذا برهنوا فقط مدى قدرة الربّ على فهم أعماق شخصيّتهم.

٨ـ تعليم وشفاء في الطريق إلى أورشليم (ص١٢-١٦)

أ. تحذيرات وتشجيعات (١٢: ١ـ١٢)

١٢: ١ كان **ربوات من الشعب مجتمعين** عند إدانة الربّ يسوع للفريسيين والناموسيين. فالمشاجرات والمباحثات غالبًا ما تستقطب الجموع، إلا أن هذا الحشد، كان، ولا شك، قد جذبه أيضًا إلى المكان التوبيخ الجريء الذي كان يوجّهه يسوع إلى هؤلاء القادة الدينيين المرائين. ومع أن الموقف الصّلب من الخطية، والذي لا يعرف المساومة، لا يلقى دائمًا شعبية، فإنّ قلب الإنسان يصادق ضمنًا على صحته. فالحق يثبت نفسه بنفسه دائمًا. وبعد هذا التفت يسوع **إلى تلاميذه**، لكي يحذرهم بالقول: «**تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين**». ثم أوضح لهم أن الخمير يرمز هنا إلى **الرياء**. فالمرائي هو الشخص الذي يلبس قناعًا. فيظهر من الخارج بخلاف ما هو عليه في الداخل. وبالنسبة إلى الفريسيين، كانوا يظهرون بمظهر حماة الفضيلة في حين كانوا في الواقع أسيادًا في التمثيل والشعوذة.

١٢: ٢، ٣ سيأتي اليوم الذي فيه سيُفضَحون وتنكشف حقيقة أمرهم. عندئذ **سيُستعلن** كل ما كانوا قد **كتموه**، وكل ما فعلوه **في الظلمة**، سيظهر كما في وضح النهار.

وكنزع القناع عن الرياء، هكذا أيضًا لا مفرّ من انتصار الحق. فالتلاميذ كانوا، حتى ذلك الحين، قد كرزوا برسالتهم بشكل خفيّ نسبيًّا، وأمام عدد محدود من السامعين. إلا أنه، وعلى أثر رفض الشعب للمسيّا، ومجيء الروح القدس، كان التلاميذ سينطلقون باسم الرب يسوع، وبلا خوف أو وجل، لنشر الأخبار السارة في كل حدب وصوب. عندئذ، وبالمقارنة مع ما قبل، **سينادى** بهذه الرسالة **على السطوح**. وقد علق على هذا جودي *Godet* بالقول: "من لم تكن أصواتهم تلقى أية آذان سامعة، إلاّ ضمن بعض الدوائر الضيقة والمحدودة، سيصبحون معلّمي العالم".

١٢: ٤، ٥ يا أحبائي، بهذه العبارة العذبة والمشجعة، قصد الرب يسوع أن يحذر تلاميذه من الاستحاء أو

الخجل بهذه المحبة الـتي لا تُقدَّر بثمن، وذلك تحت وطأة أية تجربة أو ضغط. فالكرازة بالرسـالة المسـيحية، على نطاق واسـع، قد تجلب على التلاميذ الأوفياء الاضطهاد بل الموت أيضًا. لكن كان هناك حدّ لما باستطاعة الناس، كالفريسـيين مثلاً، أن يفعلوا بهـؤلاء التلاميذ. والموت الجسـدي كان هذا الحد. وكان على التلاميذ ألاّ يخشوا ذلك. كما أن الله كان سيفتقد مضطهديهم بعقاب أشدّ وأعنف من هذا بعد، أي بالموت الأبدي في **الجحيم**. لذا، كان يلزم التلاميذ أن يخافوا الله أكثر من الإنسان.

١٢: ٦، ٧ أتى الرب يسـوع هنا علـى ذكر عناية الأب **بالعصافير**، للتشديد على سهر الله على حماية تلاميذه. ففي متـى ١٠: ٢٩ نقرأ عن العصفورين اللذين يباعان بفلس بينمـا تطالعنا هنا حقيقة أن **خمسـة عصافير تباع بفلسـين**. وبكلمة أخرى، يحصل الشاري على عصفور إضافي مجانًا، لدى ابتياعه أربعة. ومع هذا، فإن الله لا ينسـى حتى هذا العصفور المفرد، الذي ليسـت له أية قيمة شـرائية. فإن كان الله يهتـم بهذا العصفور المفرد، فكم بالحري يسـهر على سـلامة أولئك الذين ينطلقـون للكرازة بإنجيل ابنه. فهو يحصي حتى **جميع شعور رؤوسهم**.

١٢: ٨ قال المخلِّص لتلاميذه إن **كل من يعترف به** الآن، سـوف يعترف به هو أمـام **ملائكة الله**. إنه يشـير هنا إلى جميع المؤمنين الحقيقيـين. فالاعتراف به يعني قبوله بوصفه الربّ والمخلِّص الوحيد.

١٢: ٩ وبالمقابل، كل من ينكر الرب **قدام الناس**، سوف **يُنكَر قدام ملائكة الله**. ويبدو أن الإشارة هنا هي، بشكل رئيسـي، إلى الفريسـيين. إلا أن هذا العدد يشمل أيضًا جميع الذين يرفضون المسـيح ويسـتحون بالاعتراف به. وفي ذلك اليوم، سيقول لهم الرب: «لم أعرفكم قط».

١٢: ١٠ وبعـد هذا، أوضح المخلّص لتلاميذه أنّ هناك فارقًا بـين توجيه الانتقاد إليـه، **والتجديـف على الروح القدس**. **فالغفـران** قد يكون من نصيب الذين يتكلمون بالسـوء **على ابـن الإنسـان**، في حال تابوا وآمنـوا. أما **التجديـف على الـروح القدس** فهو يشـكل الخطية التي لا تغفـر. وهـذه هي الخطيـة التي اقترفها الفريسـيون (راجع متى ١٢: ٢٢- ٣٢). لكن، ما هي هذه الخطية؟ إنها خطية نسـبة معجزات الرب يسـوع إلى الشيطان. وهـذا التجديف هو **علـى الروح القدس**، بما أن يسـوع كان قـد صنع كل معجزاته بقوة الـروح القدس. وفي هذه الحال، يُعتبَر روح الله القدوس بمثابة الشيطان. لذا، ليس لهذه الخطية غفران، لا في هذا العالم، ولا في الآتي.

هذه الخطية، لا يسـتطيع المؤمن الحقيقي اقترافها، مـع أن بعض المؤمنين يتألمون آلامًـا مبرحة، وذلك من جـرّاء خوفهم مـن أن يكونوا قد اقترفـوا هذه الخطية بارتدادهـم القلبيّ عن الرب. فالفتور الروحي لا يعني الخطية التي لا تغتفر، ذلك لأنه يبقى باسـتطاعة الفاتر الرجوع إلى الشـركة مع الرب. إلى ذلك، فإن حقيقة قلق شـخص ما بشأن هذا الأمر تشـكّل البرهان على عدم اقترافه الخطية التي لا تُغتَفَر.

ومن جهة أخرى، ليس رفض الإنسـان غير المؤمن للمسـيح بالخطية الـتي لا تغتفر. فالإنسـان قد يقاوم المسـيح بازدراء مرارًا، ومن ثم يرجع إلى الرب لاحقًا، ويولَـد من جديـد. بالطبـع، لا يعود هنـاك أي مجال لخلاصه، إنْ هو مـات في حالة عدم الإيمان. إن خطيته عندئـذ، تصبح، في الواقع، غير قابلـة للغفران. إلاّ أن

الخطيـة التي وصفها الرب هنا بالخطية التي لا تغتفر هي تلك الخطية التي كان قد اقترفها الفريسيون بزعمهم أن الرب صنع معجزاته بقوة بعلزبول، رئيس الشياطين.

١٢: ١١، ١٢ كان لا بـد من إحضار التلاميذ إلى أمام السـلطات الحكوميـة لمحاكمتهم. وفي هذا السـياق، ذكر لهم الرب أنه لم يكن هناك أي داعٍ للتفكير مسبقًا في ما كان يجب أن **يقولـوه**. **فالروح القدس** هو الذي كان سيجعل الكلمات المناسبة في أفواههم، عند الضرورة. إنمـا هذا لا يعني أن خـدام الرب ليسـوا في حاجة إلى تخصيص وقت كاف للصلاة وللدراسـة قبل كرازتهم بالإنجيـل، أو تعليمهم كلمـة الله. فهذه التوصية يجب عدم اعتمادها كذريعة للكسـل. ومـن جهة أخرى، يقطع الرب هنا وعدًا صريحًا لجميع الذين يحاكمون من أجل شهادتهم للمسيح، بأنه سيمنحهم **بالروح القدس** عونًـا خاصًّا. كما أن على جميع شـعب الله أن يعرفوا أنهم إذا سـلكوا بالروح، فسيُعطَون الكلمات المناسبة للنطق بها خلال لحظات هذه الحياة الحرِجَة.

ب. تحذير من الطمع (١٢: ١٣-٢١)

١٢: ١٣ عنـد هذا الحد، قام أحـد الرجال من **الجمع**، وطلـب إلى الرب أن يفضّ نزاعًـا بينه وبين أخيه حول **ميراث**. وغالبًـا ما قيل إنه يكثر عدد الأقرباء في وجود وصيـة الفقيـد. ويبـدو أن هـذا الأمـر يصـحّ هنا. فنحن لا نعـرف هل كان هذا الرجل قـد حُرِمَ حصّته المشروعة، أو كان يطمع بما هو أكثر من نصيبه.

١٢: ١٤ سـارع الـرب إلى تذكـيره بأنه لم يـأتِ إلى العالم لمعالجة أمثال هذه المسائل الطفيفة. إنما القصد من مجيئه كان خلاص الخطاة من رجال ونساء. كما أنه لم يكن ليحيد عن القيام بهذه المهمة العظمى والمجيدة في سـبيل تقسيم ميراث حقير. (إلى ذلك، لم يكن يحمل أية سلطة شرعية تخوّله البتّ في مسائل تتعلق بممتلكات. لذا، لم تكن قراراته ملزمة).

١٢: ١٥ إلاّ أن الرب استعان بهذه الحادثة لتحذير سامعيه من أحد أكثر الشـرور مكرًا في القلب البشري، ألا وهو **الطمع**. فالشهوة لاقتناء الأمور المادية، هذه الشهوة التي لا تعرف الشـبع، هي من أعظم الدوافع وأعنفها في الحياة. ومـع هذا، فإنها تُخفق بالتمام في بلوغ الهدف من وجودنا بوصفنا بَشَـرًا. «**فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله**». وكما قال ج.ر. ميلر *J. R. Miller*:

> هـذا هو أحد الأعلام الحُمر الـتي رفعها ربّنا، والتي لا يأبه لها معظم الناس في أيامنا، على ما يبدو. فالمسيح تحدّث كثيرًا عن أخطار الغنى، ومع هذا لا يخشـى الغنى عدد كبير من الناس. كما أن الطمع والشهوة لا يُعتبران خطية بكل معنى الكلمة في هذه الأيام. ففي حال نقض أحدهم الوصية السادسة أو الثامنـة، يصنف في عداد المجرمـين، ويكتنفه العار؛ لكن باسـتطاعته أن ينقض الوصية العاشرة، ويُنظَر إليـه في هـذه الحال بأنـه يتاجر ويغامـر ليس إلا. فالكتـاب المقدس يصرح بأن محبـة المال هي أصل لكل الشـرور؛ غـير أن كل من يقتبـس هذه الآية يقصد أن يركز، بشكل بارز، على الكلمة «محبة»، مبيّنًـا بذلك أن ليس المال بحدّ ذاته، بل بالحري محبة المال، هو ما يشكل هذا الأصل الخصيب.

وفي نظرنـا إلى ما حولنا، قد نظن أن حياة الإنسـان تتعلق فعلاً بوفرة مقتنياتـه. فباعتقاد الناس أن عظمتهم تزداد بنسـبة ما يجمعونه من غنـى، ذلك لأن العالم يقيس الناس على أساس رصيدهم في المصرف. لكن ما من خطأ

آخر قتّال أكثر من هذا. فقيمة الإنسان الحقيقية تكمن في ما هو عليه في شخصه، وليس في ما يملك من مقتنيات.

١٢: ١٦-١٨ يوضح **مثل الغني الغبي** حقيقة أن المقتنيات لا تشكل أهم ما في الحياة. كان هذا المزارع الثري يواجه ما بدا أنّه مشكلة مزعجة جدًّا، عندما جاءت غلّته وافرة بشكل استثنائي. لم يكن يعرف ما يجب أن يعمله بكل هذه الأثمار. فكل مخازنه لم تعد تكفي لاستيعاب كل هذه الحبوب. فراجع هذا الأمر في فكره، ثم توصل إلى الحل، لقد قرر **هدم مخازنه وبناء** مخازن أخرى أعظم منها. لقد كان باستطاعته أن يوفّر على نفسه كل هذا العناء مع النفقات لإنجاز هذا المشروع الجبّار، لو أنه التفت فقط إلى العالم المحتاج حواليه، واستخدم مقتنياته لسدّ الجوع على كلا الصعيدين الروحي والجسدي. وقد قال امبروزيوس *Ambrose* في هذا المجال: "إن أحضان الفقراء، وبيوت الأرامل، وأفواه الأولاد، هي المخازن التي تبقى إلى الأبد".

١٢: ١٩ وما أن انتهى العمل على تشييد هذه المخازن الجديدة، حتى قرر أن يتقاعد. ولنلاحظ روح الاستقلالية عنده: **مخازني، غلّتي، خيراتي، نفسي.** كان مزمعًا أن **يستريح ويأكل، ويشرب، ويفرح.**

١٢: ٢٠، ٢١ "لكن ما إن شرع بالتفكير في الوقت السعيد الذي كان سيقضيه من الآن فصاعدًا، حتى اصطدم بالله، وذلك لهلاكه الأبدي". **فالله** نقل إليه حقيقة موته الذي كان سيحصل في **تلك الليلة**. عندئذ سيفقد ملكيته لجميع مقتنياته المادية. وسيستولي عليها شخص آخر. وكان أحدهم قد عرّف الغبي بأنه الشخص الذي تنتهي مخططاته وآماله عند حدود القبر. لذا كان هذا الرجل غبيًّا حقًّا.

ثم سأله الله: «**وهذه التي أعددتها لمن تكون؟**» ونحن بدورنا، يجدر بنا أن نطرح على أنفسنا السؤال التالي: "إذا جاء المسيح اليوم، لمن ستكون كل ممتلكاتي؟". إذًا، كم هو أفضل استخدامنا لها في سبيل الله اليوم، من تركها تسقط في أيدي الشيطان غدًا. بالمقابل، باستطاعتنا الآن أن **نكنز** بها في السماء، فنصبح من جراء ذلك **أغنياء لله**. أو قد ننفقها على أجسادنا، لكي نحصد من الجسد فسادًا.

ج. *القلق مقابل الإيمان* (١٢: ٢٢-٣٤)

١٢: ٢٢، ٢٣ إنّ من أعظم الأخطار المحدقة بالحياة المسيحية أن يمسي اقتناء الطعام والملابس هو الهدف الأساسي والأول من وجودنا. وهكذا نحيل عمل الله إلى مرتبة ثانوية دُنيا، وذلك بسبب اضطرارنا إلى الانشغال بكسب المال في سبيل الحصول على هذه الأشياء. أما تركيز العهد الجديد بالمقابل، فهو على أن يكون لقضية المسيح المكانة الأولى في حيواتنا، وذلك **قبل الطعام، وقبل اللباس.** يلزمنا إذًا العمل باجتهاد على تأمين احتياجاتنا الراهنة، ومن ثم على خدمة الرب، واثقين به تعالى لأجل المستقبل. هذه هي حياة الإيمان.

والرب يسوع بدعوته لنا إلى عدم الاهتمام بالطعام وباللباس لدرجة القلق، لم يقصد أنه يتحتّم علينا الجلوس بكسل، منتظرين حتى تُسَدّ عنا هذه الحاجات الضرورية. فالمسيحية لا تشجع على الخمول والكسل. إنما كان يعني، بكل تأكيد، أننا في معرض تحصيلنا للمال لأجل ضرورات الحياة، علينا أن نحترز من جعل هذه الأمور تكتسب أهمية أكثر من اللازم.

فالحياة تنطوي على ما هو أهم من الطعام ومن اللباس. لذا فإن كل الاعتبارات الأخرى المتعلقة براحتنا الشخصية أو مظهرنا، يجب إخضاعها لهذا الغرض المجيد الوحيد الذي هو تعريف الناس بهذا الملك.

١٢: ٢٤ استعان الرب يسوع **بالغربان** كمثال للطريقة التي بها يعتني الله بخلائقه. فهذه الطيور لا تقضي حيواتها في سعي دؤوب وشديد الاهتياج للحصول على الطعام، ولتأمين احتياجات المستقبل. لكنها تعيش ساعة فساعة بالاتكال على الله. وكونها **لا تزرع ولا تحصد**، لا يخوّلنا تعليم الناس ضرورة الإحجام عن القيام بأعمال دنيوية. إنما كل ما يعنيه ذلك هو أن الله يعرف احتياجات خلائقه؛ كما أنه سيُلبّيها إن كنا نسير بالاتكال عليه. فإن كان الله **يقيت** الغربان، فكم بالحري يقيت الناس الذين خلقهم، وخلّصهم بنعمته، ودعاهم إلى أن يصيروا خدامه. فالغربان تفتقر إلى المخازن، والله هو الذي يوفّر لها ما تحتاج إليه، وذلك يومًا فيوم. فلِمَ نقضي حيواتنا إذًا في بناء مخازن أكبر؟

١٢: ٢٥، ٢٦ ثم سأل يسوع: «**ومن منكم إذا اهتمّ يقدر أن يزيد على قامته ذراعًا واحدة؟**». وهذا يظهر غباء القلق حول أمور لا سيطرة لنا عليها البتة، كالمستقبل مثلاً. فما من أحد **يقدر إذا اهتم أن يزيد** أي شيء على طول قامته، أو على طول حياته. (الكلمة «قامته»، قد تترجم أيضًا بالعبارة "طول حياته"). وإن كان الحال هكذا، فلِمَ القلق إذًا بشأن المستقبل؟ إنّما حريّ بنا أن نستخدم كل قوتنا ووقتنا في خدمة المسيح، وأن نترك المستقبل له.

١٢: ٢٧، ٢٨ وبعد هذا، يتحدث الرب عن **الزنابق** لإظهار غباوة الإنسان الذي يستثمر أفضل مهارته للحصول على اللباس. ويرجّح أنّ هذه الزنابق هي من صنف شقائق النعمان البرية بلونها القرمزي. فهي لا تتعب ولا تغزل، إلا أنها تكتسي جمالاً طبيعيًّا ينافس **سليمان في كل مجده**. فإن كان الله يضفي كل هذا الجمال على الزهور التي تزهر اليوم، وتحترق غدًا، فهل يُعقل أنه سيسهو عن احتياجات أولاده؟ فنحن نظهر مدى **قلة إيماننا** عندما نضطرب، ونقلق، ونناضل باستمرار للحصول أكثر فأكثر على المزيد من المقتنيات المادية. إننا نضيع حيواتنا بالقيام بما تعهّد الله بأن يفعله لنا، لو أننا نخصّص فقط قسطًا أكبر من أوقاتنا ومن مهاراتنا له تبارك اسمه.

١٢: ٢٩-٣١ إن احتياجاتنا اليومية هي، في الواقع، ضئيلة جدًّا. فحياتنا، ويا للدهشة، لا تحتاج إلا إلى بعض الأمور البسيطة. فلماذا إذًا نُولي الطعام واللباس كل هذه الأهمية في حيواتنا؟ ولماذا نقلق بشأن المستقبل؟ هذا ما يفعله غير المخلّصين. ذلك لأن **أمم العالم** الذين لم يتعرفوا بالله مخلّصًا حتى يصبح أباهم، نراهم يركزون جلّ اهتمامهم على الطعام، واللباس، واللذّات. وهذه الأمور تشكّل دائرة وجودهم بل محوره. أما الله فلم يقصد قط لأولاده أن يقضوا أوقاتهم في سعي مجنون في أثر أمور هذه الحياة. فعنده عمل يجب تتميمه على الأرض، كما أنه وعد بالاهتمام بأولئك الذين يكرّسون نفوسهم بالكلية له. فهو لن يدعنا نجوع أو نعرى إن نحن **طلبنا ملكوته**. وما أصعب أن نصل إلى نهاية الحياة لكي نتحقق من أننا قد قضينا معظم أوقاتنا في العمل لأجل أمور قد اشتملت عليها من قبل تذكرةُ سفرنا إلى السماء.

١٢: ٣٢ كان التلاميذ يؤلّفون **قطيعًا صغيرًا** من الخراف العاجزة عن الدفاع عن نفسها، والمرسلة إلى عالم مُعاد. فصحيح أن ليس لديهم أية وسائل منظورة لدعمهم أو للدفاع عنهم، إلا أن هذه الجماعة المحتقرة من الشبّان كانت ستَرث **الملكوت** من المسيح. كما أنه سيأتي يوم فيه يملكون معه على كل الأرض. وفي ضوء هذا، جعل الرب يشجّعهم على **عدم الخوف**. فإن كان الآب قد ذخر لهم كل هذه الأمجاد، فلا داعي لهم لأن يقلقوا خلال سيرهم الذي سيؤدي بهم إلى السماء.

١٢: ٣٣، ٣٤ كان باستطاعتهم عوضًا عن تكويم المقتنيات المادية، والتخطيط للزمن الحاضر فقط، أن يسخّروا هذه المقتنيات لعمل الرب. إنهم بهذه الطريقة يوظّفون إمكاناتهم للسماء وللأبدية. فمرور الزمن لن يقوى على إتلاف هذه المقتنيات. ذلك لأن الكنوز السماوية هي مضمونة تمامًا ضد السرقة والخراب. والمشكلة في الغنى المادي، هو أنك لا تستطيع أن تقتنيه عادة من دون الوثوق به. لذا، صرح الرب يسوع بالقول: «**لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضًا**». لكن في حال أرسلنا أموالنا إلى السماء، فعندئذ ستنفطم قلوبُنا عن أمور هذا العالم الزائلة.

د. *مَثَل العبد الساهر* (١٢: ٣٥-٤٠)

١٢: ٣٥ لم يكن التلاميذ في حاجة إلى الوثوق بالرب لسدّ احتياجاتهم وحسب، بل كان عليهم أيضًا العيش متوقعين رجوعه باستمرار. كان على **احقائهم** أن تكون **ممنطقة**، وعلى **سرجهم** أن تكون **موقدة**. ففي بلاد الشرق، كان يُلَفّ زنّار حول الحقوين لرفع الرداء الطويل والفضفاض لمساعدة الشخص على السير بسرعة، أو على الركض. لذا فإن الأحقاء المنطقة تشير إلى مهمة يجب إكمالها، كما أن السرج الموقدة توحي بالشهادة التي ينبغي إعلانها.

١٢: ٣٦ كان على التلاميذ أن يعيشوا لحظة فلحظة متوقّعين رجوع الرب، وكأنه رجل عائد **من العرس**. وقد علق كلي *Kelly* على هذا بالقول:

> كان عليهم أن يعيشوا حياة خالية من كل الارتباكات الأرضية، حتى متى قرع الرب، بحسب التشبيه الكتابي، يكون بإمكانهم في اللحظة عينها أن يفتحوا له فورًا، من دون أن يصابوا بالذهول، أو يكون لهم أية حاجة إلى الاستعداد. فقلوبهم هي في انتظاره. فهو سيّدهم، وهم يحبونه وينتظرونه. وما إن يقرع حتى يفتحوا له للوقت.

من الضروري الاحتراز من توسيع نطاق تفاصيل قصة الرجل العائد **من العرس**، لا سيما من جهة المستقبل النبوي. فلا نشبه العرس هنا بعشاء عرس الخروف، أو رجوع الرجل بالاختطاف. فالقصة التي ذكرها الرب هنا، كانت تهدف إلى تعليم حقيقة بسيطة واحدة، ألا وهي ضرورة السير في انتظار رجوعه. ولم يكن المقصود منها رسم ترتيب للأحداث عند مجيئه.

١٢: ٣٧ عندما يرجع الرجل من العرس، يكون **عبيده** ساهرين بكل نشاط، وعلى أهبة الاستعداد للتحرك عند أمره. إن موقفهم هذا يسرّه جدًّا، ويدفعه إلى قلب المقاييس والأدوار. ذلك لأننا نراه يمنطق **نفسه** بمئزر العبد، ويُتكئهم إلى المائدة، ويُقدِّم **لهم** وجبة طعام. فالرب الذي وافى عالمنا مرة آخذًا صورة عبد، سيُظهِر لطفه من جديد إذ يتنازل لخدمة شعبه في بيتهم

السماوي. فيا لروعة هذه الفكرة الرقيقة والمثيرة للمشاعر. والجدير ذكره أن بنجل *Bengel* التقيّ، دارس الكتاب المقدس، الألماني الأصل، كان يرى في العدد ٣٧ أعظم وعد في كل كلمة الله.

١٢ : ٣٨ كان **الهزيع الثاني** من الليل يمتد من الساعة التاسعة مساء إلى منتصف الليل. **والهزيع الثالث** من منتصف الليل إلى الثالثة صباحًا. ومهما كان الهزيع الذي سيأتي فيه السيد، كان **عبيده** ينتظرونه.

١٢ : ٣٩، ٤٠ هنا غيّر الرب المشهد، وذلك بحديثه عن صاحب بيت، نُقِب منزله في لحظة لم يكن خلالها ساهرًا. فقدوم اللص حصل بشكل غير متوقع على الإطلاق. **فإنه لو عرف رب البيت ذلك، لسهر ولم يدع بيته ينقب.** ومغزى هذه القصة هو أن زمن مجيء المسيح غير معروف، فلا أحد يعلم اليوم ولا الساعة حين سيظهر. ومتى جاء، فإن المؤمنين الذين كانوا قد كنزوا لأنفسهم كنوزًا على الأرض، سيخسرونها جميعها. وقد صدق من قال: "المسيحي المؤمن إما يترك غناه وراءه، وإما يذهب إليه". فإن كنّا حقًّا ساهرين ومنتظرين رجوع المسيح، فسنبيع كل ما لنا لكي نكنز لأنفسنا كنوزًا في السماء حيث لا يستطيع أي سارق أن يصل إليها.

هـ. *خدّام أمناء وغير أمناء* (١٢: ٤١- ٤٨)

١٢ : ٤١، ٤٢ قام **بطرس** عند هذا الحد يسأل بخصوص المثل عن ضرورة السهر، هل خاطب به المسيح التلاميذ وحدهم، أم **جميع الشعب أيضًا**. فأجابه الرب أنه قصد توجيهه إلى كل المعترفين بأنهم وكلاء الله. فالوكيل **الأمين الحكيم** هو الذي يُقام على أهل بيت السيد، لكي يقدم **الطعام والعلوفة** لشعبه. لذا، فإن مسؤولية الوكيل الأولى تتعلق هنا بالناس، لا بالأشياء المادية. وهذا يتلاءم مع قرينة هذا النص حيث جرى تحذير التلاميذ من المادية والطمع. فالأهمية هي للأشخاص وليست للأشياء.

١٢ : ٤٣، ٤٤ إذا جاء الربّ ووجد عبده مهتمًّا اهتمامًا صادقًا بخير شعبه الروحي، فسيكافئه عندئذ بسخاء. ولهذه المكافأة علاقة على الأرجح بالحكم مع المسيح خلال فترة الملك الألفي (١بط٥: ١- ٤).

١٢ : ٤٥ هذا العبد يدّعي العمل لأجل المسيح، مع أنه، في الواقع، غير مؤمن. فهو يسيء معاملة شعب الله، ويسرقهم، ويعيش منغمسًا في الملذات، عوضًا عن الحرص على إشباعهم (وقد تكون الإشارة هنا إلى الفريسيين).

١٢ : ٤٦ سيكشف مجيء الرب رياءه وعدم صدقه، لذا سيُعاقَب مع **الخائنين** الآخرين. أما الفعل «**يقطعه**»، فقد يُترجَم أيضًا "يجلده بقساوة".

١٢ : ٤٧، ٤٨ يبسط لنا العددان ٤٧، ٤٨ مبدًا رئيسيًا يتعلق بالخدمة على أشكالها. وهذا المبدأ مفاده أن المسؤولية تزداد على قدر ازدياد الامتيازات. وبالنسبة إلى المؤمنين، فهذا يعني أنه سيكون هناك درجات من المكافأة في السماء. كما أنه يعني أنه سيكون هناك درجات من العقاب في الجحيم بالنسبة إلى غير المؤمنين. فالذين تعرفوا بإرادة الله، كما هي معلنة في الكتاب المقدس، تترتب عليهم مسؤولية جسيمة لإطاعتها. هؤلاء قد **أعطوا كثيرًا**، لذا **سيُطلَب منهم كثير**. أما الذين لم يحظوا بكل هذه الامتيازات الرفيعة، فسيُعاقَبون أيضًا على أفعالهم السيئة، إلا أن عقابهم سيكون أقل صرامة.

و. نتيجة مجيء المسيح الأول (١٢: ٤٩-٥٣)

١٢: ٤٩ كان الرب على علم بأن السلام لن يعمّ الأرض أوّل مرّة يأتي فيها إلى **الأرض**. كان لا بدّ لمجيئه أن يسبّب أولاً الشقاقات، والنزاعات، والاضطهاد، وسفك الدم. فإلقاء هذا الشكل من **النار على الأرض** لم يكن هو القصد المُعلن من مجيئه، إنما حصل ذلك نتيجةً لهذا المجيء. كانت خدمته الأرضية قد تسبّبت ببعض الأحزان والشقاقات، إلا أن قلب الإنسان لم يُكشَف حقًّا إلا في حادثة الصلب. وكان الرب يعرف ضرورة حصول كل ذلك، لذا كان يرغب في أن يُسرِّع، قدر المستطاع، إضرام نار الاضطهاد ضده.

١٢: ٥٠ كان لديه **صبغة يصطبغها**. وهذا يشير إلى خضوعه الكليّ للموت على الصليب. كان يشعر بأنه منحصر بشكل عظيم للذهاب إلى الصليب لتتميم فداء البشرية الهالكة. فالعار، والألم، والموت، كانت تدخل في صُلب إرادة الآب له، وهو بدوره كان حريصًا جدًّا على الطاعة.

١٢: ٥١-٥٣ كان يعرف جيدًا أن مجيئه لن يجعل **السلام** يحلّ **على الأرض** في ذلك الوقت. لذا حذّر تلاميذه من اضطهادات سيلقونها على أيدي أفراد عائلاتهم. فدخول المسيحية إلى بيت قوامه **خمسة** أشخاص، سوف يقسم العائلة. إنها لعلامة غريبة من علامات الطبيعة البشرية الفاسدة، إن الأقرباء غير المؤمنين يفضلون أن يكون ابنهم سكّيرًا وفاسقًا على أنّ يصرّح علنًا بأنه واحد من تلاميذ المسيح. من هنا نجد أن هذا المقطع يدحض الفكرة القائلة إنّ يسوع جاء لتوحيد كل البشرية (من أتقياء وغير أتقياء) في بوتقة "أُخوّة البشر الشاملة". لكنه على نقيض ذلك، قسم الناس كما لم ينقسموا من قبل.

ز. علامات الأزمنة (١٢: ٥٤-٥٩)

١٢: ٥٤، ٥٥ كانت الأعداد السابقة موجّهة إلى التلاميذ. وها المخلّص الآن يتحول إلى **الجموع**. إنه يذكّرهم بمهارتهم في مجال التنبؤ بالطقس. كانوا يعرفون أن **السحابة** الطالعة من الغرب (أي فوق البحر الأبيض المتوسط)، سيتليها هطول المطر. ومن جهة أخرى، كانت الريح الجنوبية ترافقها حرارة محرقة مع جفاف. فالناس كان لديهم الذكاء الكافي لمعرفة ذلك. لكن الأمر كان يستلزم ما هو أكثر من الذكاء. فلا بدّ من الرغبة في المعرفة.

١٢: ٥٦ على الصعيد الروحي، كانت الأمور مختلفة. ذلك لأن ذكاءهم البشري الطبيعي لم يخولهم تمييز حقيقة إنهم كانوا يعيشون في ذلك الحين، **زمانًا** تاريخيًّا، من نوع خاص. فابن الله كان قد وافى هذه الأرض، وكان واقفًا في وسطهم. كما أن السماء لم يسبق لها أن كانت قريبة بهذا الشكل من قبل. ومع هذا، لم يعرفوا زمان افتقادهم. لقد كانت لديهم القدرة الفكرية على المعرفة، لكن كانت تعوزهم الإرادة للمعرفة. من أجل هذا، كانوا خادعين أنفسهم.

١٢: ٥٧-٥٩ فلو أدركوا مدى أهمية اليوم الذي كانوا يعيشون فيه، لسارعوا إلى مصالحة **خصمهم**. وقد اعتُمدت هنا ثلاثة تعابير قانونية وهي: **الخصم، الحاكم، القاضي**. وقد تشير جميعها إلى الله. ففي ذلك الوقت، كان الله يسير في وسطهم، متودّدًا إليهم، ومانحًا إيّاهم فرصة لاختبار الخلاص. كان عليهم أن يتوبوا، ويؤمنوا به. وفي حال رفضهم ذلك، كان عليهم أن يمثُلوا أمام الله بصفته القاضي. وكانت القضية ستتجه ضدّهم، بكل تأكيد. فستظهر مُذنبيّتهم، كما أنه سيصدر الحكم عليهم بسبب عدم إيمانهم. وعلى أثر ذلك، سيُطرحون

في السجن، بمعنى أنهم سيكابدون العقاب الأبدي. ولن يخرجوا من هناك حتى يكونوا قد وفوا الفلس الأخير، بمعنى أنهم لن يخرجوا من هناك إلى الأبد، وذلك لأنهم لن يتمكنوا أبدًا من دفع دين هائل كهذا.

إذًا كان الربُّ يسوع يدعوهم إلى ضرورة تمييز الزمن الذي كانوا يعيشون فيه. ومن ثم، كان عليهم أن يتصالحوا مع الله إذ يتوبون عن خطاياهم، ويسلمون أنفسهم له بالكلية.

ح. *أهمية التوبة* (١٣: ١-٥)

١٣: ١-٣ كان الفصل الثاني عشر قد اختُتم بإخفاق الأمّة اليهودية في تمييز الزمن الذي كانت تعيش فيه، وما تلى ذلك من تحذير أطلقه الرب، وفيه يحث على التوبة بسرعة، وإلاّ فالهلاك إلى الأبد. ثم يأتي الفصل الثالث عشر ليواصل التطرق إلى هذا الموضوع العام، وهو موجَّه، بشكل رئيسي، إلى الشعب القديم كأمّة، مع أن مبادئه تنطبق على الأفراد أيضًا. وقد انطلق الحديث التالي من كارثتين وطنيتين. كنت أولاهما المجزرة التي طالت بعض الجليليين الذين كانوا قد أمّوا أورشليم للعبادة. فبيلاطس، الوالي على اليهودية، كان قد أصدر أمره بذبحهم في أثناء تقريبهم الذبائح. وليس لدينا أية معلومات إضافية أخرى بشأن هذا العمل الوحشي. وباعتقادنا أن الضحايا كانوا من اليهود الذين كانوا يقطنون الجليل. وربما ظنّ اليهود في أورشليم أنه لا بد من أن يكون هؤلاء الجليليون قد اقترفوا بعض الخطايا الفظيعة، وإن موتهم هذا كان بمثابة برهان على عدم رضى الله عليهم. إلا أن الرب يسوع صحّح هذا المفهوم بتحذيره الشعب اليهودي بأنهم إن لم يتوبوا فجميعهم كذلك سيهلكون.

١٣: ٤، ٥ أما المأساة الأخرى، فكان لها علاقة بانهيار البرج في سلوام، الأمر الذي تسبب بمصرع ثمانية عشر شخصًا. ولا نعرف أي شيء عن هذه الحادثة سوى ما قد ذُكر هنا. ومن الخير أنّه لا يلزمنا معرفة أية تفاصيل أخرى إضافية، ذلك لأن الأمر الذي ركز عليه الرب هنا هو أن هذه الكارثة يجب عدم تفسيرها كأنها دينونة من نوع خاص على شر من الصنف الفظيع. لكن كان ينبغي النظر إليها بالحري كتحذير موجّه إلى الأمّة كُلّها مُنذرًا بأنّ مصيرًا مشابهًا ينتظرهم إن لم يتوبوا. وهذا ما حصل في العام ٧٠م عندما غزا تيطس أورشليم.

ط. *مَثَل شجرة التين العديمة الثمر* (١٣: ٦-٩)

نطق الرب يسوع بمَثَل شجرة التين، هذا المثل الذي له علاقة وثيقة بما سبق. كما أنه ليس من الصعب اعتبار أن شجرة التين تمثّل هنا الأمّة القديمة، المغروسة في كرم الله، الذي هو العالم. فالله بحث عن ثمر في هذه الشجرة، إلا أنه لم يجد. لذا خاطب الكرّام (الرب يسوع) بالقول إنه عبثًا سعى على مدى ثلاث سنين للحصول على ثمر من هذه الشجرة. ولعل أبسط تفسير لهذه الكلمات يجعلنا نرى فيها إشارة إلى السنوات الثلاث الأولى من خدمة ربّنا الجهارية. والفكرة وراء هذا النص هي أن شجرة التين كانت قد أُعطيت ما يكفي من الوقت لإنتاج ثمر، إن كانت ستثمر على أي حال. وإذ لم يظهر أي ثمر في غضون ثلاث سنوات، كان من المنطقي استخلاص أنها لن تحمل أي ثمر أبدًا. وهكذا بسبب عقمها هذا، أمر الله بقطعها. كانت فقط تشغل مكانًا كان بالإمكان استثماره بشكل أفضل. غير أن الكرّام تشفّع بشجرة

التين، طالبًا أن تُمنح سنة إضافية أخرى. وفي حال بقيت عقيمة في نهاية هذه الفترة، عندئذ سيكون بإمكانه أن يقطعها. وهذا ما حصل فعلاً. ذلك لأن الأمّة العاصية في مطلع السنة الرابعة رفضت الرب يسوع وصلبته. وعلى أثر ذلك تم تدمير عاصمتها، وتشتيت شعبها. عبّر ج. هـ. لانج *G. H. Lang* عن هذا الأمر، على النحو التالي:

> كان ابن الله يعرف فكر أبيه، صاحب الكرم، كما أنه كان على علم بصدور الأمر المروع: «اقطعها». فالأمّة عادت لتستنفذ من جديد أناة الله. فإنه لا يحق لأيّ شعب أو فرد أن يبقى ينعم بعناية الله، إن كان لا يأتي بثمر البرّ نجد الله وحمده. فالإنسان موجود لإكرام الخالق ولعمل مسرّته. وعندما لا يخدم هذا الغرض المحق، فلمَ لا يصدر حكم الموت بحقه بسبب إخفاقه الأليم هذا، ويفقد امتيازه هذا؟

ي. شفاء المرأة المنحنية (١٣: ١٠-١٧)

١٣: ١٠-١٣ إن موقف الأمّة الحقيقي من الرب يسوع، يُرى في رئيس المجمع. لقد اعترض هذا المسؤول على المخلِّص بسبب شفائه امرأة في السبت. وكانت هذه المرأة قد عانت إنحناءًا حادًّا في العمود الفقري، وذلك على مدى **ثماني عشرة سنة**. وكان هذا المرض قد استفحل فيها حتى إنها لم تعد تقدر على **الانتصاب** البتة. والرب يسوع كان قد نطق بكلمته الشافية، حتى من دون أن يُسأل، ثم **وضع عليها يديه، فاستقام ظهرها.**

١٣: ١٤ عندئذ خاطب رئيس المجمع الشعب بغضب داعيًا إياهم إلى الحضور طلبًا للشفاء خلال الأيام **الستة** الأولى من الأسبوع، وليس في اليوم السابع. كان متديّنًا معترفًا، ويخلو من أي اهتمام عميق بمشاكل الناس. لقد كان عاجزًا عن مساعدتهم، حتى لو حضروا خلال الأيام الستة الأولى من الأسبوع. كان دأبه التدقيق في تفاصيل تتعلق بالناموس، في حين كان قلبه خاليًا من أية محبة أو رحمة. ولو أنه هو الذي كان يعاني هذه الانحناءة المزمنة في الظهر، لما عاد يهمُّه في أي يوم قد ينال الشفاء.

١٣: ١٥، ١٦ ونبّخه الرب هو وسائر القادة الآخرين على رياءهم. فذكّرهم بأنهم ما كانوا ليتردّدوا البتة في أمر **حلّهم الثور أو الحمار من المذود في السبت** والذهاب به إلى حيث يسقيه الماء. فإن كانوا يراعون حيوانًا أعجم بهذا الشكل في السبت، فهل كان يسوع على خطإ بإبرائه **هذه المرأة، ابنة إبراهيم؟** وهذه العبارة «ابنة إبراهيم»، تشير إلى أنها كانت مؤمنة حقيقية، وامرأة ذات إيمان بالإضافة إلى كونها يهودية. كما أن هذا الانحناء في الظهر كان قد سبّبه لها **الشيطان**. ونحن نعرف من أجزاء أخرى من الكتاب المقدس أن بعض الأمراض هي نتيجة عمل الشيطان. فقروح أيوب كان قد ضربه بها الشيطان. كما أن شوكة بولس في الجسد كانت ملاكًا من الشيطان ليلطمه. إلا أن الشيطان يحتاج أولاً إلى سماح من الله حتى يتعرض للمؤمن بهذا الشكل. إلى ذلك، فإن الله قادر أن يحوّل أمثال هذه الأمراض أو الآلام نجده.

١٣: ١٧ لقد **أخجل** الرب بكلماته هذه جميع منتقديه. **وفرح** عامة الشعب بهذه المعجزة المجيدة التي صُنعت أمامهم.

ك. مَثَلان من أمثال الملكوت (١٣: ١٨-٢١)

١٣: ١٨، ١٩ كان الشعب، بعد معاينتهم معجزة الشفاء المدهشة هذه، معرَّضين للظن بأن الملكوت سيُقام فورًا. فإذا بالربّ يسوع يصحّح مفهومهم ببسطه أمامهم مَثَلين يختصان بالملكوت، ويصفان حالته خلال الفترة الممتدة بين زمن رفض المَلِك ورجوعه إلى الأرض ليملك. إنهما يصوّران لنا نموّ النصرانيّة أو العالم المسيحي، ويشتملان على مجرد الاعتراف الظاهري، بالإضافة إلى الحقيقة (راجع الملاحظات حول لوقا ٨: ١-٣).

أولاً، شبّه الرب **ملكوت الله بحبة خردل**، وهي من أصغر الحبوب. إنها تنتج شجيرة وليس شجرة، لدى طرحها في الأرض. لذا، كان يسوع، بتصريحه بأن هذه الحبة صارت **شجرة كبيرة**، يشير إلى أن هذا النمو كان غير عادي على الإطلاق. كانت كبيرة جدًّا بشكل يسمح **لطيور السماء** بأن تأتي وتتآوى **في أغصانها**. والفكرة هنا هي أن المسيحية كانت قد شهدت بداية متواضعة، وحقيرة **كحبة الخردل**. لكن شعبيتها ازدادت مع نموّها؛ وهكذا تطور العالم المسيحي كما نعرفه اليوم. فالعالم المسيحي يتألف من جميع الذين يعترفون بالولاء للرب سواء أكانوا قد اختبروا الولادة الثانية أو لا. ومن جهة أخرى، إن **طيور السماء** هنا هي من فصيلة الجوارح أو الطيور الكاسرة. إنها ترمز إلى الشر، وتشير بالتالي إلى حقيقة أن العالم المسيحي قد أصبح مرتعًا لمختلف أنواع الشرور والفساد.

١٣: ٢٠، ٢١ شبّه المثل الثاني **ملكوت الله** بخميرة وضعتها امرأة **في ثلاثة أكيال دقيق**. وباعتقادنا أن الخميرة في الكتاب المقدس ترمز دائمًا إلى الشر. والفكرة هنا هي أنه قد تمّ دسّ التعاليم الفاسدة داخل الطعام النقي لشعب الله. وهذه التعاليم المُضِلّة ليس بجامدة، بل إنّها تنتقل وتنتشر بسرعة رهيبة.

ل. الباب الضيّق المؤدّي إلى الملكوت (١٣: ٢٢-٣٠)

١٣: ٢٢، ٢٣ بينما كان الرب يسوع متجهًا **نحو أورشليم**، جاء واحد من الجمع يسأله هل عدد الذين يخلصون قليل. ولعله طرح هذا السؤال من قبيل الفضولية، ليس إلاّ.

١٣: ٢٤ أجابه الرب بتوجيهه إليه أمرًا مباشرًا. وذلك بدعوته إياه إلى التحقُّق من أنه **سيدخل** هو بنفسه **من الباب الضيّق**. والرب يسوع، بقوله بضرورة **الاجتهاد لدخول الباب الضيّق**، لم يكن يعني أن الخلاص يتطلب منّا بذل مجهود غير اعتيادي. فالباب الضيّق هنا هو الولادة الثانية، أو الخلاص بالنعمة بواسطة الإيمان. وكان الرب يسوع ينبّه هذا الرجل إلى ضرورة التيقُّن من أنه قد دخل من هذا الباب «**إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون**»، بعد أن يكون هذا الباب قد أُغلق. وهذا لا يعني أنهم سيسعون الآن للدخول من خلال باب الرجوع إلى الرب بالتوبة، بل إنما الإشارة هنا هي إلى أنهم سيرغبون في دخول ملكوت المسيح في يوم قدرته ومجده، ولكن بعد فوات الأوان. وبذلك يكون قد انقضى يوم النعمة الذي نتمتّع به الآن.

١٣: ٢٥-٢٧ سيقوم **رب البيت ويغلق الباب**. وبعد هذا تطل علينا الأمّة اليهودية وهي تقرع **الباب** سائلة **الرب أن يفتح** لها. إلا أنه سيرد طلبهم هذا على اعتبار أنه لا يعرفهم أبدًا. أما هم فسيحتجون على ذلك، مدّعين أنهم عاشوا في علاقة حميمة به. إلا أن هذه الادعاءات لم تكن لتؤثر فيه على الإطلاق. أنهم **من فاعلي الظلم**، ولن يسمح لهم بالدخول.

١٣: ٢٨-٣٠ إن رفض الرب هذا سيسبب **البكاء وصرير الأسنان**. فالبكاء يدلّ على الندامة، أما صرير الأسنان فيوحي بالكراهية الهائلة لله. وهذا إنما يظهر أن عذابات الجحيم تبقى عاجزة عن تغيير قلب الإنسان. فالإسرائيليون غير المؤمنين سيتسنّى لهم رؤية **إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء**. كانوا هم بأنفسهم لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، إلا أنهم **سيُطرحون خارجًا**. فالأمم سيأتون من زوايا الأرض الأربع إلى ملكوت المسيح، ليستمتعوا ببركاته المدهشة. وهكذا سيُرفَض العديد من اليهود الذين كان الله قد قصد أن يباركهم، بينما سينعم ببركات مُلك المسيح الألفي أولئك الأمم الذين كان يُنظَر إليهم ككلاب.

م. *أورشليم قاتلة الأنبياء* (١٣: ٣١-٣٥)

١٣: ٣١ كان الرب يسوع، حسب الظاهر، قد بلغ المكان الذي يسيطر عليه هيرودس. فجاء **بعض الفريسيين** يدعونه إلى **الخروج** من هناك، لأن **هيرودس** كان يحاول **قتله**. هؤلاء الفريسيون لم يكن ظهورهم هذا بمظهر المهتمين بخير يسوع وبسلامته، لينسجم على الإطلاق مع نيّاتهم. ولعلهم كانوا ضالعين في مؤامرة مع هيرودس تهدف إلى ترويعه لحمله على التوجّه إلى أورشليم حيث كان بالإمكان إلقاء القبض عليه، بكل تأكيد.

١٣: ٣٢ تهديد الرب هذا باحتمال تعرضه لعنف جسدي لم يؤثر فيه بشيء. بل رأى في ذلك مؤامرة دنيئة كان قد حاكها هيرودس. لذا حمّل هؤلاء الفريسيين رسالة، قبل أن طلب إليهم العودة إلى هذا **الثعلب**. وهنا يستهجن بعضهم كون الرب يسوع قد أطلق على هيرودس هذه التسمية "انشى الثعلب"، كما ورد في الصيغة الأصلية للنص. ذلك لأنهم يرون في هذا نقصًا للتعليم الكتابي الذي يحظر التكلّم بالسوء على الحاكم (خر ٢٢: ٢٨). غير أن كلام الربّ هذا لم يكن شريرًا، بل كان منتهى الحق. أما فحوى الرسالة التي بعثها يسوع، أنه كان ما يزال يحتاج أن يعمل وقتًا قصيرًا بعد. فإنّه كان **سيُخرِج شياطين**، ويصنع بعض معجزات الشفاء، وذلك خلال الأيام القليلة الباقية من حياته على هذه الأرض. ثم **في اليوم الثالث**، أي في يومه الأخير، يكون قد أكمل العمل المتعلّق بخدمته الأرضية. ولم يكن أي شيء ليعيقه عن تتميم مهامه. كما أنه إلى أن يكون قد حان الوقت المحدّد، ما كان بوسع أية قوة على الأرض أن تؤذيه.

١٣: ٣٣ إلى ذلك، لم يكن ممكنًا قتله في الجليل. فهذا "الامتياز" كان محصورًا بمدينة **أورشليم**. ذلك لأن هذه المدينة اشتهرت، على نحو خاص، بقتلها لخدّام الله العلي. كما أن مهمّة إماتة الناطقين بلسان الله، كانت على ما يبدو حكرًا عليها. وهذا ما عناه الرب يسوع بقوله: «**لأنّه لا يمكن أن يهلك نبيّ خارجًا عن أورشليم**».

١٣: ٣٤، ٣٥ بعد أن تكلم الرب يسوع بالحقّ بشأن هذه المدينة الشريرة، تحرّكت احشاؤه إشفاقًا عليها وبكى. فهذه المدينة التي تقتل الأنبياء وترجم من أرسلهم الله إليها، كانت محطّ محبة المسيح الرقيقة. **فكم مرة** أراد جمع أبناء هذه المدينة **كما تجمع الدجاجة فراخها**، لكنهم **لم يريدوا**. فالمشكلة تكمن في عنادهم. وعلى أثر ذلك، **ستُترك** مدينتهم، وهيكلهم، وأرضهم **خرابًا**. فسيختبرون السبي على مدى فترة طويلة من الزمن. كما أنه لن يتسنى لهم **رؤية** الرب حتى يكونوا قد بدّلوا موقفهم منه. والجدير ذكره أن الجزء الأخير من العدد ٣٥ يشير إلى مجيء المسيح الثاني. ففي ذلك **الوقت**، ستتوب بقية من الأمّة. وهؤلاء **سيقولون**: **مبارك الآتي باسم الرب**. عندئذ سيكون شعبه منتدبًا في يوم قوته.

ن. *شفاء رجل مستسقٍ* (١٤: ١-٦)

١٤: ١-٣ ذات سبت دعا أحد رؤساء **الفريسيين** الرب إلى تناول الطعام في بيته. وهو لم يُقدِم على ذلك بدافع الضيافة المخلصة، بل بالحري كمحاولة كان يبذلها القادة الدينيون للظفر بعلّة على ابن الله. وهناك رأى يسوع رجلاً مصابًا بالاستسقاء أي بتورّم ناتج من تراكم الماء داخل الأنسجة. قرأ المخلّص فكر منتقديه عندما سألهم بالتحديد هل **يحلّ الإبراء في السبت**.

١٤: ٤-٦ كانوا يحبون كثيرًا الإجابة بالنفي، إلاّ أن عجزهم عن دعم جوابهم، جعلهم يؤثرون بالحري ملازمة الصمت. لذا، **أبرأ** يسوع الرجل **وأطلقه**. فهذا الأمر كان في نظره عمل رحمة، كما أن المحبة الإلهية لا تكفّ عن العمل، ولو في السبت (يو ٥: ١٧). ثم التفت إلى اليهود ليذكّرهم بأنهم كانوا، ولا شك، سيسارعون إلى انتشال أحد حيواناتهم، حالَ سقوطه في بئر في يوم **السبت**. كانت مصلحتهم تقتضي أن يتصرفوا بهذا الشكل، بما أن هذا الحيوان ثمّنًا. ومن جهة أخرى، ما كانوا ليبالوا البتة بإنسان متألم نظيرهم، كما أنهم كانوا على استعداد لإدانة الربّ يسوع بما أنه مدّ له يد العون. **لم يقدروا أن يجيبوا** عن المنطق الذي تكلّم به المخلّص، إلا أنّ باستطاعتنا التيقّن بأنْ قد ازدادت نقمتهم عليه، من جراء هذه الحادثة.

س. *مَثَل الضيف الطموح* (١٤: ٧-١١)

كان الرب يسوع قد لاحظ خلال دخوله بيت الفريسي، كيف راح الضيوف يسعون بكل براعة، للحصول على **المتكآت الأولى** حول المائدة. كانوا يطلبون المقامات الرفيعة والإكرام. كان الرب واحدًا من هؤلاء الضيوف، إلاّ أن هذا لم يمنعه من التكلّم بصراحة وبصدق. لذا، جعل يحذّرهم من هذا الشكل من حب الظهور وتعزيز الذات. كان عليهم **متى دُعُوا** إلى عشاء، أن يتّكئوا في **الموضع الأخير**، لا في المتكإ الأول. فإذا طلبنا المركز الأول لأنفسنا، فهناك دائمًا احتمال إنزالنا إلى درجة أدنى، مع ما يرافق ذلك من خجل. لكن، في حال تواضعنا حقًّا أمام الله، لن يبقى لدينا سوى اتجاه واحد نتحرّك تبعًا له، وهو الاتجاه إلى **فوق**. فالرب يسوع علم أن ترفيعنا إلى مقام عالٍ يبقى أفضل من استيلائنا على هذا المقام، لكي نعود ونتخلى عنه كرهًا. فهو نفسه مثالنا الحي في نكران الذات (في ٢: ٥-٨)؛ لقد وضع نفسه، ومن ثم رفعه الله. **فإن كل من يرفع نفسه**، سيضعه الله.

ع. *قائمة المدعوّين المكرّمة عند الله* (١٤: ١٢-١٤)

كان رئيس الفريسيين، ولا شك، قد دعا مشاهير المحلة إلى هذه المأدبة. وقد لاحظ الرب يسوع ذلك على الفور. كما استوقفه أيضًا عدم حضور أي من الفقراء والمساكين بينهم. لذا اغتنم هذه الفرصة لإعلان أحد أعظم المبادئ في المسيحية، وهو ضرورة أن نحب غير المحبوبين ومن ليس بوسعهم أن يردّوا لنا صدى معروفنا معهم. فالناس عادة يدعون **أصدقاءهم وإخوتهم وجيرانهم الأغنياء**. دائمًا على أمل أن يعود هؤلاء ويدعوهم بدورهم. لا يقتضي التصرف بهذا الشكل حياةً إلهية. أمّا الإحسان إلى **المساكين والجدع والعرج والعمي** فهو ظاهرة خارقة للطبيعة بكل تأكيد. وعند الله مكافأة خاصة للذين يُظهِرون محبة لهذه الفئات

من الناس. ليس بوسع هؤلاء الضيوف أن يكافئونا، لكنّ الله نفسه وعد بمكافأتنا في **قيامة الأبرار**. وهذه القيامة تُعرف أيضًا في الكتاب المقدس بالقيامة الأولى، والإشارة هنا هي إلى قيامة جميع المؤمنين الحقيقيين. وهي تحصل عند الاختطاف، ثمّ أيضًا عند نهاية الضيقة العظيمة كما نرى. أي إن القيامة الأولى ليست حدثًا واحدًا، إنما تحدث على أكثر من مرحلة واحدة.

ف. *مَثَل الأعذار* (١٤: ١٥-٢٤)

١٤: ١٥-١٨ عبّر واحد من المدعوّين كان متّكئًا مع يسوع، عن روعة المشاركة في بركات **ملكوت الله**. ولعله تأثّر بمبادئ السلوك التي كان الرب يسوع قد علّمها لتوّه. أو ربما تحدث بشكل عام من دون أن يفكّر مليًّا في الأمر. وعلى كل حال، أعرب الرب، في معرض ردّه على هذا الضيف، عن أسفه على لجوء العديد من المدعوين إلى الاحتماء وراء مختلف أنواع الأعذار الغبية والسخيفة لتبرير تقاعسهم عن تلبية هذه الدعوة الرائعة لهم إلى **أكل خبز في ملكوت الله**. وهكذا صوّر الله وكأنه **إنسان صنع عشاء عظيمًا ودعا ضيوفًا كثيرين**. وبعد أن أصبح العشاء جاهزًا، أرسل **عبده لينقل** إلى الضيوف **المدعوين** أن كل شيء قد أُعدّ. وهذا إنما يذكرنا بالحقيقة العظمى أن الرب يسوع أكمل عمل الفداء فوق الجلجثة، كما أن هذا العمل الذي تمّمه الرب يشكّل الأساس لدعوة الإنجيل. اعتذر أحد المدعوين عن المجيء لأنه **اشترى حقلاً**، وكان يريد أن **يخرج وينظره**. وفي الواقع، كان ينبغي له أن يكون قد خرج ونظره قبل شرائه. وعلى كل حال، كان يولي الأمور المادية أهمية أكثر من الدعوة المباركة.

١٤: ١٩، ٢٠ كان الشخص التالي قد اشترى **خمسة أزواج بقر**، وكان مزمعًا أن **يمضي لامتحانها**. وهذا الشخص يرمز إلى الذين يجعلون الأشغال أو الوظائف أو الأعمال قبل دعوة الله. أمّا الشخص الثالث فصرّح بأنه **تزوّج بامرأة**، ولذلك كان يتعذّر عليه المجيء. فالروابط العائلية والعلائق الاجتماعية غالبًا ما تعيق الناس عن قبول دعوة الإنجيل.

١٤: ٢١-٢٣ عندما أعلم **ذلك العبد** سيّده برفض الجميع لهذه الدعوة، أرسله **رب البيت** إلى خارج **المدينة** ليدعو **المساكين والجدع والعرج والعمي**. وقد علّق بنجل *Bengel* على هذا بالقول: "الطبيعة والنعمة تقفتان كلتاهما الفراغ". كان أول صنف من المدعوّين يشير ربما إلى قادة الشعب اليهودي. فبعد رفضهم للإنجيل، عاد الله فأرسله إلى عامة الشعب **في مدينة** أورشليم. تجاوب عدد كبير من هؤلاء مع دعوة الله هذه، إلاّ أنه كان ما يزال هناك **مكان** في بيت السيد. لذا دعا رب البيت خادمه للخروج إلى **الطرق** الرئيسة والفرعية **وإلزام** الناس بالدخول. والإشارة هنا، ولا شك، هي إلى انطلاق الإنجيل إلى الأمم. هؤلاء كان ينبغي إرغامهم لا بقوة السلاح (كما حصل لاحقًا في تاريخ المسيحية المرتدّة)، بل بالحري بواسطة الحجة القوية. كان يجب اعتماد اسلوب الإقناع بمحبة في محاولة لإدخال هؤلاء إلى بيت السيّد لكي **يمتلئ**.

١٤: ٢٤ إذًا، لم تعد القائمة الأولى بأسماء الضيوف تنفع، ذلك لأن **المدعوين** أولاً لم يحضروا.

ص. ثمن التلمذة الحقة (١٤: ٢٥ـ ٣٥)

١٤: ٢٥ كانت الآن **جموع كثيرة** تتبع الرب يسوع. إن نفوذًا واسع النطاق كهذا، يبعث في قلوب الزعماء شعورًا بالابتهاج والإعجاب بالنفس. غير أن الرب يسوع لم يكن يطلب أناسًا يتبعونه من قبيل الفضولية الخالية من أي اهتمام قلبي وحقيقي به. لكنه كان يبحث بالحري عن أولئك الذين على استعداد للعيش له بكل وفاء وغيرة، بل أيضًا للموت في سبيله إذا دعت الحاجة. لذا راح الآن يغربل الجموع بعرضه عليهم الشروط الصارمة للتلمذة. فالرب كان أحيانًا يستميل الناس إليه، لكي يعود فيذرّيهم بعد شروعهم في اتّباعه. وهذا ما يحصل هنا.

١٤: ٢٦ أولاً، نبّه أتباعه إلى ضرورة أن يحبّوه فوق كل شيء حتى يكونوا تلاميذ حقيقيين له. وهو لم يسبق له قطّ أن ألمح إلى أنه ينبغي للناس أن يراعوا في قلوبهم الأحقاد المُرّة من نحو **أب وأم وامرأة وأولاد وإخوة وأخوات**. لكنه كان يشدد بالحري على ضرورة أن تكون المحبة له عظيمة جدًا بشكل تبدو كل محبة أخرى بمثابة بغضة بالمقارنة مع المحبة للمسيح (راجع متى ١٠: ٣٧). لذا يجب عدم السماح لأية روابط عائلية بأن تُميل قلب التلميذ بعيدًا عن السير في طاعة كاملة للرب.

إن العبارة «**حتى نفسه أيضًا**»، تشكّل، في الواقع، الجزء الأصعب من هذا الشرط الأول للتلمذة. لا يكفي أن نحب أقرباءنا أقلّ، بل نحتاج أن **نبغض نفوسنا أيضًا**. وفي هذه الحال، يكون المسيح، لا الذات، هو محور حياتنا. يجب أن يتركّز اهتمامنا على ما سيكون لكل تصرف نقوم به من تأثير في المسيح وفي مجده، لا على انعكاسات هذا التصرف علينا. كما أن كلّ الاعتبارات المتعلقة براحتنا الشخصية وبسلامتنا، ينبغي إخضاعها لإنجاز المهمة العظمى، ألا وهي تمجيد المسيح وتعريف الناس به. لقد كانت كلمات المخلّص هذه مطلقة: إننا لا نقدر أن نكون له تلاميذ إذا لم نحبه فوق كل شيء، أكثر من أفراد عائلاتنا، بل أكثر من أنفسنا. ولا مجال لأي حلّ وسط.

١٤: ٢٧ ثانيًا، علّم المسيح أن على التلميذ الحقيقي أن **يحمل صليبه** ويتبعه. والصليب ليس بمثابة احتمال عاهة جسدية، ولا حالة من الاضطراب الفكري، إنما يشير إلى الارتضاء بسلوك سبيل العار، والألم، والوحشة، بل أيضًا الموت، من أجل المسيح. ليس جميع المؤمنين **يحملون الصليب**، ذلك لأنه بالإمكان تجنبه والعيش في حياة مسيحية اسمية. لكن في حال عزمنا على تكريس الكل للمسيح، فسنختبر عندئذ مقاومة شيطانية من الصنف عينه الذي عرفه ابن الله إبّان حياته هنا على الأرض. هذا هو الصليب. فالتلميذ يجب أن **يأتي وراء** المسيح، بمعنى أن عليه أن يعيش كما عاش المسيح على الأرض: حياة نكران النفس، والتواضع، والتعرّض للاضطهاد وللإهانة وللتجارب، ولمقاومة الخطاة له.

١٤: ٢٨ـ ٣٠ ثم نطق الرب يسوع بتوضيحين في معرض تركيزه على ضرورة الجلوس لحساب **النفقة** قبل الشروع باتّباعه. لقد شبّه الحياة المسيحية بمشروع بناء، وبعد هذا بحرب. فالرجل الذي **يريد** أن **يبني برجًا**، يجلس **أولاً ويحسب النفقة**. إنه لن يباشر بذلك إذا رأى أنه لا يملك ما **يلزم لكماله**. وإلاّ فسيضطر إلى التوقف عن العمل بعد أن يكون قد وضع الأساس. **فيبتدئ** عندئذ الناظرون **يهزأون به قائلين: هذا الإنسان ابتدأ يبني ولم يقدر أن يكمّل**. وهكذا هو الحال بالنسبة

إلى التلاميذ، إذ عليهم أن يحسبوا النفقة أولاً، ويقرّروا هل هُم حقًّا على استعداد للتخلي عن حيواتهم بالكلية لأجل المسيح. وإلاّ فقد تكون البداية بشكل بريق من المجد، لكن سرعان ما يخبو هذا البريق؛ وفي هذه الحال سيكونون محطّ سخرية الناظرين لأنهم ابتدأوا حسنًا لكي ينتهوا بشكل معيب. والعالم لا يكنّ إلاّ مشاعر الاحتقار لأولئك المسيحيين أصحاب القلوب المجزّأة.

١٤: ٣١، ٣٢ على الملك الذاهب لمقاتلة قوى تفوقه عددًا، أن يفكّر مليًّا أولاً في قوته العسكرية القليلة نسبيًّا: هل **تستطيع** أن تلحق الهزيمة بالعدو. إنه يدرك تمامًا أن المسألة تستلزم تكريسًا مطلقًا أو استسلامًا دنيئًا. وهذا يصحّ أيضًا على حياة التلمذة المسيحية، حيث لا مكان للحلول الوسط.

١٤: ٣٣ لربما كان العدد ٣٣ من الأعداد التي تحظى بأقل قدر من الشعبية في كل الكتاب المقدس. فهو يذكر بالحرف الواحد أن «**كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذًا**». ولا مجال للتهرّب من معنى هذه الكلمات. فالكلام هنا ليس عن أهمية أن يكون الإنسان راضيًا بترك الكل، بل عن ضرورة ترك الكل. لقد كان الرب يعني تمامًا ما قاله هنا. فهو أدرك أن العمل لا يمكن إتمامه بأية طريقة أخرى. لذا جاء يطلب رجالاً ونساء يقدّرونه فوق كل شيء في العالم. وقد كتب رايل *Ryle* في هذا السياق ما يلي:

> الرجل الذي يُحسن إلى نفسه هو الذي يتخلّى عن الكل لأجل المسيح. إنه يعقد أفضل الصفقات: إنه يحمل الصليب على مدى سنين قليلة في هذا العالم، وينعم بالحياة الأبدية في العالم الآتي. كما أنه يحصل على أفضل المقتنيات، ذلك لأنه يحمل غناه معه إلى ما بعد القبر؛ وهو غني بالنعمة هنا، وغني بالمجد هناك. والأفضل من هذا كلّه هو أنه لن يفقد أبدًا ما يحصل عليه بالإيمان في المسيح. ذلك هو «النصيب الصالح الذي لن يُنزع منه».

١٤: ٣٤، ٣٥ الملح هو صورة للتلمذة. فالإنسان الذي يعيش للرب بكل تكريس وتضحية يكون نافعًا ومباركًا. وبعد هذا نقرأ عن **الملح** أنه **فسد**. لا يفسد الملح في أيامنا لأنه نقي، لكنه في البلدان القديمة التي يتحدّث عنها الكتاب المقدس غالبًا ما كان مخلوطًا بأجسام غريبة. لذا كان بالإمكان استهلاك الملح حتى لا يعود الوعاء يحوي سوى بعض الرواسب فقط. وهذه الرواسب لم تكن تنفع لشيء، ولا تصلح حتى كأسمدة، بل كان يجب التخلّص منها.

الصورة هنا هي لتلميذ ينطلق انطلاقة حسنة، ثم يتراجع عن ولائه. فهناك غرض رئيسي واحد من وجود التلميذ، وإلاّ سيتحوّل إلى شخص مثير للشفقة إن أخفق في تتميم القصد في حياته. عندئذ «**سيطرحونه** (والإشارة هنا هي إلى الناس) **خارجًا**». والكتاب لا يذكر قط هنا أن الله هو الذي **يطرحه خارجًا**، لأن هذا الأمر مستحيل حصوله. لكن الناس هم الذين يطرحونه خارجًا، بمعنى أنهم يدوسون شهادة من شرع بالبناء ولم يستطيع أن يكمل. وقد علّق كلي *Kelly* على هذا بالقول:

> نرى هنا خطر البداية الحسنة التي تنتهي رديئًا. فهل في العالم شيء لا نفع منه أكثر من الملح الذي فقد الميزة الوحيدة التي يُقدَّر لأجلها؟ إنه لا يعود ينفع لأي غرض آخر. هذا هو حال التلميذ الذي يكفّ

عن أن يكون تلميذًا للمسيح. فهو لا يناسب مقاصد العالم، في حين تخلّى عن الأهداف الإلهية. عنده الكثير من النور أو المعرفة التي تمنعه من الانسجام مع أباطيل هذا العالم وخطاياه، وفي الوقت عينه لم يعد يتمتع بالنعمة وبالحق بشكل يحفظه في سبيل المسيح... الملح الذي فقد ملوحته يصبح محطّ ازدراء وإدانة.

اختتم الرب يسوع حديثه عن التلمذة بهذه الكلمات: «**من له أذنان للسمع فليسمع**». وهذه العبارة تشير ضمنًا إلى أن شروط التلمذة القاسية لن تلقى ترحيبًا عند كل إنسان. أما الشخص المستعد لاتّباع الربّ يسوع، مهما كلّف الثمن، فينبغي له أن يسمع كلام الرب ويتبعه.

قال جون كالفن *John Calvin* مرة: "تخلّيت عن كل شيء لأجل المسيح، لكن ماذا وجدت بالمقابل؟ لقد وجدت كل شيء في المسيح". وعلّق أيضًا هنري دراموند *Henry Drummond* بالقول: "إن تعريفة الدخول إلى ملكوت السماوات لا تكلّف أي شيء. أمّا رسم التسجيل السنوي فيكلّف كل شيء".

ق. مَثَل الخروف الضائع (١٥: ١-٧)

١٥: ١، ٢ يبدو أن الربّ قد استقطب حوله **العشّارين** المحتقَرين وقومًا **من الخطاة** المعروفين، وذلك بفضل خدمته التعليمية في الفصل الرابع عشر. كانوا يعترفون بأن يسوع على حق على الرغم من توبيخه إياهم على خطاياهم. وهكذا وقفوا مع المسيح ضدّ أنفسهم، فتابوا توبة صادقة معترفين به أنّه الربّ. فيسوع كان أبدًا ينجذب إلى أي فريق من الناس على استعداد للاعتراف بخطاياهم، بهدف مساعدتهم روحيًّا وإغداق بركاته عليهم.

مقت **الفريسيون والكهنة** حقيقة أن يسوع كان يؤاخي خطاة مشهورين. لم يكونوا ليُظهروا أية رحمة أو شفقة لهؤلاء البرص اجتماعيًّا وأدبيًّا، كما اشمأزّوا من تصرّف يسوع معهم بهذا الشكل. لذا ألصقوا به الاتهام: «**هذا يقبل خطاة ويأكل معهم**». وكانت هذه التهمة صحيحة وفي محلها طبعًا. ظنوا أنها تشكل سبب ملامة له، ولكنها كانت في الواقع بمثابة تتميم للقصد الأساسي الذي لأجله جاء الرب يسوع إلى العالم.

ردّ يسوع على تهمتهم هذه بروايته على مسامعهم ثلاثة أمثال: الخروف الضائع، الدرهم المفقود، الابن الضالّ. وقد وجّه هذه القصص مباشرة إلى معشر الكتبة والفريسيين الذين لم يسبق لهم قط أن انكسروا أمام الله معترفين أمامه بضلالهم. كان ضلالهم، في الواقع، لا يقل عن ضلال العشّارين والخطاة، لكنهم كانوا يرفضون بكل إصرار الاعتراف بذلك. ومغزى هذه القصص الثلاث هو أن الله يحصل على فرح وشبع حقيقيين لدى رؤيته خطاة يتوبون، غير أنه لا يسرّ البتة بأصحاب البرّ الذاتي المرائين الذي تمنعهم كبرياؤهم من الاعتراف بحالتهم الخاطئة وشقاوتهم.

١٥: ٣، ٤ يظهر الرب يسوع هنا وراء استعارة الراعي، كما أن التسعة والتسعين خروفًا تمثّل الكتبة والفريسيين. أما الخروف الضائع فهو نموذج للعشّار أو للخاطي المُشهَّر. فما إن يتحقق الراعي من **ضياع أحد** خرافه حتى يترك **التسعة والتسعين في البرية** (وليس في الحظيرة) ويخرج في أثره حتى يجده. وبالنسبة إلى الرب يسوع، فقد تضمنت رحلته نزوله إلى الأرض، وسنوات خدمته الجهارية، ورفضه وآلامه وموته. فما أروع وأصدق ما جاء في الترنيمة التي موضوعُها "التسعة والتسعون":

لكنْ لا أحد من المفدين تمكّن أبدًا من معرفة
مدى عمق المياه التي عبرها الربّ،
ولا مقدار ظلال الليل الحالك الذي اجتاز به
قبل أن وجد خروفه الذي كان ضائعًا.

اليزابيث كليفان Elizabeth Clephane

١٥: ٥ بعد أن **وجد** الخروف، وضعه **على منكبيه** وأخذه إلى بيته. وهذا يوحي بأن الخروف المخلّص بات يتمتّع بامتياز وبعلاقة حميمة بالرب، لم يعهدهما قطّ عندما كان في عِداد الآخرين.

١٥: ٦ دعا الراعي **أصدقاءه وجيرانه** إلى الابتهاج معه بسبب خلاص الخروف الضائع. والكلام هنا هو عن فرح المخلِّص برؤية أحد الخطاة يتوب.

١٥: ٧ العبرة واضحة: **هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب**، لكن السماء لا تفرح البتة بالتسعة والتسعين خاطئًا الذين لم يتبكّتوا قط على ضلالهم. فالعدد ٧ لا يصرِّح، في الواقع، بأن بعض القوم ليسوا في حاجة إلى توبة. فالناس جميعهم خطاة، ويجب أن يتوبوا جميعهم، لكي يخلصوا. إنّما يصف هذا العدد أولئك الذين، في نظر أنفسهم، **لا يحتاجون إلى توبة**.

ر. *مَثَل الدرهم المفقود* (١٥: ٨-١٠)

المرأة في هذه القصة، قد تشير إلى الروح القدس الذي يطلب الضالين بواسطة سراج كلمة الله. والدراهم التسعة تمثّل معشر غير التائبين فيما **الدرهم الواحد** المفقود يشير إلى الإنسان المستعد بالاعتراف بأنه ليس على علاقة جيدة بالله. في الرواية السابقة، كان الخروف قد زاغ وتاه بإرادته الخاصة. أمّا الدرهم فهو شيء جامد وخالٍ من الحياة، وقد يشير إلى حالة **الخاطي** الميت في الذنوب والخالي من الحياة.

تُواصِل المرأة **تفتيشها باجتهاد** عن الدرهم **حتى تجده**. ثم **تدعو الصديقات والجارات** للاحتفال معها بهذا الحدث. فالدرهم المفقود الذي وجدته سَرّها في العمق أكثر من الدراهم التسعة الأخرى التي لم تعرف الضياع قط. وهكذا هو الحال مع الله. **فالخاطئ** الذي يتواضع ويعترف بأنه ضالّ وهالك يُبهِج قلب الله. لكنه تعالى لا يحصل على أي فرح من أولئك الذين لا يشعرون بحاجتهم إلى التوبة.

ش. *مَثَل الابن الضالّ* (١٥: ١١-٣٢)

١٥: ١١-١٦ يظهر الله الآب هنا **كإنسان كان له ابنان**. يمثّل **الابن الأصغر** الخاطي التائب، فيما يشير الابن الأكبر إلى الكتبة والفريسيين. وهؤلاء هم أبناء الله بالخلق لا بالفداء. ويُعرف الابن الأصغر أيضًا بالابن **المسرف**. والمسرف هو الذي ينفق مالَهُ ويبذّره بتهوّر وطيش. سئم هذا الابن العيش في بيت أبيه، وقرّر مغادرته. ما كان باستطاعته الانتظار ريثما يموت أبوه، لذا سأله أن يعطيه **القسم** الذي يخصُّه من الميراث قبل أوانه. وهكذا منح كل واحد من الاثنين نصيبه من المال. ثم ما لبث الابن الأصغر أن رحل إلى **كورة بعيدة** حيث انفق ماله على هواه في الملذات الأثيمة. وما إن فقد أمواله حتى عمّت تلك البلاد أزمة اقتصادية حادّة، وابتدأ يعاني العوز. كان إطعام **الخنازير** هو العمل الوحيد الذي تمكّن من الحصول عليه، وهو من الأعمال التي أكثر ما يمقتها اليهودي. كان يحسد الخنازير لدى رؤيته إيّاها تأكل **الخرنوب**. فالطعام كان متوافرًا لها أكثر منه، ويبدو أن **لا أحد** كان مهتمًا بمساعدته. لقد توارى أصدقاء الأمس الذين أحاطوا به لمّا كان ينفق أمواله من دون حساب.

١٥: ١٧ـ١٩ برهنت المجاعة، بشكل غير مباشر، على أنها بركة. لقد حمّلته على التفكير. كما ذكّرته بأن الأُجَراء في بيت أبيه كانوا يعيشون برفاهية أكثر منه. كان لديهم طعام وفير في حين كان **الجوع** ينهشه هو. وبعد تفكيره في هذا الأمر، قرّر أن يعمل شيئًا ما بشأنه. لقد عزم على أن **يذهب** إلى أبيه تائبًا، ويعترف له بخطيته ويطلب الصفح منه. كما أدرك أنه لم يعد أهلاً لأن يُدعى بعد ابنًا لأبيه، لذا صمّم على دعوته إلى السماح له بالقيام بعمل **الأجير**.

١٥: ٢٠ وقبل وصوله إلى البيت بمسافة طويلة، رآه **أبوه فتحنن، وركض ووقع على عنقه وقبّله**. ولعلّها المرة الوحيدة التي يذكر فيها الكتاب المقدّس عن تصرّف الله على عجلة بشكل إيجابي. وقد وصف ستيورات *Stewart* وقائع هذا اللقاء بكل براعة بقوله:

> استطاع الربّ يسوع بكلّ ثقة أن يصوّر الله، لا كمن انتظر ابنه الخجول حتى يتسلّل خلسة إلى البيت، ولا كمن حقّر ابنه وأشعره بأنه فقد كل كرامة واعتبار في نظره، بل صوّره راكضًا لاستقباله ومعانقته على الرغم من حالته المزرية في قذارته وأسماله البالية. والعبارة نفسها «يا أبي» أظهرت الخطيّة للحال في وجهها المظلم والقاتم، وعظّمت في الوقت عينه بهاء مجد الغفران.

١٥: ٢١ـ٢٤ نطق **الابن** باعترافه إلى الحدّ الذي كان مزمعًا فيه أن يطلب من أبيه السماح له بالعمل لحسابه. لكن الأب قاطعه بإصداره أوامره إلى عبيده بأن يُلبِسوا ابنه **الحلّة الأولى، ويجعلوا خاتمًا في يده وحذاء في رجليه**. كذلك أمر بعمل وليمة عظيمة للاحتفال برجوع **ابنه** الذي كان **ضالاً فوُجِد** الآن. كما أنه كان **ميتًا** في نظر الآب، لكنه **عاش** الآن. وقال أحدهم في هذا السياق:

> "كان هذا الشاب ينوي قضاء وقت طيّب، لكنه لم يحصل على ضالته في الكورة البعيدة، بل وجدها بعد أن عاد إلى رشده ورجع إلى بيت أبيه". مذكور أنهم **ابتدأوا يفرحون**، لكن لا يدوّن الكتاب قط أن فرحهم قد انتهى. وهذا هو الحال بالنسبة إلى خلاص الخاطي.

١٥: ٢٥ـ٢٧ سمع **الابن الأكبر** لدى عودته من **الحقل** أجواء المرح والطرب، **فسأل** أحد الغلمان عن الأمر. فنقل إليه نبأ رجوع أخيه الأصغر إلى البيت ومدى ابتهاج أبيه بهذا الحدث.

١٥: ٢٨ـ٣٠ استشاط الابن الأكبر غضبًا، ورفض المشاركة في فرح أبيه. وعلّق على هذا التصرف داربي *Darby* بهذه الكلمات: "لا يمكن للبرّ الذاتي أن يأتي إلى حيث فرح الله. إن كان الله طيّبًا مع الخطاة، فما المنفعة من برّي أنا؟". وعندما جاء **أبوه** يتوسّل إليه أن يشارك في الاحتفال، رفض ذلك متشكّيًا من أن أباه لم يكافئه قط على خدمته الأمينة وعلى طاعته. فهو لم يحصل منه حتى على **جدي**، بينما كان **العجل المسمّن** من نصيب أخيه. كذلك عبّر عن انزعاجه من عدم تردّد أبيه في إقامة هذا الاحتفال العظيم لدى رجوع الابن الضالّ بعد تبذيره مال أبيه على **الزواني**. ولنلاحظ قوله «**ابنك هذا**» عوضًا عن "أخي".

١٥: ٣١، ٣٢ يبيّن جواب الأب أن رجوع الابن **الضالّ** مقرون بالفرح. وبالمقابل، لا مجال للاحتفال متى كان الابن عنيدًا وجاحدًا الفضل ومتقاعسًا عن طلب الصلح.

يصوّر الابن الأكبر الكتبة والفريسيين على أكمل وجه. كانوا يمقتون إقدام الله على التعامل بالرحمة مع

الخطاة الأشرار. وفي نظرهم، وإن لم يكُن في نظر الله، أنّهم خدموه بكل أمانة ولم يتعدَّوا قطُّ وصاياه. ومع هذا، لم يكافئهم قط كما يجب على كل هذا، كما زعموا. كانوا، في واقع الحال، من المرائين الدينيين والخطاة المذنبين. لقد أعمتهم كبرياؤهم عن بُعدهم عن الله وعن كونه قد أغدق عليهم بركة تلو الأخرى. لو كانوا يرغبون فقط في التوبة والاعتراف بخطاياهم، لسَرُّوا بذلك قلب الله وتسبّبوا بإقامة احتفال عظيم.

ت. مَثَل الوكيل الظالم (١٦: ١-٣)

١٦: ١، ٢ ينتقل الرب يسوع الآن من الفريسيين والكتبة إلى **تلاميذه** لتلقينهم درسًا عن الوكالة. ويجب الإقرار بأن هذا المقطع هو من أصعب النصوص في إنجيل لوقا. والسبب في ذلك يعود إلى كون هذه القصة عن الوكيل الظالم تُشجِّع، حسب الظاهر، على الغش وعدم الاستقامة. لكننا سنرى في ما يلي أن هذا الأمر غير صحيح. **إن الإنسان الغني**، بحسب هذه القصة، يصوّر الله نفسه، **فالوكيل** هو مَن اؤتمن على إدارة أملاك شخص آخر. وتبيِّن هذه القصة أن كل تلميذ للرب هو أيضًا وكيل. لقد اتُّهم هذا الوكيل بالذات بتبذير أموال سيده. لذا دُعي إلى تقديم **الحساب** وأُعلِم بأنه مطرود من عمله.

١٦: ٣-٦ وَزَن **الوكيل** الأمور بسرعة في ذهنه. فأدرك حاجته إلى تأمين مستقبله. لكنه كان قد كبر في السن بشكل يمنعه من القيام بأعمال مضنية جسديًّا. كما أن كبرياءه لم تسمح له **بالاستعطاء** (مع أنّها سمحت له بالسرقة). فكيف عساه أن يدبّر أمر ضمانه الاجتماعي؟ فتبادرت إلى ذهنه خطة تخوّله كسب أصدقاء يحسنون إليه عند الحاجة. وجاءت هذه الخطة على الشكل التالي: قصد أحد زبائن سيّده وسأله **كم كان عليه** لسيّده. وعندما قال له الزبون: **مئة بث زيت**، دعاه إلى دفع ثمن **خمسين** فقط وأعفاه من الباقي.

١٦: ٧ كان زبون آخر مديونًا **بمئة كر قمح**. فطلب منه الوكيل دفع ثمن **ثمانين** مقابل تعهّده له بختم الفاتورة كلها بالكلمة "مدفوع".

١٦: ٨ الجزء الذي يصدم في هذه القصة هو عندما **مدح السيد وكيل الظلم على تصرفه بحكمة**. كيف يمكن لأي واحد أن يوافق على هذا الغش؟ فالوكيل لم يكن عادلاً في سلوكه. لكن الأعداد التالية تُظهِر أن الوكيل لم ينَل المديح على تصرُّفه الملتوي بل بالحري على بُعد نظره. لقد سلك بتعقل إذ نظر إلى المستقبل وسعى لتأمينه. وهكذا ضحّى بالربح الآنيّ في سبيل الحصول على مجازاة في ما بعد. إلاّ أنه يجب أن نحرص جدًّا في معرض تطبيقنا لمغزى هذه القصة على حيواتنا، ذلك لأن مستقبل أولاد الله هو في السماء وليس على الأرض. وكما أن هذا الوكيل اتّخذ خطوات لتأمين أصدقاء له خلال فترة تقاعده هنا على الأرض، هكذا حري بنا نحن المؤمنين أن نستخدم عطايا سيدنا بشكل يضمن لنا استقبالاً حافلاً لدى دخولنا السماء.

قال الرب: «**أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم**». وهذا يعني أن الناس الأشرار وغير المولودين ثانيةً يهتمُّون بتأمين مستقبلهم في هذا العالم أكثر من اهتمام المؤمنين الحقيقيين بادِّخار كنوزٍ لهم في السماء. لذا يُظهِرون أنهم أحكم من المسيحيين.

١٦: ٩ علنا أن نصنع لأنفسنا أصدقاء بواسطة مال الظلم. أي أنه يترتب علينا تسخير المال وسائر الأشياء المادية لربح نفوس للمسيح، وبالتالي تكوين صداقات تبقى معنا طوال الأبدية. وقد عبّر عن هذا بيرسون *Pierson* بكل وضوح:

> بالإمكان استخدام المال لشراء كتب مقدسة وكتب روحية ونشرات تبشيرية، والبلوغ بالتالي، بشكل غير مباشر، إلى نفوس الناس. وبذلك يكون ما هو مادي وموقّت قد أصبح خالدًا وتحوّل إلى ما هو غير ماديّ وروحيّ وأبدي. فهنا رجل في حوزته حوالة مالية بقيمة مئة دولار؛ فباستطاعته انفاقها على وليمة أو على حفلة مسائية، وفي هذه الحال يكون قد فقدها وخسرها في اليوم التالي. ومن جهة أخرى، بإمكانه استثمارها في شراء الكتب المقدسة بسعر دولار للكتاب الواحد، أي أن المئة دولار تخوّله اقتناء مئة نسخة من كلمة الله. إنّه بكل حكمة يستخدم هذا المال لزرع البذار في الملكوت، وهذه البذار ستنمو وتعطي غلة من النفوس وليس من الكتب المقدسة. وبذلك يكون قد صنع بواسطة مال الظلم أصدقاء خالدين باستطاعتهم قبوله في المظال الأبدية بعد فناء ماله.

هذا إذًا هو تعليم ربنا. فإنه باستثمارنا الحكيم لممتلكاتنا المادية قد نكون سبب بركة أبدية لسوانا من الرجال والنساء. وهكذا يتأكّد لنا أنه لدى بلوغنا أبواب السماء، سيكون هناك في انتظارنا "لجنة استقبال" قوامها أولئك الذين خلصوا بفضل عطائنا بتضحية وصلواتنا. سيشكرنا هؤلاء القوم بالقول: "أنتم الذين دعوتمونا إلى هنا". ويعلّق داربي *Darby* على هذا بالقول:

> الإنسان بشكل عام، هو وكيل الله، كما أن الأمّة القديمة كانت بطريقة أخرى وبمعنى آخر وكيلة الله. ذلك لأنه جعلها في كرمه وأمّنها على الشريعة والمواعيد والعهود والعبادة. لكن تبيّن أنّها بذّرت أموال الله من كل النواحي. فالإنسان بصفته وكيلاً وُجد غير أمين على الإطلاق. والآن ما العمل؟ فالله يظهر على الساحة وبموجب سيادة نعمته يحوّل ما كان الإنسان قد أساء استخدامه على الأرض إلى وسيلة للإثمار في السماء. فالإنسان ينبغي له أن يستخدم ما في حوزته من أمور هذا العالم لا لاستمتاعه الشخصيّ بهذا العالم المنفصل كليًّا عن الله بل بالنظر إلى المستقبل. علينا ألاّ نسعى لاقتناء الأشياء الآن بل نُحسن استخدام هذه الأشياء لتأمين ما نحتاج إليه في أوقات أُخرى. فتحويل الكل إلى صديق ليوم آخر يبقى أفضل من اقتناء المال الآن. ذلك لأن الإنسان هنا سائر في طريقة إلى الخراب والهلاك. لذا الإنسان هو وكيل مطرود في الوقت الحاضر.

١٦: ١٠ إن كنا أمناء في وكالتنا على القليل (المال)، **فعندئذ سنكون أمناء في تعاملنا مع الكثير** (الكنوز الروحية). ومن جهة أخرى، فإن الإنسان الخائن في استخدامه للمال الذي ائتمنه الله عليه هو أيضًا خائن في ما يتعلق بالاعتبارات العظمى. تأتي العبارة «**في القليل**» لتركّز على عدم أهمية المال نسبيًّا.

١٦: ١١ كل من لا يكون مستقيمًا في استخدامه لمال الظلم (المال عمومًا) لأجل الرب، لا يحقّ له أن يتوقّع من الرب ائتمانه على **المال** الحق. يُدعى المال هنا **مال الظلم**، وهو ليس شرًّا بحدّ ذاته. ولكن ربّما لم تكن الحاجة قد دعت قطّ إلى استعمال المال لو لم تدخُل الخطيّة إلى العالم. والمال هو **مال ظُلم** لأنّه يُستخدَم، على نحوٍ مميّز، لأغراضٍ

أُخرى غير مجد الله. وهكذا يوضع مال الظلم بالمباينة مع المال الحقّ، أو الغنى الحقيقيّ. فالمال قيمته غير أكيدة ووقتية فيما للحقائق الروحية قيمة ثابتة وأبدية.

١٦: ١٢ يميّز العدد ١٢ بين ما هو لآخر وما هو لنا. فكل ما لدينا، من مال ووقت ومهارات، يخصّ الرب وعلينا استخدامه في سبيله. أمّا **ما هو لنا** فيشير هنا إلى المكافآت التي سنحوزها في هذه الحياة وفي الحياة الآتية نتيجة خدمتنا الأمينة للمسيح. فإن كنا غير أمناء في ما للمسيح، فكيف يُعقَل أن يعطينا **ما هو لنا**؟

١٦: ١٣ يستحيل علينا بالكلية العيش لأجل الأشياء ولأجل الله في آن. فإذا كان المال سيدًا علينا، لن نتمكن حقًّا من خدمة الرب. إن تحصيل الغنى يُلزمنا أن نخصّص أفضل مجهوداتنا لأجل هذا الغرض. وبفعلنا هذا نحن نسلب الله ما هو له شرعًا. إنها مسألة تجزُّؤٍ في الولاء. فالدوافع متضاربة كما أن الدوافع غير متجرّدة. فحيث كنزنا هناك يكون قلبنا أيضًا. وفي سعينا لكسب الغنى نحن نخدم المال. وفي هذه الحال، يستحيل علينا تمامًا أن نخدم الله في الوقت عينه. فالمال يطالب بكل ما عندنا وبكل ما نحن عليه: امسياتنا، عطلات آخر الأسبوع، والوقت الذي يجب أن نخصصه للرب.

ث. *الفريسيون الجشعون* (١٦: ١٤-١٨)

١٦: ١٤ لم يكن الفريسيون متعجرفين ومرائين وحسب، بل كانوا جشعين أيضًا. لقد ظنوا أن التقوى سبيل لكسب الغنى. لقد اختاروا الدين كمن يختار وظيفة مريحة. وهكذا لم يكن القصد من خدمتهم تمجيد الله ومساعدة القريب، بل بالحري إغناء نفوسهم. لذا لدى سماعهم الرب يسوع يعلّم بضرورة التخلّي عن غنى هذا العالم لكنز كنوز في السماء، **استهزأوا به**. ذلك لأن المال كان بالنسبة إليهم أمرًا حقيقيًّا أكثر من مواعيد الله. ولم يكن أي شيء ليعقهم عن جمع الأموال.

١٦: ١٥ كان الفريسيون يظهرون من الخارج أنهم أتقياء وروحيون. لقد اعتبروا أنفسهم أبرارًا في نظر **الناس**. **لكن الله** رأى جشع قلوبهم وراء هذا الخارج المضلِّل. لم يخدعه تظاهرهم. كان صنف الحياة الذي عاشوه والذي وافق عليه الآخرون (مز ٤٩: ١٨) **رجسًا قدام الله**. لقد اعتبروا أنفسهم ناجحين بسبب ربطهم ما بين اعترافهم الدينيّ المظهريّ والبحبوحة الماديّة. لكنهم كانوا، في نظر الله، قومًا من الزناة روحيًّا. كانوا يتظاهرون بالمحبة ليهوه، فيما كان المال إلههم في الواقع.

١٦: ١٦ من الصعب جدًّا أن نجد أي رابط للأعداد ١٦-١٨ مع ما سبق ومع ما يلي. قد يبدو، أول وهلة، أن لا علاقة البتة بينها وبينهما. لكن، نشعر أنّ باستطاعتنا فهم معنى هذه الأعداد على أفضل وجه بتذكُّرنا أن موضوع الفصل السادس عشر هو جشع الفريسيين وعدم أمانتهم. فالأشخاص الذين اعتزوا بقدرتهم على حفظ الناموس بكل دقة كشف الرب هنا كونهم جماعة من المرائين البخلاء. فالمفارقة شاسعة بين روح الناموس والروح الفريسية.

كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا. بهذه الكلمات، وصف الربّ تدبير الناموس الذي بدأ بموسى وانتهى **بيوحنا** المعمدان. لكن الآن كان الرب في صدد افتتاح تدبير جديد. فمنذ زمن يوحنا كان **يُكرز بإنجيل ملكوت**

الله. فالمعمدان انطلق لإعلان مجيء ملك الأمّة ذي الحقّ. وهكذا أعلم الشعبَ بأن الرب يسوع سوف يملك عليهم في حال تابوا. فتجاوب كثيرون مع كرازته ومع كرازة الرب يسوع والتلاميذ بعده.

«**وكل واحد يغتصب نفسه إليه**» يعني أن الذين تجاوبوا مع الرسالة قد اقتحموا الملكوت، بالحرف الواحد. فالعشّارون والخطاة مثلاً، كان عليهم أن يقفزوا فوق الحواجز والعوائق التي جعلها الفريسيون في طريقهم. وكان يحتاج آخرون أن يواجهوا بعنفٍ محبة المال في قلوبهم. كما كان ينبغي التخلّص من التحيّز والأحكام المسبقة.

١٦: ١٧، ١٨ إلاّ أن التدبير الجديد لا يعني أنه جرى التخلّي عن الحقائق الأدبية الأساسية. ذلك لأن **زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس**. والنقطة الواحدة من الناموس تمكن مقارنتها بنقطة على الحرف "ت" إن زالت أصبح "ن".

ظنّ الفريسيون أنهم كانوا داخل ملكوت الله، لكن الرب خاطبهم بما معناه: "لا يمكنكم تجاهل القوانين الأدبية العظمى التي وضعها الله والادعاء في الوقت عينه بأن لكم مكانًا داخل الملكوت". وربما كانوا سيسألون: "أي تعليم أدبي عظيم نحن نتجاهل؟". عندئذٍ وجههم الرب إلى قانون الزواج لكونه قانونًا لا يزول. فكل رجل **يطلّق امرأته ويتزوج بأخرى يزني. وكل من يتزوج بمطلّقة من رجل يزني أيضًا**. وهذا بالتمام ما كان يفعله الفريسيون على الصعيد الروحي. فالشعب اليهودي كان الله قد أدخلهم في علاقة عهد به. لكن هؤلاء الفريسيين كانوا الآن يُديرون ظهورهم لله في سعيهم المستميت وراء الغنى المادي. وربما لمّح هذا العدد إلى أنّهم كانوا مذنبين باقترافهم الزنى بالمعنى الحرفي للكلمة، إلى جانب الزنى الروحي.

خ. *الغني ولعازر* (١٦: ١٩-٣١)

١٦: ١٩-٢١ يختتم الرب حديثه عن الوكالة على الأشياء المادية بالتكلم عن حياتين وعن موتين وعن مصيرين. والجدير ذكره أنه لم ينطق بمَثَل هنا. ونحن نركز على هذا بما أن بعض المنتقدين يحاولون، على ما يبدو، تجاهل الانعكاسات الجلية المترتبة على هذه القصة باعتبارها مجرّد مَثَل كما يزعمون.

ينبغي أن نوضح منذ البداية أن الغني المجهول الهوية لم يُحكم عليه بالذهاب إلى الهاوية بسبب غناه. فالإيمان بالرب هو أساس الخلاص، والناس يُدانون بسبب رفضهم الإيمان به. لكن هذا الغني بالتحديد، بتجاهله **المسكين الذي طُرح عند بابه** وإهماله، أظهر أنه لم يكن عنده أي إيمان حقيقي مخلّص. فلو كانت فيه محبة الله فعلاً، لما احتمل العيش في الرفاهية والتنعُّم والراحة فيما كان إنسان مثله مطروحًا عند بابه يتمنّى أن يحسن إليه بإعطائه القليل من **فتات** الخبز. كان يتسنّى له الدخول بسعة إلى ملكوت الله لو أنه تخلّى فقط عن محبته للمال.

كذلك يصحّ القول إن **لعازر** لم يخلص لكونه فقيرًا، بل إنه كان قد آمن بالربّ لخلاص نفسه.

ولنتأمل الآن قليلاً في أوصاف هذا الرجل الغني. لم يكن يلبس سوى أغلى الثياب وعلى آخر طراز، كما أن مائدته كانت تزخر بأشهى الأطعمة وبالأصناف النادرة والثمينة التي لا يقتنيها إلاّ الذواقة. لقد عاش لنفسه لإشباع لذّاته وشهواته الجسدية. ولم يكن يكنّ لله ولا للناس حواليه أية محبة حقيقيّة.

يطلّ علينا لعازر في صورة مختلفة تمامًا. كان هذا الرجل المسكين مطروحًا عند باب بيت الغني **مضروبًا بالقروح**. كان الجوع ينهش جسده النحيل، كما أنه كان مُبتلى **بالكلاب** النجسة التي اعتادت أن **تأتي وتلحس قروحه**.

١٦: ٢٢ عندما مات المسكين، حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. وهنا يسأل العديدون هل للملائكة دور في توصيل نفوس إلى السماء. ونحن لا نرى أي سبب للتشكيك في قوة هذه الكلمات البسيطة. فالملائكة تخدم المؤمنين في هذه الحياة، وما من سبب، حسب الظاهر، يمنع قيامها بذلك عند الموت. **حضن إبراهيم** هو تعبير رمزي عن مكان السعادة. إن مجرد فكرة الاستمتاع بالشركة مع إبراهيم توحي لأي يهوديّ بالسعادة التي يُنطق بها. وفي نظرنا، ليس حضن إبراهيم سوى مرادف للسماء. وعندما مات **الغني**، **دُفن** جسده، هذا الجسد الذي طالما دلّله وأنفق عليه الكثير.

١٦: ٢٣، ٢٤ لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد. ذلك لأن نفسه أو ذاته الواعية مضت إلى **الهاوية**. وهذه الكلمة، **الهاوية**، هي اللفظة اليونانية للكلمة "شيؤل" المذكورة في العهد القديم للإشارة إلى مقر الأرواح المنتقلة من هذه الدنيا، من مؤمنين وغير مؤمنين على السواء. أمّا هنا فتدلّ هذه الكلمة على مقرّ غير المخلّصين لأننا نقرأ عن الغني أنه كان في **العذاب**.

لا بدّ من أن التلاميذ صُعقوا لدى سماعهم الربّ يسوع يصرّح بأن هذا اليهودي الغني قد مضى إلى **الهاوية**. فهم طالما تعلّموا من العهد القديم أن الغنى كان بمثابة علامة على بركة الله ورضاه. فالوعد كان بالازدهار المادي لكلّ عبراني يطيع الرب. كيف إذًا ليهوديّ غني أن يمضي إلى الهاوية؟ كان الربّ يسوع قد أعلن لتوّه أن نظامًا جديدًا قد ابتدأ مع كرازة يوحنا.

فالغني، من الآن فصاعدًا، لم يعد مؤشّرًا إلى البركة، لكنه امتحان لمدى أمانة الإنسان في حقل الوكالة. فالذي يُعطى كثيرًا يُطالَب بالكثير.

يدحض العدد ٢٣ فكرة "رقاد النفس"، أو النظرية القائلة بأنّ النفس تكون في حالة لا وعي بين الموت والقيامة. فهذا العدد يؤكد أن هناك وجودًا واعيًا ما وراءَ القبر. وفي الواقع يدهشنا مدى سعة اطّلاع هذا الغني ومقدار معرفته. لقد رأى **إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه**. كما كان بإمكانه أيضًا التحدث إلى إبراهيم. وإذ ناداه **يا أبي إبراهيم**، توسّل إليه بأن **يرحمه** ويسمح **للعازر** بأن يُحضر له نقطة **ماء ليبرّد** بها **لسانه**. وبالطبع، قد نسأل هنا كيف يُمكن نفسًا خارج الجسد أن تختبر العطش والعذاب بسبب **اللهيب**. ولا يسعنا سوى استخلاص أن الكلام هنا رمزيّ، لكن هذا لا يعني قطعًا أن الألم لم يكن حقيقيًّا.

١٦: ٢٥ خاطبه إبراهيم بالعبارة **يا ابني**. وكأنه أراد أن يلمّح له ضمنًا بأنه من نسله جسديًّا، ولكن ليس روحيًّا. فذكّره رئيس الآباء بحياته السابقة التي عاشها في الرفاهية والبذخ والانغماس في اللذّات. كما كرّر أمامه الحديث عن فقر لعازر وآلامه. فالآن، بعد القبر، انقلبت الأمور وظهر التفاوت بين الرجلين لمصلحة لعازر هذه المرة.

١٦ : ٢٦ نتعلم هنا أن خيارات هذه الحياة هي التي تقرر مصيرنا الأبدي، وأن هذا المصير يكون **ثابتًا** بعد الموت. فلا مجال للعبور من موطن المخلّصين إلى موطن الهالكين ولا العكس بالعكس.

١٦ : ٢٧- ٣١ بعد الموت، تحوّل الغني فجأة إلى مبشّر. كان يودّ لو يذهب واحد إلى إخوته الخمسة لتحذيرهم من **المجيء إلى موضع العذاب**. فأجابه إبراهيم بأنّ أسفار العهد القديم المتوافرة لدى إخوته الخمسة، لكونهم يهودًا، تكفي لتحذيرهم. لكن الغني لم يوافق على قول إبراهيم هذا. ففي نظره أنّهم سيتوبون، لا محالة، إذا مضى إليهم **واحد من الأموات**. غير أن الكلمة الفصل كانت لإبراهيم، فصرّح بأن التقاعس عن الإصغاء إلى كلمة الله يُقرِّر المصير الشقيّ إلى الأبد. فالناس الذين لا يعيرون الكتاب المقدس اهتمامًا، لن يؤمنوا ولو قام **واحد من الأموات**. وقد تبرهن هذا بشكل جازم بالنسبة إلى الرب يسوع نفسه. فالناس لم يؤمنوا به على الرغم من قيامته من بين الأموات.

نعلم من العهد الجديد أنه لدى موت المؤمن يكون جسده في القبر فيما تمضي نفسه لتكون مع المسيح في السماء (٢كو٥: ٨؛ في١: ٢٣). وبالمقابل، فإن جسد غير المؤمن الميت يكون أيضًا في القبر فيما تذهب نفسه إلى الهاوية. والهاوية بالنسبة إليه هي مكان عذاب وندامة!

وعند الاختطاف ستُقام أجساد المؤمنين من القبر لكي تعود وتتّحد بأرواحهم ونفوسهم (١تس٤: ١٣-١٨). وعندئذ سيُقيمون مع المسيح إلى الأبد. كذلك أيضًا أجسادُ غير المؤمنين وأرواحهم ونفوسهم سوف تتّحد معًا لكي تُدان أمام العرش العظيم الأبيض. بعد هذا يُطرحون في بحيرة النار حيث العقاب والعذاب الأبديّان.

وهكذا يُختتم الفصل السادس عشر بتحذير جليل جدًّا موجّه إلى الفريسيين وإلى جميع الذين يعيشون لأجل المال. إنهم بتصرفهم هذا يعرّضون نفوسهم للخطر الأبديّ. فالتماس الخبز هنا على الأرض يبقى أفضل من التماس الماء في الهاوية.

٩- ابن الإنسان يعلّم تلاميذه (١٧: ١ – ١٩: ٢٧).

أ. عن خطر إعثار الآخرين (١٧: ١، ٢)

يبدو هذا الفصل مفتقرًا إلى تسلسل واضح للأفكار، فكأن لوقا أراد هنا أن يجمع عدة مواضيع منفصلة. غير أن ما يُستهلّ به هذا الفصل من تعليقات للمسيح حول خطر إعثار الآخرين، بالإمكان ربطه بقصة الغني في ختام الفصل السادس عشر. فالعيش في البذخ والرفاهية وإرضاء الذات قد يكون عثرة لأناس آخرين أحداث في الإيمان. إنهم يميلون إلى اتّباع مثال من يُعرف بأنه مسيحي مُبارَك. فما أخطر قيادة أتباع الرب يسوع الذين تُعلّق عليهم الآمال، إلى العيش في حياة مادية وإلى عبادة المال.

مجالات العمل بهذا المبدأ هي بالطبع واسعة جدًّا. **فالصغار** يمكن إعثارهم بتشجيعهم على الانهماك في الشؤون الدنيوية أو بتورّط أحدهم في خطية النجاسة. كما أن كل تعليم يحاول أن يحيد عن المعنى الصريح للآيات الكتابية قد يشكّل معثرة لهم. وبكلمة أخرى، كل ما يبعدهم عن خط الإيمان البسيط والتكريس والقداسة هو حجر عثرة لهم.

والرب في معرفته بالطبيعة البشريّة وبالأوضاع السائدة في العالم، صرّح بأنه لا بدّ من أن **تأتي العثرات**.

لكن هذا لا يخفّض شيئًا من ذنب الذين يُسبِّبون العثرات. كان خيرًا لهؤلاء لو طُوِّق عنقهم بحجر الرحى لكن يغرقوا في أعماق البحر. ومن الواضح أن تعبيرًا عنيفًا كهذا لا يهدف إلى تصوير الموت الجسدي وحسب، بل الهلاك الأبدي أيضًا.

عندما يتحدث الرب عن إعثار أحد هؤلاء الصغار، فإنه يقصد بذلك، على الأرجح، أكثر من الأولاد. فكلامه قد يشمل أيضًا الأحداث في الإيمان.

ب. عن الحاجة إلى الغفران (١٧: ٣، ٤)

في الحياة المسيحية أكثر من خطر إعثار الآخرين. فهناك أيضًا خطر مراعاة الأحقاد ورفض الغفران لمن أساء إلينا ثم جاء يطلب المعذرة. وهذا ما يتناوله الربّ هنا. فالعهد الجديد يدعونا إلى اتّباع الأسلوب التالي في تعاملنا مع هذا الموضوع:

١ـ إن كان أحد المؤمنين يشعر بأن مؤمنًا آخر قد أساء إليه، فإنه ينبغي أولاً أن يغفر في قلبه للشخص المسيء (أف ٤: ٣٢). إنّ ذلك يحفظ نفسه من المرارة والخبث.

٢ـ ثم عليه أن يمضي إلى الشخص المسيء ليوبخه على انفراد (ع٣؛ وأيضًا متى ١٨: ١٥). وإذا تاب، يجب إعلامه بأنه مسامَح. ولئن أخطأ مرارًا ثم صرّح بأنه تائب، فيجب أن يُغفر له (ع٤).

٣ـ إن كان التوبيخ على انفراد لم يثبت فعاليته، فينبغي عندئذ للشخص الذي أُسيء إليه أن يأخذ معه شاهدًا أو اثنين (مت١٨: ١٦). وفي حال لم يصغ إلى هؤلاء، يلزم عرض هذه المسألة على الكنيسة. وأخيرًا لا بد من عزله من شركة الكنيسة إذا تقاعس عن الإذعان لقرار الكنيسة بشأن هذه القضية (مت١٨: ١٧).

ليس القصد من التوبيخات، ولا من أية إجراءات تأديبية أخرى تُتخذ بحق الشخص المسيء، الانتقام منه أو إذلاله، بل بالحري ردّه إلى الشركة مع الرب ومع إخوته. من هنا ضرورة تقديم كل التوبيخات بروح المحبة. ومن جهة أخرى، لا يمكننا أبدًا الحكم على المسيء، من جهة مدى صدق توبته، بل علينا قبول تصريحه بأنه قد تاب. لذا يقول الرب يسوع: «**وإن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم ورجع إليك سبع مرات في اليوم قائلاً أنا تائب فاغفر له**». هذا هو أسلوب النعمة الذي يعتمده أبونا السماوي في تعامله معنا. فمهما خيّبنا آماله، يبقى لدينا الوعد اليقيني بأنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كل إثم» (١يو١: ٩).

ج. عن الإيمان (١٧: ٥، ٦)

١٧: ٥ إن فكرة ضرورة الغفران سبع مرات في اليوم الواحد، رآها **الرسل** صعبة جدًّا، إن لم نقل ضربًا من المستحيل. لقد شعروا بأنهم غير أكفاء لإظهار النعمة بهذا الشكل. لذا طلبوا إلى **الرب أن يزيد إيمانهم**.

١٧: ٦ يتبيّن لنا من جواب **الرب** أن المسألة لا تتعلق بكمية الإيمان على قدر ما تتعلق بنوعيّته. كما أنهم لم يكونوا في حاجة إلى الحصول على المزيد من الإيمان بل إلى استخدام الإيمان الموجود عندهم. فكبرياؤنا وشعورنا بأهميّتنا الذاتية هما اللذان يمنعاننا من الغفران لإخوتنا. لذا وجب اقتلاع الكبرياء من جذورها وطرحها عنا. وإن كان باستطاعة **الإيمان** الذي يُماثل حبة **الخردل** أن يقلع **الجميزة** ليغرسها

في البحر، فكم بالحري يسهل عليه أن ينصرنا على القسوة وعدم الانكسار اللذين يمنعاننا من الغفران لأحد إخوتنا إلى ما لا نهاية.

د. عن الخدام النافعين (١٧: ٧-١٠)

١٧: ٧-٩ لا سبب يدعو العبد الحقيقي للمسيح إلى الانتفاخ. فالشعور بالأهمية الذاتية يجب قلعه من الجذور لكي يحلّ مكانه إحساس صادق بعدم استحقاقنا. وهذا هو المغزى من مَثَل العبد. فهذا **العبد حرث أو رعى** المواشي اليوم كله. ولدى **دخوله من الحقل** بعد عناء يوم طويل من العمل الشاق، لا يدعوه السيّد إلى **الاتكاء** للعشاء، بل يأمره بالحري أن يضع عليه مئزره **ويعدّ له ما يتعشّى** به. عندئذ فقط وبعد تتميم هذا كلّه، يُسمح للعبد بأن **يأكل** طعامه. والمعلّم لا يشكره على قيامه بهذه الأعمال، بما أنها متوقّعة من العبد. فالعبد، في نهاية المطاف، يخصّ سيّده وتبقى الطاعة واجبه الأول.

١٧: ١٠ هكذا التلاميذ هم عبيد الربّ يسوع المسيح. إنهم يخصّونه روحًا ونفسًا وجسدًا. وفي ضوء الجلجثة، لا شيء باستطاعتهم القيام به يكفي لمكافأته على ما فعل لأجلهم. لذا، ينبغي للتلميذ، بعد أن يكون قد **فعل كل ما يأمره** به العهد الجديد، أن يبقى يعترف بأنه **عبد بطّال لم يعمل سوى ما كان يجب عليه**.

إن العلامات الخمس للعبد بحسب روي هسيون *Roy Hession* هي التالية:

١- عليه أن يتحمّل إلقاء المهمّات عليه واحدةً بعد الأخرى من دون أن يُعطى هو شخصيًّا أي اعتبار.

٢- يجب أن يقبل بألاّ تُرَدّ إليه أي كلمة شكر على فعله هذا.

٣- ينبغي له، بعد تتميمه هذا كلّه، ألاّ يتّهم السيّد بالأنانية.

٤- يلزمه أن يعترف بأنه عبد بطّال.

٥- بعد كل ما فعل واحتمل في سيره في طريق الوداعة والتواضع، يجب أن يقرّ بأنه لم يفعل ولا ذرّةً واحدة أكثر ممّا كان يتعيّن عليه.

هـ. الرب يسوع يطهّر عشرة برص (١٧: ١١-١٩)

تُشكّل خطية عدم الشكر خطرًا آخر في حياة التلميذ. وهذا ما توضّحه قصة العشرة برص. وقد حصلت هذه القصة خلال عبور الربّ يسوع حدود السامرة والجليل في طريقه إلى أورشليم.

١٧: ١٢-١٤ وفيما هو داخل إلى قرية... رآه عشرة رجال برص. لم يقتربوا منه بسبب مرضهم، بل صرخوا من بعيد متوسّلين إليه أن يشفيهم. عندئذ كافأهم على إيمانهم بطلبه إليهم أن **يذهبوا ويُروا** أنفسهم **للكهنة**. وهذا يعني أنهم سيكونون قد برأوا من البرص لدى بلوغهم الكاهن. لم يكن هذا الأخير يملك أية قوة لشفائهم، لكنه كان الشخص المعيّن للإعلان بأنّهم قد طَهروا فعلاً. أطاع البُرص كلمة الربّ وانطلقوا في اتجاه مسكن الكهنة. **وفيما هم منطلقون طَهروا** من المرض بشكل معجزي.

١٧: ١٥-١٩ كان لدى جميعهم الإيمان بنوال الشفاء، لكنّ واحدًا فقط من جملة العشرة عاد ليشكر الرب. وهذا **الواحد**، ويا للعجب، **كان سامريًّا**، أي أحد الجيران الممقوتين لدى الشعب اليهودي والذين كانوا قد قطعوا كل علاقة بهم. **فخرّ على وجهه**؛ وهذا هو الوضع

الجسماني الصحيح للعبادة، وعند رجلي يسوع؛ الموضع الصحيح للعبادة. عندئذ سأل **يسوع** ما معناه: أليس الذين نالوا الشفاء فعلاً كانوا عشرة، **فأين التسعة** الآخرون؟ لم يرجع أي واحد منهم **ليعطي مجدًا لله**.

و. عن حضور الملكوت (١٧: ٢٠-٣٧)

١٧: ٢٠، ٢١ من الصعب أن نعرف هل كان **الفريسيون** مُخلصين فعلاً في سؤالهم عن الملكوت، أم هل كانوا يستهزئون فقط. لكننا نعلم أنهم كانوا، كيهود، يعلّقون الآمال على ملكوت سيحضر بقوة عظيمة ومجد. كانوا ينتظرون رؤية علامات خارجية وحصول انقلابات سياسية عظمى. لكن المخلّص خاطبهم بالقول: «**لا يأتي ملكوت الله بمراقبة**»، بمعنى أن موضع نفوذ الله، في الوقت الراهن على الأقل، لم يرافق استعلانه أو **مجيئه** أيُّ مظهر خارجي مدهش. ذلك لأن هذا الملكوت لم يكن منظورًا أو أرضيًّا أو وقتيًّا بشكل يمكّننا من الإشارة إليه بأنه **هوذا هنا** أو **هوذا هناك**. لكن المخلّص قال إن ملكوت الله كان **داخلهم** أو، بتعبير أفضل، بينهم. من غير الممكن أن الرب قصد القول إن الملكوت كان حقًّا داخل قلوب الفريسيين لأنه لم يكن داخل قلوب هؤلاء المرائين الدينيين القساة أيُّ مكان في قلوبهم للمسيح الملك. لكنه كان يعني بالحري أن **ملكوت الله** كان في وسطهم. فالرب كان هو الملك الشرعيّ، وقد صنع عجائبه وقدّم أوراق اعتماده لكي يراها الجميع. لكن لم يكن لدى الفريسيين أية رغبة في قبوله. لذا، كان ملكوت الله قد أُعلن لهم، غير أنهم لم يلاحظوه البتة.

١٧: ٢٢ وصف الربّ الملكوت، في معرض حديثه إلى الفريسيين، بأنه قد حضر من قبل. لكنه عاد وخاطب التلاميذ عن الملكوت بصفته حدثًا مستقبليًّا سوف يؤسّسه الرب عند رجوعه ثانية. فذكر أولاً الفترة التي تفصل بين مجيئه الأول ومجيئه الثاني. فإنه **ستأتي أيام** فيها يشتهي التلاميذ أن **يروا يومًا واحدًا من أيام ابن الإنسان** ولن يروه. وبكلمة أخرى، سوف يحنّون إلى أحد الأيام التي قضاها معهم على الأرض واستمتعوا فيها بالشركة الطيّبة معه. كانت تلك الأيام، إلى حد ما، بمثابة تذوُّق مبدئي لزمن رجوعه بقوة وبمجد عظيم.

١٧: ٢٣، ٢٤ سيقوم مسحاءُ كذبة، وحكام كثيرون يصرّحون بأن المسيّا قد جاء. لكن أتباعه لن يخدعهم أيّ من هذه الإنذارات المضلّة. فالمسيح سيأتي ثانية بشكل واضح وبما لا يرقى إليه أي شك كما **البرق** الذي يلمع في السماء **ويضيء** من ناحية فيها إلى أخرى.

١٧: ٢٥ ومن جديد، عاد الرب يُبلّغ تلاميذه أنه ينبغي له أن **يتألم كثيرًا ويُرفض من ذلك الجيل** قبل أن يتم أي شيء ممّا ذكره لهم.

١٧: ٢٦، ٢٧ عاد الرب يتحدّث هنا عن موضوع مجيئه الثاني ليملك، فعلّم أن **الأيام** التي تسبق هذا الحدث المجيد مباشرة ستكون **كأيام نوح**. كان الناس في ذلك الوقت **يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون**. هذه النشاطات البشرية ليست مغلوطة، لكنها طبيعيّة جدًّا ومشروعة. لكن الشر في الأمر هو أن الناس عاشوا لأجل هذه الأعمال حتى لم يعد عندهم أي وقت للتفكير في الله. وبعد أن **دخل نوح** وأفراد عائلته **الفلك**، **جاء الطوفان وأهلك** باقي الناس. وهكذا فإن مجيء المسيح ثانيةً سيعني الدينونة للذين رفضوا رحمته المعروضة عليهم.

١٧: ٢٨-٣٠ ومرة أخرى، علّم الربّ أن الأيام التي ستسبق مجيئه الثاني ستكون شبيهة بأيام **لوط**. كانت الحضارة، في ذلك الوقت، قد شهدت شيئًا من التقدم والازدهار. فالناس **لم يأكلوا ويشربوا** فحسب، بل **اشتروا وباعوا وغرسوا** وبنوا أيضًا. فالإنسان كان يسعى بمجهوده الشخصي، وبمعزل عن الله، أن يحقق العصر الذهبي، عصر السلام والازدهار. ولكن في **اليوم** نفسه حين **خرج لوط** وزوجته وبناته **من سدوم، أمطرت السماء نارًا وكبريتًا** فأهلكت المدينة الشريرة. **هكذا يكون في اليوم الذي يُظهر فيه ابن الإنسان**. فالذين يركّزون حيواتهم على اللذّات وعلى إشباع الذات وعلى التجارة، ينتظرهم الهلاك.

١٧: ٣١ كل تعلّق بالأمور الأرضية في ذلك **اليوم**، سوف يعرّض حياة الإنسان للخطر. فإذا صدف إنه كان **على السطح**، فعليه ألاّ يحاول إنقاذ أي شيء من مقتنيات بيته. وإن كان خارجًا **في الحقل**، فعليه ألاّ يرجع إلى بيته. بل حريّ به أن يلوذ بالفرار ويهرب من تلك الأمكنة التي ستنصبّ عليها الدينونة.

١٧: ٣٢ كانت **امرأة لوط** تقريبًا قد دُفعت عنوة للخروج من سدوم، إلاّ أن قلبها بقي داخل المدينة. ونظرها إلى الوراء خير دلالة على ذلك. كانت خارج سدوم، لكن سدوم ما كانت خارج قلبها. وعلى أثر ذلك، أهلكها الله بتحويلها إلى عمود ملح.

١٧: ٣٣ كل **من طلب أن يخلّص نفسه** (**حياته**) بحصر اهتمامه بسلامته الجسدية فقط وإهمال أمر نفسه الخالدة، **سيهلكها**. وبالمقابل، كل من يهلك **نفسه** (**حياته**) بسبب أمانته للرب خلال فترة الضيق هذه، فإنه في الواقع يحفظها للأبدية **ويحييها**.

١٧: ٣٤-٣٦ إن مجيء الرب سيكون زمن انفصال. يكون **اثنان مضطجعين في سرير واحد**. **فيؤخذ الواحد** للدينونة، ويُعفى عن الآخر لكي يدخل ملكوت المسيح. تكون اثنتان تطحنان معًا، فالواحدة غير المؤمنة تؤخذ في عاصفة غضب الله، وتُترك الأخرى التي هي واحدة من أولاد الله لتستمتع مع المسيح ببركات الحكم الألفي.

والجدير ذكره أن العددين ٣٤، ٣٥ ينسجمان مع كون الأرض كروية الشكل. فالنشاطات التي ذكرها المسيح تؤكّد أنه سيكون ليل في جزء من الأرض، وفي الوقت عينه نهار في جزء آخر منها. وهذا ينطوي على معرفة علمية لم يتم اكتشافها إلاّ بعد مرور سنين عديدة.

١٧: ٣٧ أدرك التلاميذ تمامًا من كلام المخلّص أن مجيئه الثاني سيكون بمثابة فاجعة ودينونة على عالم الفُجّار. لذا سألوا الربّ **أين** ستنسكب هذه الدينونة. فأجابهم بالقول، **حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور**. ترمز **النسور** هنا إلى الدينونة الوشيكِ انسكابُها. إذا أراد الربّ أن يقول لهم إن الدينونة سوف تنسكب على كل شكل من أشكال عدم الإيمان والتمرّد على الله في كل مكان.

في الفصل السابع عشر، حذّر الرب يسوع تلاميذه وتنبّههم إلى الضيقات والاضطهادات التي تنتظرهم. فقبل أن يحين موعد ظهوره المجيد، لا بدّ لهم من خوضِ غمارِ محنٍ عظيمة. لذا رأى الرب أن يعدّهم لهذه الظروف الصعبة بتعليمهم أكثر عن الصلاة.

وهكـذا تطالعنـا في الأعـداد التاليـة أرملـة مصلّية، وفريسيّ مصلٍّ، وعشّار مصلٍّ، ومُستعطٍ مصلٍّ.

ز. مَثَل الأرملة اللّجوجة (١٨: ١-٨)

١٨ : ١ نتعلـم من مثـل الأرملة المصلّية أنـه **ينبغي أن يُصلّى كل حـين ولا يُملّ**. وهذا يصحّ بشـكل عام على جميع الناس وعلى جميع أشكال الصلاة. لكن هذا المثل يُقصد منه، بشـكل خاص هنا، الصلاة إلى الله في وقت الضيق طلبًا للإنقاذ. إنها الصلاة من دون فشل خلال الفترة الطويلة والمملّة التي تفصل بين مجيء المسـيح أوّلاً ومجيئه الثاني.

١٨ : ٢، ٣ يصـوّر هذا المثل **قاضيًا** ظالمًـا لم يكن ليتأثر عادة بأي خوف من الله أو مهابة لإنسـان. وكانت هناك أيضًا أرملة لها خصم مجهول الهوية دأبَ في طغيانه عليها. أتـت هذا الأرملة إلى القاضي بكل مثابرة طالبة إليه أن يحكم لها بالعـدل والإنصاف إذ ينقذها مـن المعاملة غير الإنسانية التي تلقاها على يد خصمها.

١٨ : ٤، ٥ لم يتأثر القاضي قـطّ بهذه القضية المحقّة التي عرضتهـا عليه الأرملة. فكونها تُعامَل بالظلم، لم يحرّكه قـطّ لعمل أي شـيء لأجلهـا. إلاّ أن مثولها أمامه بكل انتظام هو الذي دفعه إلى العمل. وهكذا تمكّنت، بفضل لجاجتها ومثابرتها، من أن تنتزع منه قرارًا لصالحها.

١٨ : ٦، ٧ ثم فسّر الرب لتلاميذه أنه إن كان **قاضي الظلم** قد تحرّك لمصلحة الأرملة المسكينة بسبب لجاجتها، فكم بالحري يتدخل الله العادل لصالح **مختاريه**. والمختارون هنا قد تُشـير بالتحديد إلى البقية الباقية مـن الأتقياء خلال الضيقـة العظيمة. كما أن هـذا الكلام يصحّ أيضًا على جميع المؤمنين المضطهَدين في كل عصر. والسبب في تمهُّل الله عن التدخل، ربما زمنًا طويلاً، هو تمهّله على بني البشر لأنه لا يشاء أن يَهلِك أناس.

١٨ : ٨ لكـن لا يدين روح الله في الإنسـان إلى الأبد. لذا سيأتي يوم فيه يعاقب جميع الذين اضطهدوا أتباعه. ثم ذيّل الرب يسـوع هذا المثل بالسؤال التالي: «**ولكن متى جـاء ابن الإنسـان ألعلّه يجد الإيمـان على الأرض؟**» وكان يقصـد على الأرجح صنف الإيمـان الذي كان عند تلك الأرملة المسـكينة. كمـا أن هذه العبارة قد تعـني أيضًا أنه لن يكـون هناك عند مجيئه سـوى عدد قليـل من الأمناء له. وإلى أن يحـين ذلك الوقت، على كل واحد منا أن يسـعى ليكون عنده هذا الصنف من الإيمان الذي يصرخ إلى الله ليلاً ونهارًا.

ح. مَثَل الفرّيسي والعشّار (١٨: ٩-١٤)

١٨ : ٩-١٢ المثـل التالي موجّـه إلى مجموعة من الناس كانـوا يفتخرون بأنهم أبرار ويحتقـرون جميع الآخرين على اعتبار أنهم أدنى منهم. لقد ذكر الرب بالتحديد أن الرجل الأول كان **فريسـيًّا**. أنـه بذلك لم يترك أي شك بشأن الفئة المعيّنة من الناس التي وجّه إليها كلامه. ومع أن الفريسي أكمل كل الطقوس المختصة بالصلاة، لم يكن في الواقع يتكلم مع الله، بل كان بالحري يتباهى بإنجازاتـه الخُلقيّة والدينيّة. وعوضًا عن مقارنة نفسـه بمقياس الله الكامل لكي يرى مدى انغماسه في الشرور والمعاصي، قابل نفسـه بأناسٍ آخرين في المجتمع واعتزّ بأنـه أفضل منهم. كما أن إكثاره في حديثه من اعتماد ضمـير المتكلـم إنما يكشـف أيـة حالة مـن العجرفة والاكتفاء الذاتي كان قلبه يتخبّط فيها.

١٨: ١٣ يطل علينا **العشّار** بشكل مختلف تمامًا. فلدى **وقوفه** أمام الله، أحسّ بأنه ليس أهلاً على الإطلاق أن يكون في هذا المحضر الجليل. لذا تذلّل وانسحق حتى إنه لم **يشأ أن يرفع عينيه نحو السماء بل قرع على صدره** وهو يصرخ إلى الله: «**اللهم ارحمني أنا الخاطئ**». فهو لم يرَ نفسه خاطئًا بين خطاة كثيرين، بل اعتبر أنه **الخاطي** (مع أل التعريف) الذي لا يستحق أن يحصل على أي شيء من الله.

١٨: ١٤ ذكّر الربّ يسوع سامعيه بأن روح التذلّل والتوبة هي المقبولة عند الله. فالعشّار هو الذي **نزل إلى بيته مبرّرًا**، وذلك خلافًا لما قد تشير إليه المظاهر البشريّة. فالله يرفع المتواضعين، لكنه يُذلّ الذين يرفعون أنفسهم.

ط. *الربّ يسوع والأولاد الصغار* (١٨: ١٥-١٧)

تأتي هذه الحادثة لتعزّز فكرة الأعداد السابقة، بمعنى أن التحلّي بتواضع وَلَدٍ صغير ضروريّ لدخول **ملكوت الله**. احتشدت الأمهات حول الرب يسوع بصحبة أطفالهن لنوال البركة منه. فانزعج التلاميذ من هذا التطفّل على المخلِّص. لكن يسوع وبّخهم على تصرّفهم هذا، **ثم دعا الأولاد الصغار** إليه بكل حنان، مصرّحًا بأن «**لمثل هؤلاء ملكوت الله**». يجيب العدد ١٦ عن السؤال: "ماذا يحدث للأولاد الصغار عندما يموتون؟"، والجواب هو أنهم يمضون إلى السماء؛ ذلك لأن الربّ قال بكل وضوح: «لمثل هؤلاء ملكوت الله»

بإمكان الأولاد أن يختبروا الخلاص في سنّ مبكرة جدًّا. قد تختلف هذه السنّ من ولد إلى ولد؛ لكن علينا ألاّ نمنع أيّ ولد مهما كان حديثَ السنّ من المجيء إلى المخلِّص، بل حريّ بنا أن نشجّعه على إيمانه.

ليس من الضروري أن ينتظر الأولاد الصغار ريثما ينضجون ويبلغون حتى يخلصوا، لكن البالغين يحتاجون إلى تواضع **الأولاد الصغار** وإلى إيمانهم البسيط **لدخول ملكوت الله**.

ي. *الرئيسُ الشابّ الغني* (١٨: ١٨-٣٠)

١٨: ١٨، ١٩ يوضّح هذا المقطع حالة إنسان يرفض قبول ملكوت الله كولد صغير. فذات يوم وافى الرب يسوع رئيس دعاه **المعلّم الصالح** وسأله **ماذا يجب أن يعمل حتى يرث الحياة الأبديّة**. فاستفهم منه الرب أوّلاً عن إطلاقه عليه اللقب «المعلّم الصالح». فذكّره يسوع بأن **الله** وحده **صالح**. لم ينكر ربّنا هنا كونه الله، لكنه كان يحاول حَمْل هذا الرئيس على الإقرار بهذه الحقيقة. فإن كان الربّ صالحًا، فعندئذ ينبغي أن يكون هو الله، بما أن الله وحده هو صالح جوهريًّا.

١٨: ٢٠ وبعد هذا عالج يسوع المسألة: «**ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة؟**» ونحن نعلم أن الحياة الأبديّة لا تُورَّث، ولا يمكن كسبها بالقيام بأعمال صالحة. ذلك لأنها عطية الله بواسطة ربّنا يسوع المسيح. من هنا نفهم أن الرب يسوع، بإحالته هذا الرئيس إلى الوصايا العشر، لم يكن يقصد أن يوحي قط بأنه كان بإمكانه أن يخلص من طريق حفظ الناموس، بل كان بالحري يحاول، من خلال الناموس، تبكيت هذا الرجل على خطيته. ذكر الرب يسوع على مسمع هذا الشاب الوصايا الخمس المختصة بعلاقتنا بالناس، أو بكلمة أخرى مضمون لوح الشريعة الثاني.

١٨: ٢١-٢٣ من الواضح أنه لم يكن للناموس أي وقع مبكّت على حياة هذا الشاب، بسبب ادعائه

المتعجرف بأنه **حفظ هذه الوصايا منذ حداثته**. عندئذ قال له يسوع إنه ما يزال يعوزه **شيء**، ألا وهو محبة القريب. فلو أنه حفظ حقًّا هذه الوصايا، لكان باع **كل** مقتنياته ووزّعها **على الفقراء**. لكنه لم يكن في الواقع يحب قريبه كنفسه. كان يعيش بشكل أناني ومن دون أية محبة حقيقية للآخرين. والدليل على ذلك هو أنه لدى **سماعه** كلام الرب، **حزن لأنه كان غنيًّا جدًّا**.

١٨: ٢٤ نظر إليه الرب يسوع، ثم علّق على صعوبة **دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله**. وهذه الصعوبة تكمن في القدرة على اقتناء الغنى من دون التعلّق به أو الاتكال عليه.

تطرح هذه الفقرة أسئلة مُقلقة على كل من المؤمنين وغير المؤمنين. فكيف يمكن أن يصحّ فينا القول إننا نحب قريبنا عندما نعيش في الغنى والرفاهية في حين يهلك الآخرون بسبب افتقارهم إلى إنجيل المسيح؟

١٨: ٢٥ قال الرب يسوع إن **دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله** وقد عُرضت تفاسير لهذا التصريح. فاعتبر بعضهم أن ثقب الإبرة يشير إلى بوابة داخلية صغيرة في سور إحدى المدن يستحيل على الجمل عبورها قبل أن يركع. إلاّ أن الطبيب لوقا يستخدم هنا لفظة تشير بالتحديد إلى إبرة الجرّاح. لذا قد يبدو معنى هذا التصريح بسيطًا جدًّا إذا فهمناه كما ورد حرفيًّا. وبكلمة أخرى، كما أنه يستحيل على الجمل أن **يدخل من ثقب إبرة**، هكذا يستحيل أيضًا **على الغني أن يدخل ملكوت الله**. فإنه لا يكفي القول إن هذا التصريح يؤكد عجز الإنسان عن دخول الملكوت على أساس مجهوداته الذاتية. ذلك لأن قولاً كهذا يصحّ على الأغنياء والفقراء على السواء. فالمعنى المقصود هنا هو أنه يستحيل على الإنسان **دخول ملكوت الله** بصفته إنسانًا غنيًّا. فالخلاص يبقى بعيدًا عنه طول الوقت الذي فيه يجعل من غناه إلهًا، أو يسمح له بأن يقف بينه وبين خلاص نفسه. وحقيقة الأمر بكل بساطة، هي أن عددًا قليلاً فقط من الأغنياء يخلصون، وأن هذه القلّة كان لا بدّ لها أولاً من أن تنكسر أمام الله.

١٨: ٢٦، ٢٧ بينما راح التلاميذ يفكّرون في هذا الأمر، بات لسان حالهم: «من يستطيع أن **يخلص**؟» فالغنى كان دائمًا في نظرهم علامة على بركة الله ورضاه (تث٢٨: ١-٨). وإن كان الأغنياء من اليهود لا يحصلون على الخلاص، **فمن سيخلص** إذًا؟ فأجابهم الرب أنه باستطاعة الله أن يعمل ما يستحيل على الإنسان. وبكلمة أخرى، يقدر الله أن يأخذ إنسانًا جشعًا ومتمسكًا بأمواله ويعيش في حياة مادية وخالية من أية شفقة على الآخرين، فينزع من قلبه محبة المال ليجعل مكانها محبة حقيقيّة للرب. إنها إحدى معجزات النعمة الإلهية.

ومن جديد، يدعو هذا النص المؤمن إلى مواجهة مسائل حسّاسة. فالعبد ليس أعظم من سيّده. ونحن نعلم أن الربّ تخلّى عن غناه السماوي ليخلّص نفوسنا المذنبة. لذا لا يجوز لنا أن نكون أغنياء في عالم عاش فيه الرب فقيرًا. كذلك فإن قيمة النفوس واقتراب رجوع الرب ومحبة المسيح التي تحصرنا، هذه جميعها يجب أن تحثّنا على استثمار كل طاقاتنا وإمكاناتنا المادية في عمل الرب.

١٨: ٢٨-٣٠ عندما جاء **بطرس** يذكّر الرب بأن التلاميذ كانوا قد **تركوا** بيوتهم وعائلاتهم لاتّباعه، أجابه الرب بأنّ حياة مضحيّة كهذه تُكافأ بوفرة في هذه الحياة، إلى جانب المكافآت الأبدية أيضًا. والعبارة «**وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية**»، لا تعني أن الحياة الأبدية تكون من نصيب الذي يتخلّى عن الكل، بل تشير إلى المزيد من القدرة على التمتع بأمجاد السماء، مع الحصول على المزيد من المكافآت في الملكوت السماوي. والمقصود بهذه العبارة هو "تحقيق الحياة التي حصلنا عليها بولادتنا الجديدة، تحقيقًا كاملاً وتامًّا، أي الحياة الفيّاضة".

ك. الربّ يسوع يتنبّأ مجدّدًا بموته وقيامته (١٨: ٣١-٣٤)

١٨: ٣١-٣٣ ثالثَ مرّة **يأخذ الربّ الاثني عشر** وينبّههم بالتفصيل إلى ما كان ينتظره (راجع ٩: ٢٢، ٤٤). لقد اعتبر أنه سيتألم تتميمًا لما كان قد كتبه **أنبياء** العهد القديم. وببصيرة إلهية، تنبّأ بكل هدوء بأنه **سيُسلّم إلى الأمم**. علّق رايل *Ryle* على هذا بالقول: "كان من المحتمل أكثر أنه سيُقتل على انفراد، أو تُقدم جماعة مشاغبة على رجمه حتى الموت". لكن الأنبياء كانوا قد تكلموا عن أن واحد سيخونه وعن أنه **سيُستهزأ به ويُشتم ويُتفَل عليه**. وهذا هو ما يجب أن يحصل. كذلك سيُجلد ويُقتل، غير أنه **سيقوم في اليوم الثالث**.

إن الفصول التالية سترفع الستار عن المأساة التي عرفها الرب مسبقًا وتنبّأ بها بهذا الشكل المدهش:

نحن صاعدون إلى أورشليم (١٨: ٣٥ – ١٩: ٤٥).

ابن الإنسان سيسلّم إلى الأمم (١٩: ٤٧ – ٢٣: ١).

يُستهزأ به ويُشتم (٢٣: ١-٣٢).

فيقتلونه (٢٣: ٣٣-٥٦).

وفي اليوم الثالث يقوم (٢٤: ١-١٢).

١٨: ٣٤ إن التلاميذ، يا للعجب، **لم يفهموا من ذلك شيئًا**. كان معنى كلماته **مُخفىً عنهم**. قد يبدو من الصعب علينا أن ندرك السبب الكامن وراء بلادتهم في هذا الأمر. لكن قد يعود ذلك إلى ما يلي: كانت أذهانهم منشغلة جدًّا بأفكارٍ عن مُنقذ زمنيّ قادر أن يخلّصهم من نير روما ويؤسّس الملكوت فورًا. كل هذا جعلهم يرفضون استعراض أي برنامج آخر. فنحن غالبًا ما نؤمن بما نريد أن نؤمن به، كما أننا نقاوم الحق عندما لا يتناسب مع آرائنا المسبقة.

ل. شفاء مُستعطٍ أعمى (١٨: ٣٥-٤٣)

١٨: ٣٥-٣٧ كان الرب يسوع الآن قد غادر بيرية إذ عَبرَ الأردن. ويذكر لوقا أن الحادثة التالية حصلت **لما اقترب من أريحا**، فيما يعتبر متى ومرقس أن ذلك تمّ بعد خروج الرب من أريحا (مت ٢٠: ٢٩؛ مر ١٠: ٤٦). كما أن متّى يتحدّث عن أعميين فيما لا يذكر كل من مرقس ولوقا إلاّ أعمى واحدًا. من المحتمل أن يكون لوقا يتكلم عن المدينة الجديدة فيما يشير متى ومرقس إلى المدينة القديمة. كذلك قد يكون حصل في هذا المكان أكثر من معجزة واحدة لعميان نالوا البصر. ونحن متيقّنون، مهما كان التفسير الصحيح، أن كل تناقض ظاهريّ سيزول في حال تزودنا بمعلومات أوفى عن هذا الموضوع.

١٨: ٣٨ لقد تمكّن هذا الشحّاذ الأعمى، بشكل من الأشكال، من معرفة أن **يسوع** هو المسيّا، بما أنه خاطبه بصفته **ابن داود** لقد سأل الرب أن يرحمه، أي أن يردّ إليه بصره.

١٨: ٣٩ استمرّ هذا الأعمى **يصرخ** إلى الرب يسوع، على الرغم من محاولات بعضهم أن يسكتوه. لم يكن الناس مهتمين بشحّاذ. أمّا الرب يسوع فاهتم به.

١٨: ٤٠، ٤١ فوقف يسوع. علّق على هذا داربي *Darby* بهذه العبارة الرائعة: "طلب يشوع مرة من الشمس أن تقف في كبد السماوات؛ أمّا هنا فنرى رب الشمس والقمر والسماوات يقف نزولاً عند طلب شحّاذ أعمى!". ثم قدّموا الأعمى ليسوع بناء على أمره. **فسأله** يسوع ماذا يريد. فردّ عليه الأعمى من دون أي تردّد أو تكلُّم بالعموميات أنّه يرغب في الحصول على **البصر**. فقد جاءت صلاته قصيرة، محددة ومملوءة بالإيمان.

١٨: ٤٢، ٤٣ منحه يسوع سؤل قلبه، وفي الحال **أبصر**. ولم يكتفِ بهذا، بل **تبع** الربّ **ومجّد الله**. وباستطاعتنا التعلّم من هذه الحادثة أن نتجرأ ونؤمن بأن يعمل الله لأجلنا المستحيل. فالإيمان العظيم يمجّد الله كثيرًا. وكما كتب الشاعر:

أنت تأتي إلى الملك العظيم،
فاحضر معك طلبات عظيمة،
فنعمته وقدرته الفائقتان تجعلان من غير الممكن
أن يطلب أي امرئ أمورًا تفوق الحدّ.

جون نيوتن John Newton

م. اهتداء زكّا *(١٩: ١-١٠)*

توضّح حادثة زكا الحق الذي ذُكر في لوقا ١٨: ٢٧ «غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله». كان زكا رجلًا غنيًّا، ويستحيل عادة على الأغنياء أن يدخلوا ملكوت الله. غير أن زكا اتّضع أمام المخلص ولم يدع غناه يحول دون تقابُل نفسه مع الله.

١٩: ١-٥ كان الرب يسوع **مجتازًا في أريحا**، خلال رحلته الثالثة والأخيرة إلى أورشليم، عندما **طلب زكا** أن يراه. ورغبته هذه كانت، ولا شك، من قبيل الفضولية. ومع أنه كان **رئيسًا للعشارين**، لم يخجل بالقيام بأمر غير مألوف لرؤية المخلّص. لقد علم أن قصر قامته يمنعه من رؤية يسوع كما يجب. **لذا ركض متقدّمًا وصعد إلى جميزة** على الطريق التي كان يسلكها الرب. إن فعل الإيمان هذا لم يذهب سُدى. فبينما كان **يسوع** يقترب من موضع وجود زكا، **نظر إلى فوق فرآه**. ثم أمره **بالنزول** سريعًا، ودعا الرب نفسه بنفسه إلى دخول **بيت** العشار. وهذه هي الحادثة الوحيدة المدوّن فيها أن الرب دعا نفسه إلى أحد البيوت.

١٩: ٦ فعل زكا كما قيل له، **وقبِلَ** الرب **فرحًا**. وباستطاعتنا، بكل تأكيد تقريبًا، أن نعتبر هذا الوقت بمثابة تاريخ اهتدائه.

١٩: ٧ تذمّر جميع منتقدي الرب عليه لأنه دخل **ليبيت عند رجل** معروف عنه أنه **خاطئ**. لقد فاتهم إدراك أن البيوت أمثال هذا البيت هي وحدها التي استقبلت المخلّص ورحّبت به لدى مجيئه إلى عالمنا.

١٩: ٨ لقد أحدث اختبار الخلاص تغييرًا جذريًّا في حياة العشار. لذا نقل إلى المخلّص رغبته في **إعطاء نصف أمواله للمساكين** (كان حتى ذلك الوقت يبتزّ أموال المساكين قدر المستطاع). كذلك قرّر أن يردّ **أربعة أضعاف** أي مال كان قد حصّله بأساليب غير مشروعة. وكان هذا أكثر ممّا نصّت عليه الشريعة (خر ٢٢: ٤، ٧؛ لا ٦: ٥؛ عد ٥: ٧). وكل هذا يدلّ على أن زكا بات الآن يتحرك بدافع المحبة فيما كان الجشع هو الذي يتحكم به قبلاً.

ممّا لا شك فيه أن زكا كان قد استولى على الأموال بأساليب ملتوية. لذا، ترجم ويووست *Wuest* العدد ٨ب على النحو التالي: "وبما أني وشيت..."، مبتعدًا عن أداة الشرط "إن". قد يظهر لنا أن زكا كان يتباهى بمحبته للناس وعمله لخيرهم، ويتكل على هذا لخلاص نفسه. لكن هذا غير صحيح على الإطلاق. لقد صرّح بأن حياته الجديدة في المسيح هي التي جعلته يرغب في التعويض عن الماضي. كما أنه شعورًا منه بفضل الله عليه عندما أنعم عليه بالخلاص، أصبح الآن يريد أن يستخدم ماله لمجد الله وخير الناس.

العدد الثامن واحد من أقوى الآيات في الكتاب المقدس حول موضوع التعويض عن إساءات اقتُرفت قبل الرجوع إلى الرب. فالخلاص لا يُعفي الشخص من مسؤولية تصحيح الإساءات الماضية. لذا فإن الولادة الجديدة لا تُلغي الديون التي تسببت عن الحياة السابقة. وإن جرى اختلاس بعض المال قبل اختبار الخلاص، فإن الشعور الحقيقي بفضل نعمة الله علينا يستوجب إعادة هذا المال بعد أن يكون الشخص قد أصبح واحدًا من أولاد الله.

١٩: ٩ أعلن يسوع بوضوح حصول الخلاص لبيت زكا، بما أنه كان **ابنًا لإبراهيم**. فالخلاص لم يحصل لأن زكّا كان يهوديًّا بالولادة. كما أن هذه العبارة «ابن إبراهيم» تشير إلى ما هو أكثر من التحدُّر الطبيعي من سلالة إبراهيم؛ فهي تعني أن زكّا مارس من الإيمان بالرب الصنف عينه الذي تحلّى به إبراهيم. كما أن الخلاص لم يحصل أيضًا لبيت زكّا بسبب ما تعهّد القيام به من أعمال إحسان وتعويض (ع٨). فهذه الأمور تأتي نتيجة الخلاص ولا تسبّبه.

١٩: ١٠ ردّ الرب على الذين انتقدوه لأنه نزل لبيت عند رجل خاطئ بالقول: «**لأنّ ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك**». وبكلمة أخرى، جاء اهتداءُ زكّا ليتمّم الهدف عينه من مجيء المسيح إلى العالم.

ن. *مَثَل العشرة أمناء* (١٩: ١١-٢٧)

١٩: ١١ عندما اقترب المخلّص من أورشليم بعد خروجه من أريحا، كان العديد من أتباعه **يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال**. فقدّم لهم الرب مثل الأمناء لتحريرهم من هذه الآمال الوهمية. كما حدّثهم عن فترة زمنية بين مجيئه الأول ومجيئه الثاني ينبغي لتلاميذه خلالها أن ينشغلوا بتتميم عمله.

١٩: ١٢، ١٣ حصل لأرخيلاوس شيء مماثل لحادثة **الإنسان الشريف الجنس**. فهيرودس كان قد اختاره خليفة له، غير أن الشعب رفضه. عندئذٍ توجّه إلى روما لتثبيت أمر تعيينه في هذا المنصب. ومن ثم رجع وكافأ عبيده وأهلك أعداءه.

في هذا المثل يمثّل الرب يسوع المسيح بنفسه ذلك **الإنسان الشريف الجنس** الذي ذهب إلى السماء منتظرًا ريثما يكون قد حان وقت رجوعه وتأسيس ملكوته على الأرض. كما أن العبيد العشرة يرمزون إلى تلاميذه. لقد سلّم كل واحد منهم منًا وطلب منهم أن يتاجروا بهذا المنا إلى أن يأتي ثانية. فمع وجود فروقات في مواهب عبيد الرب وفي مهاراتهم (راجع مثل الوزنات في متى ٢٥: ١٤-٣٠)، هناك بالمقابل بعض الأمور المشتركة بينهم، كامتيازات تبشير الناس بالإنجيل، وإظهار المسيح للعالم، وامتياز الصلاة. فالمنا يرمز، ولا شك، إلى هذه الأمور.

١٩ : ١٤ يصوّر أهل المدينة الأمة اليهودية. فهم لم يرفضوه وحسب، بل إنّهم، بعد رحيله، أرسلوا وراءه سفارة قائلين: **لا نريد أن هذا يملك علينا.** ولعلّ الكلام عن السفارة هنا يشير إلى أسلوب تعاملهم مع عبيد المسيح من أمثال استفانوس وسائر الشهداء.

١٩ : ١٥ هنا يُرى الرب، بشكل رمزي، عائدًا لتأسيس **مُلكه.** عندئذٍ سيُحاسب أولئك الذين أعطاهم **الفضة.** سوف يتعيّن على مؤمني العصر الحاضر أن يقفوا أمام كرسي المسيح ليعطوا حسابًا عن خدمتهم. وسيحصل هذا في السماء بُعيد الاختطاف.

أما البقية التقيّة من اليهود الذين سيشهدون للمسيح خلال الضيقة العظيمة، فسيحاسبون لدى رجوع المسيح إلى الأرض ثانية. وهذا ما يتناوله بشكل رئيسي هذا النص هنا.

١٩ : ١٦ كان **العبد الأول قد ربح عشرة أمناء** بواسطة **المنا** الواحد الذي أؤتمن عليه. لقد وعى جيدًا كون هذا المال لا يخصّه («**مناك**»)، لذا استخدمه على أكمل وجه لخدمة مصالح سيّده.

١٩ : ١٧ مدحه السيّد لأنه كان **أمينًا في القليل.** وهذا يذكّرنا بأننا نبقى عبيدًا بطّالين حتى بعد أن نكون قد عملنا أفضل ما بوسعنا. ثم كافأه **بإعطائه سلطانًا على عشر مدن.** فالمكافآت على الخدمة الأمينة ترتبط، على ما يبدو، بالتّولية على مدن خلال ملكوت المسيح. كما أن مقدار السلطان الممنوح لأحد التلاميذ، يتقرّر بموجب مدى تكريسه وتفانيه في خدمة الرب.

١٩ : ١٨، ١٩ كان **العبد الثاني قد ربح خمسة أمناء** بواسطة مناه الأساسي. فكافأه سيده **بجعله على خمس مدن.**

١٩ : ٢٠، ٢١ ثم جاء الثالث غير حامل معه إلاّ الأعذار. فردّ **المنا** الذي كان قد **حفظه** بكل حرص **في منديل.** فهو لم يربح أي شيء معه. ولِمَ ذلك؟ لقد ألقى اللوم على الإنسان الشريف الجنس، ذلك لأنه اعتبره **إنسانًا صارمًا** يتوقع الحصول على ثمار من دون إنفاق أي شيء. لكن كلماته هذه هي التي حكمت عليه. فلو ظنّ أن هذه الصفة تنطبق فعلاً على هذا الإنسان الشريف، لكان باستطاعته، على أقل تقدير، أن يودع هذا المنا في مصرف لجني بعض الفائدة منه.

١٩ : ٢٢ اقتبس الرب يسوع كلمات الإنسان الشريف الجنس من دون أن يصرّح بموافقته على صحتها. لقد كانت، ببساطة، كلمات قلب ذلك العبد الخاطئ الذي حاول تبرير كسله هو بإلقائه اللوم على السيّد. لكنه لو عناها فعلاً، لوجب عليه في هذه الحال التصرّف بموجبها.

١٩ : ٢٣ يوحي لنا العدد ٢٣، حسب الظاهر، أنّه ينبغي إمّا تسخير كل شيء لخدمة الرب، وإمّا نقله إلى شخص آخر لاستخدامه للرب.

١٩ : ٢٤-٢٦ حكم الإنسان الشريف الجنس على العبد الثالث بضرورة **أخذ المنا منه وإعطائه للعبد** الأول الذي كان قد ربح **عشرة أمناء.** فالفرص المتاحة لنا والتي لا نستخدمها للرب، سوف تؤخذ منّا. ومن جهة أخرى، إن كنّا أمناء في القليل، فالله سيُعنى بألاّ يُعدم وسيلة لخدمته أكثر بعد. قد يرى بعضهم أنه ليس من العدل أن يُعطى **المنا** لصاحب العشرة أمناء.

لكن الذين يحبون الرب ويخدمونه بكل غيرة يُعطَون دائمًا فرصًا ومجالات أوسع للخدمة؛ وهذا مبدأ ثابت في الحياة الروحية. وكلُّ إخفاق أو تقاعس عن افتداء الوقت والفرص سيؤدي إلى خسارة الكل.

كابد العبد الثالث خسارة المجازاة، لكن الوحي لم يفصح عن أي عقاب آخر ناله. فالمسألة هنا، على ما يبدو، لا علاقة لها بخلاصه.

١٩: ٢٧ إن أهل المدينة الذين لم يرضوا بالإنسان الشريف الجنس ملكًا عليهم، اعتُبِروا أعداء ومصيرهم الموت. كان هذا بمثابة تنبّؤ مؤلم بمصير الأمّة التي رفضت المسيّا.

١٠- ابن الإنسان في أورشليم (١٩: ٢٨ — ٢١: ٣٨)

أ. الدخول المظفّر (١٩: ٢٨-٤٠)

١٩: ٢٨-٣٤ كان الآن يوم الأحد الذي سبق الصلب. وكان يسوع في طريقه إلى أورشليم وقد دنا من المنحدر الشرقي لجبل الزيتون. **وإذ قرب من بيت فاجي وبيت عنيا**... أرسل اثنين من تلاميذه إلى داخل **قرية** لإحضار **جحش** سيحتاج الرب إليه لدخول أورشليم. كما حدّد لهما مكان وجود هذه الدابة وما سيقوله لهم **أصحابها**. بعد أن أوضح التلاميذ طبيعة مهمتهم، يبدو أن أصحاب الجحش قبلوا أن يضعوه تحت تصرّف يسوع. وربما كانوا قد تباركوا قبلاً من خدمة الرب وعرضوا عليه كل مساعدة ممكنة في المستقبل.

١٩: ٣٥-٣٨ صنع التلميذان سرجًا بواسطة ثيابهما. كما أن كثيرين **فرشوا ثيابهم في الطريق** أمام الرب خلال صعوده السفح الغربي لجبل الزيتون باتجاه أورشليم. ثم راح أتباع يسوع **يسبّحون الله مطًا بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا**. وهكذا حيّوه بصفته الملك المُرسل من قِبَل الله، ورنّموا للنتائج المباركة التي أسفر عنها مجيئه **من سلام في السماء ومجد في الأعالي**. والجدير ذكره أنهم هتفوا «**سلام في السماء**» عوضًا عن "سلام على الأرض". ذلك لأنه لم يكن ممكنًا أن يحلّ السلام على الأرض بسبب رفض رئيس السلام والعزم على قتله في وقت قريب. لكن سيكون **سلام في السماء** نتيجة موت المسيح الوشيك على صليب الجلجثة وصعودة إلى السماء.

١٩: ٣٩، ٤٠ غضب الفريسيون جدًّا من تكريم يسوع بهذا الشكل العلني. فاقترحوا عليه أن يقوم **بانتهار تلاميذه**. لكن يسوع أجابهم بأنه كان لا بد من صياح الابتهاج هذا. **فالحجارة تصرخ** إن تقاعس التلاميذ عن القيام بهذا العمل. وبذلك يكون الرب قد وبّخ الفريسيين على أنهم أكثر قسوة من الحجارة الصمّاء في عدم تجاوبهم مع كلام الله.

ب. ابن الإنسان يبكي على أورشليم (١٩: ٤١-٤٤)

١٩: ٤١، ٤٢ بينما كان الرب يسوع **يقترب** من أورشليم، رفع مرثاة على **المدينة** التي فاتتها الفرصة الذهبية. فلو قبله الشعب كالمسيّا لكان **السلام** من نصيبهم. لكنهم لم يدركوا أنه كان هو مصدر **السلام**. وأمّا الآن، فكان قد فات الأوان، لأنه سبق لهم أن قرّروا ما سيفعلون بابن الله. وبسبب رفضهم له، أُعميت أعينهم. وعندما لم يريدوا رؤيته، لم يعد بإمكانهم رؤيته في ما بعد.

لنتوقّف قليلاً هنا للتأمل في روعة دموع المخلّص. وكما صرّح و.جريفيث توماس *W. Griffrith Thomas*: "دعونا نبقى جالسين عند قدمي المسيح إلى أن نتعلم سرّ دموعه، حتى إذا رأينا خطايا المدينة والقرية ومآسيهما، نذرف بدورنا الدموع عليهما".

١٩: ٤٣، ٤٤ عرض يسوع لمحة مُسبقة جليلة عن الحصار الذي سيقوم به تيطس: كيف **سيحيط** هذا الضابط الروماني بالمدينة محاصِرًا سكانها داخلها، وقاتلاً شبانها وكهولها، **وهادمًا** أسوارها وبيوتها. لن يَترك فيها **حجرًا على حجر**. وكل ذلك لأن أورشليم **لم تعرف زمان افتقادها**. فالربّ كان قد افتقد المدينة بعرضه عليها الخلاص. لكن الشعب رفضه لأنه لم يكن عندهم أي مكان له ضمن مخططاتهم.

ج. *تطهير الهيكل للمرة الثانية* (١٩: ٤٥، ٤٦)

سبق ليسوع أن طهّر **الهيكل** في مستهل خدمته الجهارية (يو٢: ١٤-١٧). والآن، إذ كانت خدمته توشك سريعًا على الانتهاء، دخل المكان المقدس وأخرج منه **الذين حوّلوا بيت الصلاة إلى مغارة لصوص**. فهناك دائمًا خطر إدخال التجارة في أمور الله. وهذا الشر غزا العالم المسيحي في أيامنا. لذا نسمع عن أسواق الكنيسة ونشاطاتها الاجتماعية، وعن حملات منظمة لجمع الأموال وعن الكرازة لكسب المنفعة المادية. وكل ذلك يُعمل باسم المسيح.

اقتبس المسيح إشعياء ٥٦: ٧ مع إرميا٧: ١١ لدعم تصرُّفه هذا. فكل إصلاح للانحرافات في الكنيسة يجب أن يرتكز على كلمة الله.

د. *التعليم يوميًا في الهيكل* (١٩: ٤٧، ٤٨)

كان يسوع **يعلّم كل يوم في ديار الهيكل**، أي في أوقاته حيث كان يُسمح للشعب بالدخول، وليس داخله. كان القادة الدينيون يبحثون عن عذر **لإهلاكه** فيما كان ذاك الناصريّ الصانع المعجزات ما يزال يسبي عقول عامة **الشعب**. لم تكن ساعته قد حضرت بعد. لكن سرعان ما سيجتمع عليه رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون لقتله. إنه يوم الاثنين. أما الثلاثاء، والذي يصادف اليوم الأخير من خدمته الجهارية، فتُعرَض علينا أحداثه في ٢٠: ١ — ٢٢: ٦.

هـ. *التشكيك بسلطان ابن الإنسان* (٢٠: ١-٨)

٢٠: ١، ٢ يا لروعة المشهد. معلّم الأجيال يذيع الأخبار السارة بلا كلل ولا ملل في أحد أروقة الهيكل فيما يقوم قادة الأمّة، بكل وقاحة، بالتشكيك في حقّه في التعليم. فيسوع كان في نظرهم مجرّد نجّار فظٍّ من الناصرة. كانت ثقافته ضئيلة، كما أنه لم يكن حائزًا أية درجات علمية أو شهادات للمصادقة على خدمته صادرة عن هيئة دينيّة. فأين هي أوراق اعتماده؟ ومن **أعطاه هذا السلطان** لتعليم الآخرين وتبشيرهم ولتطهير الهيكل؟ كانوا يريدون معرفة هذا كلّه.

٢٠: ٣-٨ أجابهم يسوع بطرحه سؤالاً عليهم. فلو أحسنوا الإجابة، لكانوا بذلك قد أجابوا عن سؤالهم أيضًا. هل كان الله موافقًا على **معمودية يوحنا**، أم هل كان لها صبغة بشرية فقط؟ لقد أوقعهم في الشَّرَك. فإذا اعترفوا بأنه كانت هناك مسحة إلهية على كرازة يوحنا، فلماذا إذًا تقاعسوا عن إطاعة رسالته بالتوبة

وبقبول المخلّص الذي تحدث عنه يوحنا؟ لكن في حال اعتبروا أن يوحنا كان مجرّد كارزًا آخر، فإنهم كانوا بذلك سيثيرون غضب الجموع الذين كانوا ما يزالون يرون في يوحنا نبيًّا من أنبياء الله. لذا قالوا له: "**لا نعلم من أين** استمدّ يوحنا سلطانه". فأجابهم يسوع: "حسنًا، في هذه الحال، لن أخبركم بأي سلطان أنا أعلّم". فإن كانوا غير مطّلعين على هذا الشيء القليل عن يوحنا، فلماذا يسألون عن سلطان من هو أعظم من يوحنا؟ ويظهر لنا من هذا المقطع أن أهم صفة يجب أن تتوافر بشكل ضروري في معلّم كلمة الله هو أن يكون مملوءًا بالروح القدس. إن شخصًا كهذا باستطاعته التفوّق على الذين تتقنّع سلطتهم بالدرجات العلمية والألقاب البشرية والوجاهات.

"من أين حصلت على شهادتك؟ ومن هي الجهة التي رسمتك للقسوسية؟" نحن ما نزال نطرح هذه الأسئلة القديمة، بدافع الحسد والغيرة ربما. لذا يخطئ بعضهم عندما يشكّكون في مدى كفاءة مبشّر الإنجيل الناجح أو في صحة رسامته إذا كانت قدماه لم تطأ عتبة أية كلية محترمة لتدريس اللاهوت.

و. *مَثَل الكرامين الأشرار* (٢٠: ٩-١٨)

٢٠: ٩-١٢ يضع أمامنا **مثل الكرم** هذا ما في داخل قلب الله من لهفة دائمة على شعب اختياره. فالله هو ذلك **الإنسان الذي سلّم كرمه** (الأمة) إلى **كرّامين** (قادة الأمّة – راجع إشعياء ٥: ١-٧). لقد أرسل عبيده إلى الكرّامين للحصول على شيء **من ثمر الكرم** لنفسه. كان هؤلاء العبيد أنبياء الله، كإشعياء ويوحنا المعمدان، الذين سعوا لدعوة الشعب إلى التوبة والإيمان. غير أن حكّام الأمّة دأبوا باستمرار في اضطهاد الأنبياء.

٢٠: ١٣ أخيرًا أرسل الله **ابنه الحبيب**، على اعتبار أنهم **سيهابونه** (مع أن الله كان يعرف بالطبع أن المسيح سيُرفَض). ولنلاحظ هنا كيف ميّز المسيح نفسه عن الآخرين جميعهم. فهم كانوا عبيدًا، لكنه هو الابن الأزلي.

٢٠: ١٤ قرّر **الكرّامون** التخلّص من **الوارث**، وذلك تماشيًا مع تاريخهم الإجرامي الحافل. فبصفتهم قادة الشعب ومعلّميه، أرادوا حصر جميع الحقوق بهم وحدهم: «**لكي يصير لنا الميراث**». ولم يكونوا ليتنازلوا ليسوع عن مركزهم الديني. فإذا قتلوه، فلن يبقى هناك على الأقل في نظرهم، مَن ينافسهم على السلطة.

٢٠: ١٥-١٧ فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. سأل الربُّ يسوع، عند هذا الحد، سامعيه اليهود عمّا يتوقعون أن **يعمل صاحب الكرم بهؤلاء الكرّامين** الأشرار. وفي إنجيل متى، حكم رؤساء الكهنة والشيوخ على أنفسهم عندما صرّحوا بأنه سوف يقتلهم (مت٢١: ٤١). أمّا هنا فالرب بنفسه عرض الجواب: «**يأتي ويهلك هؤلاء الكرّامين ويعطي الكرم لآخرين**». وهذا يعني أن اليهود الذين رفضوا المسيح سيكون مصيرهم الهلاك، وإن الله سوف يغدق امتيازاته على أناس آخرين. تقزّز اليهود من هذا الكلام، **وقالوا حاشا**. لكن الربّ عاد يثبّت هذه النبوّة باقتباسه المزمور ١١٨: ٢٢. **فالبنّاؤون** اليهود كانوا قد **رفضوا** المسيح، **الحجر**. لم يكن هناك أي مكان له ضمن برامجهم. لكن الله قرّر إعطاءه مركز الصدارة بجعله **حجر الزاوية**، أي الحجر الذي لا غنى عنه والذي هو في أسمى مقام.

٢٠: ١٨ يتحدث العدد ١٨ عن المسيح في مجيئه الأول ثم الثاني. ففي المجيء الأول، ظهر الربّ **كحجر** على الأرض. فالناس عثروا تجاه تذلّلـه ووداعته، وهكذا **ترضضوا** من جـراء رفضهم إياه. أمّا في الجـزء الثاني من العدد، فيُرى الحجر هاويًا من السماء **وساحقًا** غير المؤمنين.

ز. *إعطاء كل من قيصر والله حقه* (٢٠: ١٩-٢٦)

٢٠: ١٩، ٢٠ أدرك **رؤساء الكهنة والكتبة** أن يسـوع كان يتكلـم **عليهم**. لـذا ازداد عزمهم على **إمساكه**. **فأرسلوا جواسيس** للاحتيـال عليـه ودفعـه إلى التفوّه بعبارات تخوّلهم توقيفه ومحاكمته أمام **الوالي** الروماني. راح هؤلاء الجواسيس يمدحونه أولاً على كونه لا يخاف الناس ويحرص على العيش بـكل أمانة الله مهما كلّف الثمن، آملين بذلك دفعه إلى التكلّم ضد قيصر.

٢٠: ٢١، ٢٢ ثم سـألوه: هل يجوز لليهودي أن **يعطي جزيـة لقيصر**؟ فـإذا أجابهـم الرب يسـوع بالنفي، فباسـتطاعتهم عندئـذ اتّهامُـه بالخيانة وتسـليمه إلى الرومـان لمحاكمته. وفي حال قـال: "نعم"، فإنه بذلك سيعادي جماعة هيرودس وعامّة اليهود.

٢٠: ٢٣، ٢٤ وعـى الرب يسـوع المؤامرة المحكومة ضده. فسـألهم أن يُروه **دينارًا**، لعلّه لم يكن هو نفسـه يملك هذه القطعـة من النقود. كما أن حقيقة اقتنائهم واسـتخدامهم لها إنما تظهر اسـتعبادهم لسلطة الأمم عليهم. ثم سـألهم يسـوع: «**لمـن الصـورة والكتابة؟**» فوافقوا على أنها تخص قيصر.

٢٠: ٢٥، ٢٦ وبعد هذا أسكتهم يسوع عندما أمرهم بالقـول: «**أعطـوا إذًا مـا لقيصـر لقيصر ومـا لله لله**». كانوا، حسـب الظاهـر، مهتمّين جـدًّا بمصالح قيصر ومتغافلـين عن مصالح الله. "المال يخّـص قيصر، وأنتم تخصون الله. فدعوا العـالم يقتني نقوده؛ أمّا الله فدعوه يحصل على خلائقه". فما أسـهل المماحكة حول أمور طفيفة مع إهمال الأمور الرئيسية في الحياة. وما أسهل تسديد ديوننا للناس في حين نسلب الله حقوقه.

ح. *الصدوقيون وأحجيتهم المتعلقة بالقيامة* (٢٠: ٢٧-٤٤)

٢٠: ٢٧ بعـد إخفاق إيقاع الربّ يسـوع في الشّـرَك بواسطة مسألة سياسية، **حضر قوم من الصدوقيين** وعرضوا عليه معضلة لاهوتية. كانوا ينكرون احتمال حصول أية قيامة لأجسـاد الأموات، لذا حاولوا الاستعانة بإيضاح متطرّف جدًّا لجَعل عقيدة القيامة تبدو سخيفة.

٢٠: ٢٨-٣٣ ذكّروا يسـوع بأن شـريعة موسى نصّت على ضرورة أن يُقدِّم الرجل العازب على التزوّج بأرملة أخيه لاسـتحياء أسـم العائلة وللمحافظة على أملاكها (تـث ٢٥: ٥). فهناك امرأة اقترنت تباعًا **بسـبعة أخوة**، حسـب روايتهم. وعند موت الرجل السابع، كانت ما تزال **بغير ولـد**. وبعد هذا **ماتت هي أيضًا**. «**ففي القيامة لمـن منهم تكون زوجة؟**»، هذا مـا ابتغوا التحقق منه. لقد ظنوا أنفسـهم علـى درجة عاليـة من الـذكاء والفطنة بطرحهم هذه المُعضِلة التي لا تقبل أي حلّ.

٢٠: ٣٤ **فأجـاب يسـوع** أن علاقة الـزواج تقتصر على هذه الحياة فقط؛ لذا فإنها لن تسـتمر في السماء. كما أنه لم يتحدث عن عجز الأزواج والزوجات عن معرفة بعضهم بعضًا في السـماء. إنما يعتبر أن علاقتهم هناك ستُبنى على أساس مختلف تمامًا.

٢٠: ٣٥ إن العبارة «**الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر**»، لا توحي أبدًا بأنّ هناك قومًا يستحقون السماء من تلقاء أنفسهم. ذلك لأن لا استحقاق للخطاة سوى استحقاق الرب يسوع المسيح. وعلّق على هذا كوتس *Coates* بالقول: "الذين يُحسبون أهلاً هم الذين يحكمون على أنفسهم ويبرّرون المسيح معتبرين أن كل الاستحقاق محصور به وحده".

كما أن **القيامة من الأموات** تشير هنا إلى قيامة المؤمنين وحدهم. واللفظة اليونانية "إك *ek*" المُترجمة هنا «من»، تفيد معنى الخروج. لذا فإن الفكرة الشائعة عن قيامة عامة تشمل جميع الأموات المؤمنين وغير المؤمنين معًا، لا ذِكر لها في الكتاب المقدس.

٢٠: ٣٦ يُظهر لنا العدد ٣٦ أيضًا تفوّق الحالة السماوية على الحالة الأرضية. فالموت لا يوجد في ما بعد، والناس، من هذه الناحية، يكونون **مثل الملائكة**. كذلك سيُستعلنون كأبناء الله. المؤمنون هم أولاد الله منذ الآن، لكن لم يُظهَر هذا بعد للعالم عَلَنًا. أمّا في السماء، فسيُستعلنون كأولاد الله بشكل منظور. ومشاركتهم منذ الآن في القيامة الأولى هي التي تضمن ذلك. «نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو٣: ٢). «متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضًا معه في المجد» (كو٣: ٤).

٢٠: ٣٧، ٣٨ لبرهان القيامة، أشار الرب يسوع إلى خروج ٣: ٦ حيث اقتبس **موسى** قول **الربّ** عن نفسه إنه **إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب**. والآن، لو توقّف الصدوقيون فقط ليفكّروا، لأدركوا أن: (١) **الله ليس هو إله أموات بل إله أحياء**. (٢) **إبراهيم، إسحاق ويعقوب قد ماتوا** جميعهم. إذًا يجب استنتاج أنه من الضروري أن يكون الله قد أقامهم من بين الأموات. كما أن الرب لم يقل «كنت إله إبراهيم...» بل قال بالحري «أنا هو...». وكون الله إله الأحياء، يحتّم حقيقة القيامة.

٢٠: ٣٩-٤٤ كان على **قوم من الكتبة** أن يقبلوا بقوة الحجة التي قدّمها الرب. لكن الربّ يسوع لم يكن قد انتهى بعد من الكلام، بل عاد إلى الاستشهاد مرة أخرى بكلمة الله. ففي المزمور ١١٠: ١ **دعا** داود المسيّا **ربّه**. وكان اليهود متفقين، بشكل عام، على أن المسيّا سيكون **ابن داود**. فكيف عساه أن يكون ربّ داود وابن داود في آن؟ والربّ يسوع كان هو نفسه الجواب عن هذا السؤال. فبصفته ابن الإنسان كان قد تحدّر من داود، لكنه أيضًا خالق داود. لقد منعهم عماهم من رؤية هذا.

ط. تحذير من الكتبة (٢٠: ٤٥-٤٧)

بعد هذا، راح الرب يسوع يحذّر الجموع جهارًا من **الكتبة**. كانوا يلبسون **الطيالسة**، أي الثياب الطويلة، للتظاهر بالتقوى. كما كانوا يحبّون أن تُطلَق عليهم ألقاب الاحترام والتعظيم خلال سيرهم **في الأسواق**. كذلك كانوا يعتمدون أساليب بارعة **للجلوس في الصدارة داخل المجامع وفي الولائم**. ومن جهة أخرى، كانوا يسلبون معيشة الأرامل العاجزات عن مقاومتهم، **ويطيلون صلواتهم** لتغطية شرورهم. إن عقابًا صارمًا جدًّا ينتظر مراءاة كهذه.

ي. فلسا الأرملة (٢١: ١-٤)

بينما كان الرب يسوع يراقب الأغنياء وهم يلقون قرابينهم في الخزانة، استوقفه الفارق العظيم بين الأغنياء وأرملة فقيرة. كانوا يعطون شيئًا من أموالهم؛ أما هي فقدّمت الكلّ. إن عطاءها فاق، في نظر الله، كل ما قدّموه هم مجتمعين. ذلك لأنهم أعطوا من فضلتهم فيما أعطت هي من إعوازها. لم يكلّفهم عطاؤهم إلاّ النزر اليسير أو ربما لا شيء؛ أمّا هي فأنفقت كل المعيشة التي لها. وقد علّق الدكتور جوزيف باركر *Joseph Parker* على هذه الحادثة بالقول: "إن ما نعطيه من فائض الذهب الذي عندنا، يقذفه الله إلى عمق أعماق الهاوية؛ أمّا النحاس الذي تظهر عليه آثار دم الاجتهاد والتعب فيرفعه تعالى ويقبّله محوّلاً إيّاه إلى ذهب في الأبدية".

ك. تقسيم لأحداث مستقبلية (٢١: ٥-١١)

تشكّل الأعداد ٥-٣٣ حديثًا نبويًّا عظيمًا. وهذا الحديث يشبه حديث المسيح في جبل الزيتون بحسب متى ٢٤، ٢٥، إلاّ أنه لا يطابقه تمامًا. وهنا أيضًا ينبغي أن نتذكر بأن للفروقات بين الأناجيل أهمية بالغة. وفي هذا الحديث، يتكلّم الربّ، بشكل متعاقب، عن خراب أورشليم في عام ٧٠م، ومن ثم عن الأوضاع التي ستسود قبيل مجيئه الثاني. ولنا هنا إيضاح لمبدإ الإتمام المزدوج *Double Reference*. فتوقعاته هذه سرعان ما كانت ستتم جزئيًا في حصار تيطس، وذلك في انتظار تتميمها الكامل عند نهاية الضيقة العظيمة.

يبدو أن هذا الحديث يتبع التقسيم التالي:

١- تنبّأ الرب يسوع بخراب أورشليم (ع٥، ٦).

٢- سأله التلاميذ عن موعد حصول ذلك (ع٧).

٣- عرض يسوع أولاً صورة عامة عن الأحداث التي ستسبق مجيئه الثاني (ع ٨-١١).

٤- ثم أعطى صورة عن سقوط أورشليم وعن العصر الذي سيلي ذلك (ع١٢-٢٤).

٥- وأخيرًا، ذكر العلامات التي ستسبق مجيئه الثاني، حاثًّا أتباعه على ضرورة العيش متوقّعين رجوعه (ع٢٥، ٢٦).

٢١: ٥، ٦ بينما كان قوم ينظرون بإعجاب إلى عظمة هيكل هيرودس، حذّرهم الرب يسوع من الانشغال بأشياء مادية سرعان ما ستزول. فستأتي أيام فيها يُهدم الهيكل بالتمام.

٢١: ٧ وللوقت أراد التلاميذ معرفة متى سيحصل ذلك وما هي العلامة التي تشير إلى اقتراب وقوع ذلك. كان اهتمامهم، ولا شك، محصورًا في ما يتعلّق بخراب أورشليم.

٢١: ٨-١١ يظهر أن الرب في إجابته، نقل التلاميذ إلى انقضاء الدهر عندما سيتعرّض الهيكل للخراب ثانية قبل إقامة الملكوت. فسيقوم مسحاء كذبة كثيرون، وتروّج إشاعات كاذبة، كما أنه سيكون حروب وقلاقل. ولن يقتصر الأمر على الصراعات بين الأمم، ذلك لأن الطبيعة أيضًا ستشهد كوارث عظمى: زلازل... مجاعات وأوبئة، مخاوف وعلامات عظيمة في السماء.

ل. فترة ما قبل النهاية (٢١: ١٢-١٩)

٢١: ١٢-١٥ في المقطع السابق، كان الرب يسوع قد وصف الأحداث التي تسبق انقضاء الدهر مباشرة. وها هو الآن يصدّر العدد ١٢ بالعبارة «وقبل هذا كلّه». لذا فإن الأعداد ١٢-٢٤ تتناول، في نظرنا، الفترة الزمنيّة الممتدة بين تاريخ هذا الحديث وموعد حصول الضيقة في

المستقبل. وفي هذا الوقت، سيُلقى القبض على تلاميذ الرب ويُضطهَدون ويُساقون أمام السلطات الدينية والمدنية للمحاكمة ويُسجنون. قد يبدو ذلك مفشّلاً ومأساويًّا بالنسبة لهم، لكن الرب في الواقع هو الذي سيتحكم بهذه الأوضاع لجعلها شهادة لمجده. كان عليهم ألاّ يستعدوا مسبقًا للدفاع عن أنفسهم. فالله سوف يمدّهم، في ساعة الأزمة، **بحكمة** خاصة للنطق بأمور كفيلة بإرباك **معانديهم** بالتمام.

٢١: ١٦-١٨ وستحصل خيانات داخل العائلات. **فالأقرباء** غير المخلّصين سوف يسلّمون المؤمنين وسيُقتل بعض من هؤلاء بسبب وقوفهم مع المسيح. وثمة تناقض ظاهري بين العدد ١٦: «**ويقتلون منكم**»، والعدد ١٨: «**ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك**». والمقصود هو أن بعضهم سيُستشهدون في سبيل المسيح إلاّ أنهم سيُحفظون بالتمام من الناحية الروحية. أجل سيموتون، لكنهم لن يهلكوا.

٢١: ١٩ يبيّن العدد ١٩ أن الذين يحتملون المشقّات بصبر لأجل المسيح عوضًا عن إنكاره، يبرهنون بذلك صدق إيمانهم. فالذين اختبروا الخلاص فعلاً، سيثبتون على أمانتهم ووفائهم للرب مهما كلّف الثمن.

م. *مصير أورشليم* (٢١: ٢٠-٢٤)

والآن يتناول الربّ بكل وضوح موضوع خراب **أورشليم** في عام ٧٠م. وستكون إحاطة المدينة **بالجيوش** الرومانية بمثابة العلامة على حصول هذا الحدث.

"كان لدى المسيحيين الأوائل الذين عاشوا قرابة العام ٧٠م علامة محدّدة ممهّدة لخراب أورشليم ولدمار الهيكل الرخامي الجميل: «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذٍ اعلموا أنه قد اقترب خرابها». كان ذلك يصلح كمؤشّر مؤكّد لتحذير الناس وتنبيههم إلى الخراب الوشيك وقوعه. وكان عليهم تجاه هذه العلامة أن يفرّوا هاربين. لكن كان بإمكان عدم الإيمان أن يُحاجّ ويجادل ضدّ هذا، على اعتبار أنه من المستحيل الهرب مع وجود جيوش محاصرة خارج السور. لكن كلمة الله لا تسقط أبدًا. فالضابط الروماني سحب قواته لفترة وجيزة فاسحًا بذلك في المجال أمام اليهود المؤمنين للهرب. وهذا ما حصل فعلاً إذ توجّهوا إلى مكان يُدعى بيللا *Pella* حيث احتموا".

(اقتباس من مجلة الحق المسيحي Christian Truth Magazine)

كل محاولة لدخول المدينة ثانية ستُكلّف الإنسان حياته. فالمدينة كانت على وشك أن تُعاقب على رفضها ابن الله. أمّا الحبالى والمرضعات فستعمل ظروفهنّ هذه غير المؤاتية على إعاقتهنّ عن الهرب من غضب الله الذي سينسكب على **الأرض** البهيّة وعلى **الشعب** اليهودي. كثيرون سيموتون، كما أن الباقين على قيد الحياة سيُنقلون أسرى إلى أرضٍ أخرى.

الجزء الأخير من العدد ٢٤ هو نبوّة رائعة تختص بمدينة أورشليم القديمة، ومفادها أن هذه المدينة ستبقى تحت حكم الأمم منذ ذلك الوقت **حتى تُكمَّل أزمنة الأمم**. وهذا لا يعني أنها لن تقع تحت سيطرة اليهود على مدى فترات وجيزة من الزمن، إنما المقصود هنا هو أنها ستبقى عرضة لهجوم الأمم عليها **حتى تُكمَّل أزمنة الأمم**.

يميّز العهد الجديد بين «غنى الأمم»، و«ملء الأمم»، و«أزمنة الأمم».

١- يشير غنى الأمم إلى مكانة الامتياز التي يتمتع بها الأمم حاليًا، فيما الأمّة العاصية طرحها الله جانبًا وبشكل مؤقّت.

٢- يشير ملء الأمم (رو١١: ٢٥) إلى زمن الاختطاف، عندما تكون عروس المسيح الأممية قد اكتملت وأُخذت من الأرض، وعندما يعاود الله معاملاته مع الشعب القديم.

٣- كانت أزمنة الأمم (لو٢١: ٢٤) قد بدأت فعلاً بالسبي البابلي في عام ٥٢١ق م. وستمتد إلى الوقت الذي فيه لن تعود أورشليم تحت سيطرة الأمم.

فمنذ تاريخ تفوّه المخلّص بهذه الكلمات، وسلطات الأمم تتعاقب، على مرّ العصور، على السيطرة على أورشليم. لقد سعى الإمبراطور جوليان المرتدّ (٣٣١ – ٣٦٣م *Julian The Apostate*) لتشويه سمعة المسيحية بإبطال نبوّة الرب هذه. وهكذا شجّع اليهود على إعادة بناء الهيكل. فهبّوا للعمل بكل نشاط معتمدين في تهوّرهم رفوشًا فضيّة، وناقلين الردم بواسطة أنسجة بنفسجية. لكن خلال قيامهم بالعمل، اضطروا إلى التوقف بسبب حدوث زلزلة في المكان وبخروج أجسام نارية كروية الشكل من الأرض. كان لا بدّ لهم من العدول عن تنفيذ هذا المشروع.

ن. *المجيء الثاني* (٢١: ٢٥-٢٨)

تصف هذه الأعداد الاضطرابات العنيفة التي ستصيب الطبيعة مع الزلازل التي ستحصل على الأرض قبيل مجيء المسيح ثانية. وهذه الاضطرابات التي ستحلّ **بالشمس... والقمر والنجوم** ستظهر، بكل وضوح، على الأرض. فالأجسام السماوية ستخرج عن إطار دوراتها المألوفة. وقد يتسبب ذلك بانحراف الأرض عن محورها. كما أن موجات مَدٍّ عظيمة ستكتسح مساحات كبيرة من اليابسة. عندئذ سيصيب الناس الذعر والهلع بسبب وشوك ارتطام الأجسام السماوية بالأرض خلال مسارها. لكن يبقى هناك رجاء للأتقياء:

«وحينئذٍ يبصرون ابن الإنسان آتيًا في سحابة بقوّة ومجد كثير. ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب».

س. *شجرة التّين وكل الأشجار* (٢١: ٢٩-٣٣)

٢١: ٢٩-٣١ يشكّل إفراخ **شجرة التين وكل الأشجار** علامة أخرى على اقتراب رجوع الربّ. فصورة شجرة التين تناسب جيّدًا الأمّة القديمة. فهي ستبدأ تختبر الحياة الجديدة في الأيام الأخيرة. كما أن نموّ الأشجار الأخرى قد يرمز إلى الازدهار غير الاعتيادي الذي شهده تيار القومية *nationalism* وظهور عدد من الحكومات الجديدة في بلدان نامية جديدة من العالم. وهذه العلامات تعني أنه سرعان ما يُقام ملكوت المسيح المجيد.

٢١: ٣٢ قال يسوع إن **هذا الجيل لن يمضي حتى يكون الكل**. لكن ماذا كان يقصد بهذه العبارة «هذا الجيل»؟

١- يرى بعضهم أن الإشارة هنا هي إلى جيل الذين كانوا على قيد الحياة عندما تفوّه الرب يسوع بهذه الكلمات، وأن كل شيء قد تمّ مع خراب أورشليم. لكن هذا غير صحيح لأن المسيح لم يرجع في سحابة بقوة ومجد عظيم.

٢- يعتقد آخرون أن «هذا الجيل» تشير إلى جماعة الأحياء عندما ستبدأ هذه العلامات بالحدوث، وأن هؤلاء سيستمرون على قيد الحياة لرؤية رجوع المسيح. عندئذ ستحصل، ضمن جيل واحد، جميع الأحداث

التي جرى التنبؤ بها. هذا التفسير محتمل.

٣- يعتبر تفسير آخر أن «هذا الجيل» تشير إلى الشعب اليهودي في موقفهم العدائي من المسيح. وكأن الرب أراد أن يقول هنا إن الأمّة اليهودية ستبقى وتستمرّ على الرغم من تشتّتها، غير أن موقفها من المسيح لن يطرأ عليه أي تبديل عبر العصور. ربما كان الاحتمالان الثاني والثالث صحيحين.

٢١: ٣٣ ستزول سماء الغلاف الجوي وسماء النجوم. وكذلك أيضًا **الأرض** في شكلها الحاضر. أمّا نبوّات الربّ يسوع هذه فلا يمكن إلاّ أن تتم.

ع. تنبيه للسهر والصلاة (٢١: ٣٤-٣٨)

٢١: ٣٤، ٣٥ وإلى أن يكون قد حان ذلك الوقت، ينبغي لتلاميذ الرب الحرص على عدم الانهماك كثيرًا بالأكل والشرب **والهموم** الدنيوية بشكل يجعلهم يشعرون بأن مجيء الرب قد حصل **بغتة**. وبهذه الطريقة **سيأتي** ذلك اليوم **على جميع** الذين يظنون أن الأرض هي موطنهم الدائم.

٢١: ٣٦ ينبغي للتلاميذ الحقيقيين أن **يسهروا ويتضرّعوا في** كل حين. إنهم بذلك ينفصلون عن العالم الفاجر المحكوم عليه بمكابدة الغضب الإلهي، ويتشبّهون في المقابل بالذين **سيقفون قدّام ابن الإنسان** لأنهم مقبولون عنده.

٢١: ٣٧، ٣٨ كان الرب يعلّم يوميًّا في منطقة **الهيكل**، **وفي الليل** كان ينام في جبل الزيتون كمشرّد وبلا مأوى في العالم الذي برّاه. **ثم في الصباح الباكر كان كل الشعب** يحتشدون حوله **ليسمعوه**.

II- آلام ابن الإنسان وموته (اص٢٢، ٢٣)

أ. المؤامرة لقتل يسوع (٢٢: ١، ٢)

٢٢: ١ يشير **عيد الفطر** هنا إلى الفترة التي تبدأ **بالفصح** وتمتد سبعة أيام أخرى لا يؤكل خلالها خبز استُخدم خمير في صنعه. وكان الفصح يقع في الرابع عشر من شهر نيسان، الشهر الأول من السنة العبرانية. وهكذا فإن الأيام السبعة، من اليوم الخامس عشر من هذا الشهر إلى اليوم الحادي والعشرين منه، عُرفت **بعيد الفطير**. لكن هذه التسمية في العدد الأول، تشير إلى العيد بأكمله. ولو كان البشير لوقا يوجّه كتابته، بشكل رئيسي، إلى قرّاء يهود، لما كان من الضروري أن يركّز على العلاقة بين **عيد الفطر والفصح**.

٢٢: ٢ كان **رؤساء الكهنة والكتبة** يبحثون بلا انقطاع **كيف** باستطاعتهم **قتل** يسوع. لكنهم أدركوا ضرورة تنفيذ ذلك من دون إحداث أيّة ضجة. لقد كانوا **يخافون الشعب**، كما علموا أن عددًا كبيرًا منهم كانوا ما يزالون يكنّون له كل تقدير واحترام.

ب. خيانة يهوذا (٢٢: ٣-٦)

٢٢: ٣ دخل الشيطان في يهوذا الذي يُدعى الاسخريوطي، وكان أحد التلاميذ **الاثني عشر**. ونفهم من يوحنا ١٣: ٢٧ أن هذا الأمر حصل بعد أن ناوله الرب يسوع لقمة الخبز خلال عشاء الفصح. واستنتاجنا هو إمّا أن يكون ذلك قد حدث على مراحل متتالية، وإمّا أن يكون قصد لوقا التركيز على حقيقة الأمر أكثر منه على التاريخ المحدد لحصوله.

٢٢: ٤-٦ وعلى كل حال، عقد يهوذا صفقة مع **رؤساء الكهنة وقواد الجند** أي المسؤولين عن حرس الهيكل اليهود. كان قد دبّر، بكل دقة، خطة **تُيسِّر** له **تسليم** يسوع إلى أيديهم من دون إحداث أي شغب. وافقوا تمامًا على هذه الخطة، وهكذا **عاهدوه أن يعطوه فضة**، وبالتحديد ثلاثين قطعة، كما نفهم من أماكن أخرى. ثم غادر يهوذا المكان لتنفيذ تفاصيل مُخَطَّطه الماكر.

ج. *إعدادات للفصح* (٢٢: ٧-١٣)

٢٢: ٧ ثمة مشاكل حقيقية تتعلق بالفترات الزمنية المذكورة في هذه الأعداد. **فيوم الفطير** كان يشير عادة إلى اليوم الثالث عشر من نيسان عندما كان كل بيت يهودي يتخلّص من جميع أشكال الخبز المصنوع من خمير. لكن نقرأ عنه هنا أنه كان اليوم الذي **ينبغي أن يُذبح فيه الفصح**. وهذا يجعله يصادف الرابع عشر من نيسان. يرى ليون موريس *Leon Morris* إلى جانب بعض اللاهوتيين الآخرين أنه كان هنا تقويمان مختلفان بالنسبة إلى الفصح، أحدهما رسمي، والآخر اعتمده الربّ يسوع وأناس آخرون. وفي اعتقادنا أن أحداث يوم الخميس الأخير تبدأ هنا وتستمر حتى العدد ٥٣.

٢٢: ٨-١٠ أرسل الرب **بطرس ويوحنا** إلى أورشليم لإجراء الإعدادات اللازمة للاحتفال بعشاء **الفصح**. لقد أظهر بتعليماته لهما معرفته الكاملة بكل شيء. فبعد دخولهما المدينة، **سيستقبلهما إنسان حامل جرة ماء**. كان هذا المشهد غير مألوف في مدينة شرقية. فحمل جرار الماء كان عادة من مسؤولية النساء. وهذا الإنسان يقدّم لنا هنا صورة حسنة عن الروح القدس الذي يقود النفوس المفتّشة عن الرب إلى مكان الشركة معه.

٢٢: ١١-١٣ لقد عرف الرب مسبقًا لا مكان هذا الإنسان ولا السبيل إلى بلوغه فحسب، بل علم أيضًا أن رجلاً رب بيت سيكون على استعداد لأن يضع تحت تصرّفه وتصرّف **تلاميذه عليّة كبيرة مفروشة**. وربما كان هذا الرجل يعرف الرب وقد كرّس شخصه ومقتنياته بالكلية لخدمته. هناك فرق بين المنزل أو غرفة الضيوف، **والعلّيّة الكبيرة المفروشة**. فالمضيف الكريم قدّم للتلاميذ تسهيلات أكثر ممّا كان يتوقّعه التلاميذ. وفي ولادة يسوع في بيت لحم، لم يكن هناك أي مكان في المنزل (كَتَلوما في اليونانية). وهنا دعا الربّ تلميذيه إلى طلب منزل (كَتَلوما في اليونانية)، لكنهما حصلا على شيء أفضل: **علية كبيرة مفروشة**.

حصل كل شيء كما كان الربّ قد توقّع، وعلى هذا الأساس، أعدّ التلميذان الفصح.

د. *الفصح الأخير* (٢٢: ١٤-١٨)

٢٢: ١٤ ظل اليهود على مرّ العصور يحتفلون بعيد الفصح لإحياء ذكرى إنقاذهم المجيد من مصر ومن الموت بواسطة الحَمَل الذي بلا عيب. كانت تفاصيل هذه الحادثة التاريخيّة ماثلة، ولا شك، في ذهن المخلّص عندما اتّكأ مع رسله لحفظ هذا العيد للمرة الأخيرة. كان هو حمل الفصح الحقيقي الذي دمُه سرعان ما سيُسفَك لخلاص جميع الذين يضعون ثقتهم به.

٢٢: ١٥، ١٦ كان هذا الفصح، بشكل خاص، يحمل معاني عميقة بالنسبة إليه. لذا اشتهى بغيرة شديدة أن يحتفل به قبل أن يتألم. فهو لن يُعيِّد هذا العيد ثانية إلى حين رجوعه إلى الأرض وتأسيس ملكوته المجيد. والعبارة «شهوةً اشتهيت» تحمل معنى الرغبة المتوقّدة

والشديدة. إن هذه الكلمات البيّنات تدعو جميع المؤمنين في كل زمان ومكان إلى التأمل في مدى شوق الرب يسوع لأن يكون في شركة معنا على مائدته.

٢٢: ١٧، ١٨ ولدى تناوله كأس الخمر، في معرض تتميمه لأحد أجزاء فريضة الفصح، شكر لأجله وأعطاه لتلاميذه. ثم ذكرهم مرة أخرى بأنه لن يشرب مجددًا من نتاج الكرمة حتى يحين ملكه الألفي. ينتهي وصف عشاء الفصح في العدد ١٨.

هـ. *عشاءُ الربِّ الأوّلُ* (٢٢: ١٩-٢٣)

٢٢: ١٩، ٢٠ بعد الفصح الأخير مباشرة جاء عشاءُ الربّ. وقد أنشأ الرب يسوع هذه الذكرى المقدسة حتى يتسنّى لأتباعه، عبر العصور، أن يتذكّروه في موته. ناولهم أولاً **الخبز** الذي يرمز إلى **جسده** الذي كان **سيُبذل** بعد قليل لأجلهم. ثم تحدّثت **الكأس**، بشكل رائع، عن **دمه** الثمين الذي سيُسفَك على صليب الجلجثة. لقد اعتبرها الرب **كأس العهد الجديد بدمه الذي يُسفك** عن خاصته. وهذا يعني أنه يصادق الآن **بدمه على العهد الجديد** الذي أبرمه، بشكل رئيسي، مع الأمّة القديمة. وسيُتمّم هذا العهد الجديد، بشكل كامل، خلال ملكوت ربنا يسوع المسيح على الأرض؛ أمّا نحن المؤمنين فنبدأ منذ الآن في جني خيرات العهد الجديد المبارَكة.

من البديهي القول إن الخبز والكأس كانا يرمزان أو يمثّلان جسد المسيح ودمه. فجسده لم يكن قد بُذل بعد ولا دمه سُفك. لذا من السخافة اعتبار أن هذين الرمزين قد تحوّلا، بشكل معجزي، إلى حقيقة. كان محظورًا على الشعب اليهودي أكل الدم، لذا عرف التلاميذ أن الرب لم يكن يقصد الدم بالمعنى الحرفي للكلمة، بل إنما تحدث عمّا يرمز إلى دمه.

٢٢: ٢١ يبدو أوّل وهلة أن يهوذا كان حاضرًا خلال العشاء الأخير. إلاّ أننا نفهم أيضًا من يوحنا ١٣ أن الخائن ترك الغرفة بعد أن ناوله يسوع لقمة الخبز المغموسة في الصحفة. وبما أن هذا الأمر حصل قبل تأسيس عشاء الرب، يعتقد كثيرون أن يهوذا لم يكن حاضرًا لدى تناوُل الخبز والخمر.

٢٢: ٢٢ كانت آلام الربّ يسوع وموته أمرًا **محتومًا**، إلا أن يهوذا خانه عن سابق تصميم وبكامل إرادته. لذا صرّح يسوع بالقول: «**ويل لذلك الإنسان الذي يسلّمه**». فيهوذا لم يكن مؤمنًا حقيقيًّا، وذلك على الرغم من انتمائه إلى جماعة الاثني عشر.

٢٢: ٢٣ ينقل إلينا العدد ٢٣ شيئًا من مشاعر الدهشة وعدم الثقة بالنفس عند التلاميذ. كانوا يجهلون **من منهم** سيقف وراء هذا العمل الخسيس والجبان.

و. *العظمة الحقيقية هي الخدمة* (٢٢: ٢٤-٣٠)

٢٢: ٢٤، ٢٥ إن حصول مشاجرة بين التلاميذ، مباشرة بعد عشاء الرب، حول **من منهم** كان **الأكبر**، هي دليل واضح على فظاعة نجاسة قلب الإنسان. فذكّرهم الربّ يسوع بأن العظمة، بحسب نظامه، هي نقيض المفهوم البشري لها. **فالملوك** الذين حكموا **الأمم**، كان يُنظر إليهم عادة كأشخاص عظماء، بل كانوا **يُدعون في الواقع محسنين**. كان ذلك مجرّد لقب لأنهم كانوا فعلاً طغاة متوحشين. لقد دُعوا صالحين في حين كانوا يفتقرون إلى الخصائص الشخصية التي تنمّ عن الصلاح.

٢٢: ٢٦ ينبغي ألاّ يحصل هذا بين أوساط أتباع المخلّص. فالذي يبغي أن يكون كبيرًا يجب أن يأخذ مكان **الأصغر**. والـذي يريد أن يكون متقدّمًا بينهم، ينبغي له أن يتنازل ليخدم الآخرين بكل تواضع. إن هذه المفاهيم الثورية قلبت، رأسًا على عقب، التقاليد المعمول بها في المجتمع حيث درجت العادة أن يكون الأصغر أقل قدرًا من الكبير، ويُظهر المتقدّم عظمته من طريق التسلّط.

٢٢: ٢٧ إن الضيف الجالس إلى المائدة هو، في عُرف الناس، أعظم من الذي يخدم على المائدة. لكن الرب يسوع جاء كخادم للبشر، وهكذا يتعيّن على جميع الذين يبغون اتّباعه أن يحذوا حذوه في هذا المجال.

٢٢: ٢٨-٣٠ قام الرب بمبادرة لطيفة عندما امتدح تلاميذه على **ثبوتهم معه في تجاربه**. كانوا لتوّهم يتشاجرون في ما بينهم، وسرعان ما سيتخلّون عنه جميعهم ويهربون. ومع هذا عرف أنهم كانوا يحبونه في قرارة نفوسهم واحتملوا العار من أجل اسمه. ومكافأتهم هي أنهم **سيجلسون على كراسي ويدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر** لدى عودة المسيح ليتسلّم عرش داود وليملك على الأرض. وكما أن الوعد بالملكوت، كان الآب قد قطعه للمسيح بشكل أكيد، هكذا سيملكون هم أيضًا بكل تأكيد على الأمّة المجدّدة.

ز. *يسوع يتنبّأ بإنكار بطرس له* (٢٢: ٣١-٣٤)

وصلنا الآن إلى الفصل الأخير ضمن مجموعة من ثلاثة فصول قاتمة في تاريخ عدم الأمانة البشرية. كان أولها خيانة يهوذا. ثم تلاها طموح التلاميذ النابع من الأنانية. والآن يطالعنا جُبن بطرس.

٢٢: ٣١، ٣٢ إن تكرار الاسم **سمعان سمعان** يشير إلى محبة قلب المسيح من نحو تلميذه المتقلب وشفقته عليه. **فالشيطان** كان قد **طلب** جميع التلاميذ لكي **يغربلهم كالحنطة**. وهكذا خاطب يسوع بطرس بالنيابة عن الجميع. **لكن** الرب كان قد **صلّى** لأجل سمعان لئلا يُصاب **إيمانه** بأية نكسة («**طلبت من أجلك**»، يا لها من عبارة عظيمة وذات معنى عميق). وبعد **رجوعه** إلى الرب، يتعيّن عليه أن **يثبّت إخوته**. وهذا الرجوع لا علاقة له بالخلاص، بل هو بالحري ردُّ النفس عن الزلل.

٢٢: ٣٣، ٣٤ إن بطرس دفعته ثقته المتهورة بنفسه إلى الإفصاح عن استعداده لمرافقة يسوع **إلى السجن وإلى الموت**. لكنّه كان يحتاج إلى سماع أنه **سَينكِر ثلاث مرات** معرفته بالرب، وذلك قبل أن يكون نور الفجر قد بزغ تمامًا.

في مرقس ١٤: ٣٠ يطالعنا تصريح الرب بأن بطرس سوف ينكره ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين. أمّا في متى ٢٦: ٣٤ ولوقا ٢٢: ٣٤ ويوحنا ١٣: ٣٨ فيقول الرب إن بطرس سوف ينكره ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك. من الصعب التوفيق بين هذه التصريحات لمعالجة أي تناقض ظاهري في مضمونها. وربما كان هناك أكثر من صياح واحد للديك، أحدهما في الليل والآخر عند الفجر. كما يجب ملاحظة أن الأناجيل ذكرت ست حالات مختلفة أنكر خلالها بطرس الرب. فبطرس أنكر الرب أمام:

١- امرأة شابة (مت٢٦: ٦٩، ٧٠؛ مر١٤: ٦٦-٦٨)

٢- امرأة شابة أخرى (مت٢٦: ٧١، ٧٢)
٣- الجموع المحتشدة في المكان (مت٢٦: ٧٣، ٧٤؛ مر١٤: ٧٠، ٧١)
٤- أحد الرجال (لو٢٢: ٥٨)
٥- رجل آخر (لو٢٢: ٥٩، ٦٠)
٦- واحد من عبيد رئيس الكهنة (يو١٨: ٢٦، ٢٧). ويرجح أن يكون هذا الرجل مختلفًا عن الآخرين بسبب ما نطق به: «أما رأيتك أنا معه في البستان؟» (ع٢٦).

ح. *أوامر عسكرية جديدة* (٢٢: ٣٥-٣٨)

٢٢: ٣٥ كان الرب في مرحلة سابقة من خدمته قد أرسل تلاميذه بلا كيس ولا مزود ولا أحذية، وهي الحدّ الأدنى من التجهيزات. كانت الأمور الضرورية ستكون كافية لهم. وهذا ما تبرهن فعلاً. وبقي عليهم أن يعترفوا بأنه لم يعوزهم شيء.

٢٢: ٣٦ لكنه الآن كان على وشك مغادرتهم، وكانت تنتظرهم مرحلة جديدة في نطاق خدمته، سيتعرضون خلالها للفقر والجوع والخطر؛ ممّا يضطرهم إلى الاهتمام بسدّ احتياجاتهم. لذا يتوجّب عليهم الآن أن يأخذوا معهم كيسًا يحوي نقودًا، ومزودًا أو وعاء لنقل الطعام. وإذا لم يكن عندهم سيف، ينبغي لهم أن يبيعوا ثوبهم ويشتروا واحدًا. ماذا عن المخلّص عندما دعا التلاميذ إلى شراء سيف؟ يبدو من الواضح أنه لم يكن يريد لهم أن يستخدموا السيف كسلاح للهجوم على الناس. ذلك لأن تصرّفًا كهذا ينقض تعاليم المسيح الواضحة في نصوص كالتالية: «مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدّامي يجاهدون» (يو١٨: ٣٦)، «كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت٢٦: ٥٢)، «أحبوا أعداءكم...» (مت٥: ٤٤)، «من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضًا» (مت٥: ٣٩؛ راجع أيضًا ٢كورنثوس١٠: ٤). فماذا قصد يسوع إذًا بالسيف؟

١- يرى بعضهم أنه كان يشير إلى سيف الروح الذي هو كلمة الله (أف٦: ١٧). هذا التفسير ممكن، لكن نجد نفوسنا مضطرين في هذه الحال إلى إعطاء معانٍ روحية للكيس وللمزود وللثوب.
٢- يعتبر وليامس *Williams* إن السيف يشير إلى ما تؤمّنه الحكومات من حماية وأمن لمواطنيها، مستشهدًا في ذلك بقوة السلطان في رومية ١٣: ٤.
٣- يقول لانج *Lange* إن السيف هو للدفاع عن النفس من الناس الأعداء وليس للهجوم. لكن متى ٥: ٣٩ يحظر علينا اعتماد السيف ولو للأغراض الدفاعية.
٤- يظن بعضهم أن السيف كان للدفاع عن النفس من أخطار الوحوش فقط. وهذا ممكن.
٥- يربط بعضهم الدعوة إلى شراء سيف بالعبارة الواردة في العدد التالي «أُحصي مع أثمة»، حيث يُعَدُّ الربّ يسوع مع جماعة من حاملي السيوف.

٢٢: ٣٧ يوضح لنا العدد ٣٧ السبب وراء اضطرار التلاميذ الآن إلى أخذ الكيس والمزود والسيف. فالرب كان قد لازمهم حتى تلك الساعة مسدّدًا كل احتياجاتهم الزمنية. لكن، سرعان ما كان سيرحل عنهم بحسب النبوة في إشعياء ٥٣: ١٢. فالأمور من جهته، كان لها انقضاء، أي أن حياته على الأرض وخدمته ستنتهيان عندما يُحصى مع أثمة ويُعامَل كما

يُعامَلون محتملاً الآلام والصلب.

٢٢: ٣٨ أساء التلاميذ فهم الرب بالتمام. فأحضروا سيفين على اعتبار أنهما سيكونان كافيين لمواجهة أية صعوبة قد تطرأ في المستقبل. لكن الرب يسوع وضع حدًّا لهذا الحديث بقوله: «**يكفي**». لقد ظنوا، على ما يبدو، أنه كان باستطاعتهم اعتماد السيف لإحباط محاولات أعداء الرب لقتله. لكن هذه الفكرة كانت أبعد ما يكون عمّا قصده الرب.

ط. الجهاد في جثسيماني (٢٢: ٣٩- ٤٦)

٢٢: ٣٩ كان بستان جثسيماني يقع عند المنحدر الغربي **لجبل الزيتون**. وكان يسوع قد اعتاد الذهاب إلى هذا المكان للصلاة. وكان **التلاميذ**، ولا سيّما الخائن، يعرفون ذلك جيّدًا.

٢٢: ٤٠ بعد الفراغ من عشاء الربّ، ترك يسوع والتلاميذ العلية قاصدين البستان. ولدى بلوغهم هذا المكان، حثّهم على **الصلاة لئلاّ يدخلوا في تجربة**. ولعله كان يقصد، بشكل خاص، خطر تخلّيهم عن الله وعن مسيحه تحت الضغط عند اقتراب الأعداء.

٢٢: ٤١، ٤٢ ثم غادر يسوع التلاميذ وتوغّل أكثر داخل البستان حيث **صلّى** وحده. لقد طلب أن تُجاز عنه **هذه الكأس** إن أراد الآب، إلاّ أنّه كان يطلب أن تتم إرادة الله، لا إرادته. وهذه الصلاة تعني في نظرنا ما يلي: إن كان هناك أية وسيلة أخرى لخلاص الخطاة، غير ذهابي إلى الصليب، فرجاء أن تعلن لي ذلك الآن. لكن السماوات لزمت الصمت بسبب عدم وجود أية وسيلة أخرى.

في اعتقادنا أن آلام المسيح في البستان لم تكن جزءًا من عمله الكفّاري. ذلك لأن الفداء تمّ خلال ساعات الظلمة الثلاث على الصليب. لكن جثسيماني كان توطئة للجلجثة. وهناك في البستان، تألم الرب يسوع جدًّا لمجرّد تفكيره في أنه سوف يحتكّ بخطايانا.

٢٢: ٤٣، ٤٤ يظهر ناسوت الرب يسوع الكامل في الجهاد الذي رافق آلامه. فإذ ذاك **ظهر له ملاك من السماء يقوّيه**. وهنا ينفرد لوقا في تدوين هذا الأمر إلى جانب حقيقة أن **عرقه صار كقطرات دم**. فهذه الظاهرة استرعت انتباه الطبيب الشغوف بهذا الصنف من التفاصيل.

٢٢: ٤٥، ٤٦ لدى رجوع الرب **إلى تلاميذه**، كانوا **نيامًا من فرط الحزن** وليس من اللامبالاة. فعاد يحثّهم من جديد على **القيام والصلاة** بسبب اقتراب ساعة الأزمة، حين سيتعرّضون لإنكاره أمام السلطات.

ي. خيانة يهوذا والقبض على المسيح (٢٢: ٤٧-٥٣)

٢٢: ٤٧، ٤٨ كان **يهوذا** قد حضر الآن وبرفقته مجموعة من رؤساء الكهنة والشيوخ وقواد جند الهيكل، لإلقاء القبض على الرب. وكانوا قد اتفقوا على أن يُقدم الخائن على تقبيل يسوع لتعريفهم به. علّق ستيوارت *Stewart* على هذا بالقول:

> كانت ذروة الفظاعة والهول، وآخر حدود العار التي لا يمكن أن يبلغ الخزي البشريّ ما هو أبعدُ منها، عندما أقدم يهوذا هناك في البستان على خيانة سيّده، لا بصيحة ولا بطعنة خنجر بل بقبلة.

عندئذ سأله يسوع بكل شفقة وحنان: «**يا يهوذا أبقبلة تسلّم ابن الإنسان؟**».

٢٢: ٤٩-٥١ أدرك التلاميذ **ما سوف يكون**، واستعدوا للهجوم. وفي الواقع، أخذ **واحد منهم**، أي بطرس، سيفًا وقطع **الأذن اليمنى لعبد رئيس الكهنة**. لكنّ الرب يسوع أنّبه على اعتماد أساليب جسدية خلال خوضه الحرب الروحية. فساعة الرب قد حضرت، وكان لا بدّ من أن تتم المقاصد التي سبق أن عيّنها الله. ثم لمس يسوع **أذن** العبد الجريح بكل لطف **وأبرأها**.

٢٢: ٥٢، ٥٣ التفت **يسوع** إلى القادة والمسؤولين اليهود وسألهم لماذا **خرجوا** وراءه كأنه **لصّ** فارّ. ألم يعلّم يوميًّا في محيط الهيكل، ومع هذا لم يحاولوا القبض عليه؟ لكنه كان على علم بالجواب: كانت **هذه ساعتهم وسلطان الظلمة**. كان الوقت الآن نحو منتصف ليل الخميس.

يظهر أن محاكمة ربّنا الدينية حصلت على ثلاث مراحل: أولاً مَثُلَ أمام حنّان، ومن ثم أمام قيافا. وأخيرًا استُدعي للوقوف أمام السنهدريم. ويُرجّح أن تكون الأحداث بين هذا العدد والعدد ٦٥ قد وقعت بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من فجر يوم الجمعة.

ك. *بطرس ينكر يسوع ويبكي بكاءً مرًّا* (٢٢: ٥٤-٦٢)

٢٢: ٥٤-٥٧ عندما اقتيد الرب إلى **بيت رئيس الكهنة**، **تبعه بطرس من بعيد**. فجلس بطرس في الداخل مع أولئك الذين كانوا يستدفئون أمام نار قد أُضرمت في وسط الدار. عندئذ **تفرّست جارية** في بطرس واعتبرته من أتباع يسوع. لكن بطرس **أنكر**، بشكل مثير للشفقة، معرفته به.

٢٢: ٥٨-٦٢ بعد قليل، عاد آخر يتّهم بطرس بأنه أحد أتباع يسوع الناصري. ومن جديد، أنكر بطرس هذه التهمة. **ولما مضى نحو ساعة واحدة**، عرف شخص آخر أن بطرس كان **جليليًّا** وأحد تلاميذ الرب أيضًا. فأنكر بطرس صحة أي شيء قاله هذا الرجل. وعند هذا الحدّ، جاء صياح **الديك** ليقاطع عملية إنكار بطرس لسيّده. وفي هذه اللحظة القاتمة، **التفت الربّ ونظر إلى بطرس**، **فتذكّر بطرس** نبوّة الرب عنه بأنه **سوف ينكره ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك**. إن نظرة ابن الله هذه، جعلت **بطرس** يخرج في حلك الظلام لكي يبكي بكاءً مرًّا.

ل. *الجنود يستهزئون بابن الإنسان* (٢٢: ٦٣-٦٥)

كان الجنود المكلّفون حراسة الهيكل المقدس في أورشليم هم الذين اعتقلوا يسوع. والآن راح هؤلاء المنوط بهم حماية بيت الله المقدس يستهزئون بيسوع **ويجلدونه**. ثم **ضربوا وجهه** بعد أن غطّوا عينيه. وسألوه تحديد الشخص الذي ضربه. ولم يتوقفوا عند هذا الحدّ، لكنه هو احتمل بصبر من الخطاة مقاومة لنفسه عظيمًا مقدارُها.

م. *محاكمة صباحية أمام السنهدريم* (٢٢: ٦٦-٧١)

٢٢: ٦٦-٦٩ في الصبح (بين الساعة الخامسة والسادسة صباحًا)، **أصعد مشيخة الشعب**... يسوع إلى **مجمعهم**، أو السنهدريم. فسأله أعضاء السنهدريم للوقت هل هو **المسيح**. فردّ عليهم يسوع بما معناه أن لا نفع من بحث هذه المسألة معهم، وذلك بسبب عدم استعدادهم لقبول الحق. لكنه نبّههم إلى أن الشخص الوديع الواقف أمامهم **سيجلس** ذات يوم **عن يمين قوة الله** (راجع المزمور ١١٠: ١).

٢٢: ٧٠، ٧١ ثم سألوه صراحة هل هو **ابن الله**. كان قصدهم واضحًا ولا لبس فيه. **فابن الله**، في نظرهم، كان الشخص الإلهي المساوي لله. فأجابهم يسوع: «**أنتم** (حقًّا) **تقولون إني أنا هو**» (راجع مرقس ١٤: ٦٢). كان ذلك كل ما يحتاجون إليه. ألم يسمعوه يتكلم بتجاديف عندما ادّعى مساواته لله؟ فلا داعي **بعد** لأية **شهادة** إضافية. لكن اعتراضتهم مشكلة. فالموت كان عقاب التجديف بموجب ناموسهم. غير أن اليهود كانوا تحت سيطرة الرومان ولا سلطة لهم للحكم على الشجناء بالموت. لذا وجب عليهم أخذ يسوع إلى بيلاطس الذي لن تهمّه البتة التهم الدينية من صنف التجديف. وهكذا كان من الأفضل أن يلصقوا به تهمًا سياسية.

ن. يسوع أمام بيلاطس (٢٣: ١-٧)

٢٣: ١، ٢ بعد مثول يسوع أمام **كل جمهورهم**، أي السنهدريم، طلبوا بأقصى سرعة أن يحاكموه مدنيًّا أمام **بيلاطس**، الوالي الروماني. والآن ألصق به القادة الدينيون ثلاثة اتّهامات سياسيّة. أولاً، اتّهموه بأنه **يفسد الأمّة** أي يدفع الناس إلى تحويل ولائهم عن روما. وثانيًا، قالوا إنه يمنع اليهود من **إعطاء الجزية لقيصر**. وأخيرًا اتّهموه بأنه جعل نفسه **ملكًا**.

٢٣: ٣-٧ عندما **سأل بيلاطس** يسوع هل هو **ملك اليهود**، أجابه بأنه هو كذلك. لم يرَ بيلاطس في ادّعائه هذا أي تهديد للإمبراطور الروماني. وبعد لقائه بيسوع على انفراد (يو١٨: ٣٣-٣٨أ)، خاطب **رؤساء الكهنة** والجموع معتبرًا أنه **لم يجد علّة** فيه. لكن الحشد عاد يتهم يسوع، بأكثر إلحاح، بأنه يحرّض الناس على العصيان **مبتدئًا من الجليل** المحتقَر حتى أورشليم. فلما سمع بيلاطس اللفظة **الجليل**، ظن أنه وجد لنفسه مفرًّا من هذا المأزق. فالجليل كان تحت **سلطة هيرودس**، لذا حاول بيلاطس تجنُّب التورّط أكثر في هذه المسألة بتحويله يسوع **إلى هيرودس**. واتّفق أن هيرودس كان **في تلك الأيام** بالذات في زيارة **لأورشليم**.

كان هيرودس انتيباس هو ابن هيرودس الكبير قاتلِ أطفال بيت لحم. كما أن انتيباس هذا هو المسؤول عن قتل يوحنا المعمدان بسبب شجبه علاقته غير الشرعيّة بزوجة أخيه. إنه الهيرودس الذي اعتبره يسوع «ذلك الثعلب» في لوقا ١٣: ٣٢.

س. هيرودس واستجوابه يسوع بازدراء (٢٣: ٨-١٢)

٢٣: ٨ فرح **هيرودس** جدًّا بوقوف **يسوع** أمامه. **كان قد سمع عنه أشياء كثيرة، وترجّى من زمان طويل أن يرى آية تُصنَعُ منه.**

٢٣: ٩-١١ طرح هيرودس **أسئلة** كثيرة على المخلّص، لكنه لم يحصل منه على أي جواب. كما أن يسوع لم يفتح فاه في وجه اليهود الذين أصبحوا أكثر عنفًا في اتهامهم إياه. وكل ما كان باستطاعة هيرودس فعله هو ترك جنوده يعاملون يسوع بخشونة وبقسوة ويستهزئون به بإلباسه لباسًا لامعًا وبردّه إلى بيلاطس.

٢٣: ١٢ كان **هيرودس وبيلاطس في عداوة بينهما من قبل**، لكن هذه العداوة تحوّلت الآن إلى صداقة. كان كلاهما يقفان معًا ضدّ الرب يسوع، وهذا ما وحّد بينهما. وفي هذا المجال، رفع ثيوفيلكت *Theophylact* مرثاة على أوضاع المسيحيين بقوله: "يا للعار أن

يتمكن الشيطان من إقناع الأشرار بطرح خلافاتهم وعداواتهم جانبًا لفعل ما يضرّ، في حين يعجز المسيحيون عن المحافظة على الصداقة لفعل الخير".

ع. حُكم بيلاطس: بريء لكن محكوم عليه بالإعدام (٢٣: ١٣-٢٥)

٢٣: ١٣-١٧ بسبب تقاعس بيلاطُس عن التصرّف بعدل وتبرئة ساحة سجينه الملوكي، وجد نفسه الآن وقد وقع في الشّرَك. ثم دعا قادة اليهود إلى الاجتماع به على وجه السرعة حيث أوضح لهم أنه لم يجد هو **ولا هيرودس** أي ذنب في يسوع. «**وها لا شيء يستحق الموت صُنع منه**». لذا اقترح عليهم جَلد الرب ومن ثم إطلاق سراحه. وكما يقول ستيوارت *Stewart*: إن هذا الحلّ الوسط المؤسف غير منطقي كما لم يكن له بالطبع أي مبرّر. إنّها محاولة حقيرة تبذلها النفس، بدافع الخوف، للقيام بواجبها تجاه يسوع ولإرضاء الجمع في الوقت عينه. لكنها أخفقت من الناحيتين، ولا عجب إذًا إن رفض الكهنة الغاضبون هذا الحُكم رفضًا قاطعًا.

٢٣: ١٨-٢٣ استشاط رؤساء الكهنة والحكام غضبًا. وطالبوا بتسليم يسوع للموت وبإطلاق **باراباس**، المجرم الشهير **الذي كان قد طُرح في السجن لأجل فتنة وقتل**. ثم بذل **بيلاطس** محاولة ضعيفة أخرى لتبرئة ساحة الرب، لكن الجمع قوي عليه بمطالبه المتكررة. فمهما صرّح أمامهم، ظلّوا مُصرّين على المطالبة بإماتة ابن الله.

٢٣: ٢٤، ٢٥ الآن حكم **بيلاطس** بالموت على يسوع لإرضاء الشعب، مع أنّه سبق له أن اعتبره بريئًا. وفي الوقت عينه أطلق باراباس نزولاً عند رغبة الجمع.

ف. ابن الإنسان يُقاد إلى الجلجثة (٢٣: ٢٦-٣٢)

٢٣: ٢٦ الآن صارت الساعة نحو التاسعة من صبيحة يوم الجمعة. وفي الطريق إلى موقع الصلب أمر الجند رجلًا اسمه **سمعان القيرواني ليحمل الصليب**. لا نعرف الشيء الكثير عن هذا الرجل، لكنّ ابنَيه، على ما يبدو، أصبحا في ما بعد مسيحيَّين مشهورَين (مر ١٥: ٢١).

٢٣: ٢٧-٣٠ راحت جماعة من أتباع يسوع والمتعاطفين معه تبكي فيما كان يُساق في الطريق. عندئذ خاطب الربّ النساء بينهم بوصفهنّ **بنات أورشليم**، ودعاهُنّ إلى الإشفاق على أنفسهنّ وليس عليه. كان بذلك يشير إلى الخراب المروّع الذي سيحلّ بأورشليم في عام ٧٠م، منبئًا بأنّه سيعمّ الألم والحزن، بشكل عظيم، في تلك الأيام حتى إن العواقر، واللواتي كنّ محطّ تعيير قبلاً، أصبحن الآن يُمدحن. كما أن فظائع حصار تيطس ستدفع الناس لأن يتمنّوا **لو تسقط الجبال عليهم ولو تغطّيهم التلال**.

٢٣: ٣١ وبعد هذا نطق الرب يسوع بالعبارة التالية: «**لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس**»؟ كان هو نفسه **الغُصن الرطب**، فيما تشير الشجرة **اليابسة** إلى الأمّة غير المؤمنة. وإن كان الرومان قد سكبوا كل هذا القدر من العار والألم على ابن الله البريء والخالي من أية خطية، فأي عقاب أشرّ سيكون من نصيب المذنبين قَتَلة ابن الله الحبيب؟

٢٣: ٣٢ كان الموكب يضمّ أيضًا **اثنين آخرين مذنبين** سيُنفّذ بهما أيضًا حكم الإعدام.

ص. الصلب (٢٣: ٣٣ـ ٣٨)

٢٣: ٣٣ كان موقع الصلب يُدعى جمجمة. ربما كان شكل الأرض هناك يشبه الجمجمة، أو لعله دُعي هكذا لأنه مكان الموت، ذاك الذي غالبًا ما يُرمَز إليه بجمجمة. يلفتنا هنا تحفّظ الوحي الإلهي في وصف حادثة الصلب. فهو لا يتوقف كثيرًا عند التفاصيل الراعبة، بل تطالعنا العبارة البسيطة: «**صلبوه هناك**». ومرّة جديدة نرى أن تعليقات ستيوارت *Stewart* هي في محلّها:

> كان من الصعب القبول بموت المسيّا. لكن موته بهذا الشكل فاق كل قدرة على التصديق. غير أنّ هذا هو ما حصل فعلاً. وكل شيء مسّه المسيح – بما في ذلك الصليب – زيّنه وغيّر هيئته وكلّله بالبهاء والجمال. لكن دعونا لا ننسى الأعماق السحيقة التي منها رفّع الصليب.
>
> آه علّمني ما هو معنى
> ذلك الصليب المرفوع عاليًا
> والكائن الإلهي، رجل الأوجاع
> المحكوم عليه بأن ينزف ويموت
>
> *لوسي أ. بِنّت Lucy A. Bennett*

كان هناك في ذلك اليوم ثلاثة صلبان في جلجثة: صليب يسوع في الوسط، وصليب أحد المجرمين من كل جهة. وفي هذا تتميم الآية من أشعياء ٥٣: ١٢ «وأُحصيَ مع أثمة».

٢٣: ٣٤ صرخ يسوع من على الصليب بكلمات مفعمة بالمحبة والرحمة: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». من يعلم أي تيار جارف من الغضب الإلهي صدّته هذه الصلاة؟ وقد علّق مورجان *Morgan* على محبة المخلّص بهذه الكلمات:

> لم يكن الرب يسوع ليراعي في قرارة نفسه أية مرارة أو غضب أو رغبة مبيّتة في معاقبة أولئك الرجال الذين كانوا يسيئون معاملته. لقد امتدح الناس ظاهرة التهديد بقوة السلاح. لكن لدى سماعي يسوع يصلّي بهذا الشكل، أعرف أن الجحيم هو المكان الوحيد للذين يهدّدون بقوة السلاح.

ثم تلى ذلك اقتسامُ ثياب يسوع بين الجنود والاقتراع على ردائه المنسوج بغير خياطة.

٢٣: ٣٥ـ ٣٨ وقف الرؤساء أمام الصليب، وسخروا بيسوع وتحدّوه بأن يخلّص نفسه إن كان حقًّا هو المسيح مختار الله. والجند أيضًا استهزأوا به مقدّمين له خلاً. كما أنهم دعوه إلى إظهار قدرته على تخليص نفسه. كذلك جعلوا على رأس الصليب العنوان التالي: **هذا هو ملك اليهود.**

ونعود من جديد إلى اقتباس كلمات ستيوارت *Stewart*:

> لا يسعنا أن نسهو عن حقيقة كون هذا العنوان قد كُتب في ثلاث لغات: اليونانية، واللاتينية، والعبرانية. لقد صار ذلك، ولا شك، للتثبّت من أنه سيتسنى لكل واحد من الجمع أن يقرأها. لكن كنيسة المسيح رأت فيها دائمًا، وعن حق، رمزًا لربوبية سيّدها الكونية. فهذه اللغات تشكّل لغات العالم العظمى الثلاث، وكانت كل واحدة منها تخدم فكرة رئيسية واحدة. فاليونانية كانت لغة الثقافة والمعرفة. وبحسب هذا العنوان، كان يسوع ملكًا في هذا المجال. واللاتينية كانت لغة التشريع والحكومة، ويسوع كان ملكًا هناك. أمّا العبرانية فكانت لغة الديانة

المعلنة، ويسوع ملكٌ هنا أيضًا. إذًا، وبينما كان يسوع معلّقًا على الصليب يعاني آلام الموت، كان يصحّ فيه القول: «على رأسه تيجان كثيرة» (رؤ ١٩: ١٢).

ق. اللصان (٢٣: ٣٩-٤٣)

٢٣: ٣٩-٤١ نفهم من سرد الأناجيل الأخرى أن اللصين كليهما شتما يسوع في بادئ الأمر. فإن كان هو المسيح، فلماذا لا يخلّص جميعهم؟ لكنّ واحدًا منهما اختبر تغيّرًا في القلب. وإذ توجّه إلى زميله، انتهره على وقاحته وعدم احترامه للرب. فآلامهما كليهما كانت نتيجة جرائم اقترفاها، وكان يستحقان العقاب عليها. أمّا هذا الرجل المعلّق على الصليب الأوسط **فلم يفعل شيئًا ليس في محله.**

٢٣: ٤٢ ثم التفت ذلك اللص إلى **يسوع** وسأل **الربّ** أن **يذكره متى جاء** ليُقيم **ملكوته** على الأرض. كان إيمان كهذا رائعًا. فاللص المائت آمن بأن الرب يسوع سوف يقوم من بين الأموات، ثمّ يملك على العالم في نهاية المطاف.

٢٣: ٤٣ كافأ **يسوع** إيمانه إذ وعده بأنّهما (الربّ يسوع واللص التائب) في ذلك اليوم عينه **سيكونان معًا في الفردوس**. والفردوس هو نفسه السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢، ٤)، وهو يشير إلى مسكن الله.

اليوم — يا لها من سرعة.

معي — يا لها من رفقة.

في الفردوس — يا لها من سعادة.

كتب تشارلز إردمن *Charles Erdman* في هذا السياق:

تعلن لنا هذه الواقعة حقيقة أن الخلاص يرتكز على التوبة والإيمان. إلاّ إنها تحوي أيضًا رسائل هامة أخرى. فهي تُظهر أن الخلاص مستقلّ عن "الأسرار المقدسة". فهذا اللص لم يسبق له قط أن اعتمد ولا اشترك في عشاء الرب... لكنه في الواقع اعترف جهارًا بإيمانه، وذلك في محضر جمهورٍ مُعادٍ، وفي وسط توبيخات الرؤساء والجنود الساخرة. وهكذا اختبر الخلاص من دون الحاجة إلى ممارسة أي شكل من أشكال الطقوس الرسمية. كذلك من الواضح أيضًا أن الخلاص مستقل عن أية أعمال صالحة... كما نرى أن ليس هناك ما يسمّى "رقاد النفس". فالجسد يرقد، لكن ثمة وعي بعد الموت. ويتّضح لنا أيضًا أن لا وجود "للمَطْهَر". ذلك لأن هذا اللص التائب انتقل من حياة الخطية والعار مباشرة إلى حالة من السعادة. ومن جهة أخرى، بإمكاننا ملاحظة أن الخلاص ليس عامًّا ولا شاملاً. لقد كان هناك لصان، ولم يخلص سوى واحد منهما فقط. وأخيرًا نرى أن الشركة الشخصية مع المسيح هي التي تقف وراء فرحنا بعد الموت. فلُبّ الوعد الذي قطعه الرب للص المائت كان: «تكون معي». وهذا هو يقيننا المبارك أننا «سنكون مع المسيح» بعد انطلاقنا من هذا العالم، وذاك «أفضل جدًّا».

كان هناك لصان إلى جانبي يسوع المصلوب. فمن جهة، مضى أحدهما إلى السماء، ومن جهة أخرى، ذهب الآخر إلى الجحيم. ففي أية جهة من الصليب تقف أنت؟

ر. ثلاث ساعات ظلمة (٢٣: ٤٤-٤٩)

٢٣: ٤٤ غطت الظلمة الأرض بأكملها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، أي من ساعة الظهيرة إلى الثالثة بعد الظهر. وكان ذلك بمثابة آية للأمّة العاصية. فالله الآن سيعميها قضائيًّا بسبب رفضها النور.

٢٣: ٤٥ وانشق حجاب الهيكل من وسطه من فوق إلى أسفل. وقد صوّر هذا حقيقة أنه قد انفتحت الآن بواسطة الرب يسوع المسيح، طريق للاقتراب من الله، وذلك أمام جميع الذين يُقبِلون إليه بالإيمان (عب ١٠: ٢٠- ٢٢).

٢٣: ٤٦، ٤٧ خلال ساعات الظلمة الثلاث هذه، قد حمل الربّ يسوع قصاص خطايانا في جسده على الخشبة. وفي نهاية هذه الفترة، استودع روحه بين يدي الله أبيه، ثم أسلم حياته طوعًا. ترك هذا المشهد أثرًا عظيمًا في نفس قائد المئة الروماني حتى مجّد الله قائلاً «بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًّا».

٢٣: ٤٨، ٤٩ استولى على كل الجموع شعور عميق بالأسى والاكتئاب مع تخوّف من حصول شرّ. كما أن بعضًا من أتباع يسوع الأوفياء، بمن فيهم النساء اللواتي كنّ قد تبعنه من الجليل، وقفوا ينظرون أهم مشهد في تاريخ العالم.

ش. الدفن في قبر يوسف (٢٣: ٥٠- ٥٦)

٢٣: ٥٠- ٥٤ كان يوسف، حتى ذلك الحين، أحد تلاميذ الربّ في السرّ. كان مشيرًا أي عضوًا في السنهدريم، إلاّ أنه لم يوافق على قرارهم بشأن يسوع. والآن توجّه يوسف بكل جرأة إلى بيلاطس وطلب إليه أن يمنحه امتياز إنزال جسد يسوع عن الصليب لدفنه بشكل لائق. (حصل ذلك بين الساعة الثالثة والسادسة بعد الظهر). وأذن له بيلاطس، فتقدّم بسرعة ولفّ جسد يسوع بكتّان ووضعه في قبر منحوت لم يُستخدم قطّ من قبل. حدث ذلك في يوم الجمعة، يوم الاستعداد. وعندما نقرأ العبارة «كان السبت يلوح»، نحتاج أن نتذكر أن السبت اليهودي يبدأ مع غروب نهار الجمعة.

٢٣: ٥٥، ٥٦ تبعت النساء الوقيّات من الجليل يوسف عندما حمل الجسد إلى القبر ووضعه داخله. ثم رجعن وأعددنَ حنوطًا وأطيابًا حتى يتسنّى لهنّ العودة لتكفين جسد الرب الذي أحببنه. ويوسف، بدفنه جسد يسوع، دفن أيضًا نفسه بمعنًى من المعاني. ففعله هذا جعله ينفصل إلى الأبد عن الأمّة التي صلبت ربّ الحياة والمجد. فهو لن يكون في ما بعد جزءًا من النظام اليهودي، بل سيعيش منفصلاً عنه أدبيًّا كما أنه سيشهد عليه.

وفي السبت، استراحت النسوة، وذلك إطاعة للوصية المختصة بالسبت.

١٢- قيامة ابن الإنسان ونصرته (ص٢٤).

أ. النساء عند القبر الفارغ (٢٤: ١- ١٢)

٢٤: ١ وفي الصباح الباكر من يوم الأحد، قصدت النساء القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه لجسد يسوع. لكن كيف كنّ يتوقّعن الوصول إلى جسده؟ ألم يكن بعلمهنّ أن حجرًا عظيمًا كان قد دُحرج على مدخل القبر؟ لا يذكر الوحي أي شيء بهذا الخصوص. وكل ما نعرفه هو أنهنّ أحببنه محبة حميمة، والمحبة غالبًا ما تتجاهل كل الصعوبات للبلوغ إلى مأربها.

"كانت محبتهنّ قد استيقظت باكرًا (ع١)، ونالت مكافأة عظيمة (ع٦). وكل من يستيقظ باكرًا، ما يزال ينتظره الرب المقام (انظر أمثال ٨: ١٧)".

٢٤: ٢-١٠ وعندما وصلن إلى القبر، وجدن **الحجر مدحرجًا عن مدخل القبر**. وما إن دخلن حتى لاحظن عدم وجود **جسد الرب يسوع في القبر**. وليس من الصعب تخيّل حيرتهنّ في هذه الحال. وفيما كنّ يحاولن تفسير ذلك، إذا بملاكين (راجع يوحنا ٢٠: ١٢) **بثياب برّاقة** يظهران ليؤكدا لهنّ أنّ يسوع كان حيًّا، وإنه من العبث مواصلة البحث عنه داخل القبر. لقد قام كما وعد **وهو بعد مع تلاميذه في الجليل**. أوَلم يُعلمهم مسبقًا بأن **ابن الإنسان** كان **سيسلّم في أيدي أناس خطاة ويُصلب وفي اليوم الثالث يقوم** (لو ٩: ٢٢؛ ١٨: ٣٣)؟ عندئذ ارتسمت جميع هذه الأمور أمامهنّ. وبعد هذا رجعن بسرعة إلى المدينة ونقلن هذا **الخبر إلى الأحد عشر تلميذًا**. وكانت هذه الدُّفعة الأولى من المبشرين بالقيامة تضمّ **مريم المجدلية ويونّا ومريم أم يعقوب**.

٢٤: ١١، ١٢ لم يصدّقهنّ التلاميذ على الإطلاق، بل بدا لهم **كلامهنّ** كأنه مجرد خرافة عجائزية. فيا للأمر الذي لا يُصدَّق، ويا للأمر الذي يخلب الألباب: هذا ما دار في خلدهم إلى أن زار **بطرس** بنفسه **القبر ونظر الأكفان موضوعة هناك وحدها**. تلك كانت الأكفان التي لُفّت بإحكام حول الجسد. لا يذكر لوقا هل كانت محلولة أو كانت لا تزال متخذة شكل الجسد، لكن ليس ما يمنع افتراضنا بأن الاحتمال الثاني صحيح. فالرب، على ما يبدو، فارق الأكفان وكأنها كانت شرنقة. كما أن حقيقة الأكفان المتروكة في مكانها تأتي لتدحض فكرة تعرّض الجسد للسرقة. ذلك لأنْ لا وقت عند اللصوص لنزع الأكفان عن الجسد. كان بطرس لدى عودته إلى بيته ما يزال يحاول فكّ لغز هذا الأمر الغامض. فماذا كان يعني كل ذلك؟

ب. *الرحلة إلى عمواس (٢٤: ١٣-٣٥)*

٢٤: ١٣ كان واحد من **تلميذي عمواس** رجلاً اسمه **كليوباس**، فيما هوية الآخر مجهولة عندنا. ربما كانت زوجته. ويقول تقليد إن هذا الشخص كان لوقا نفسه. غير أن كل ما باستطاعتنا التيقُّن منه هو أنه لم يكن واحدًا من جماعة الأحد عشر تلميذًا (راجع ع ٣٣). وعلى كل حال، كان هذان الاثنان يستعيدان، بحزن، وقائع موت المسيح ودفنه، وذلك خلال رجوعهما **من أورشليم إلى عمواس** التي تبعد عنها نحو ستين غلوة؛ أي أحد عشر كيلو مترًا.

٢٤: ١٤-١٨ وفي الطريق، جاء غريب وسار معهما. كان هو الربّ المُقام إلاّ أنهما لم يعرفاه. ثم سألهما عمّا كانا يتحدّثان. فلزما الصمت في بداية الأمر، ممّا يبرز حالة البؤس التي كانا يتخبطان فيها. وبعد هذا أعرب كليوباس عن اندهاشه من أن يكون حتى أحد **الغرباء في أورشليم** غير مطّلع على الأمور التي حدثت فيها.

٢٤: ١٩-٢٤ عاد يسوع يحثّهما على الكلام بطرحه عليهما السؤال: "لماذا، **وما الذي حدث؟**". فعبّرا له أولاً عن إعجابهما بيسوع قبل أن راجعا أمامه الأمور المختصة بمحاكمته وبصلبه. كذلك تحدّثا عن آمالهما المحطّمة وعن أخبار بلغت التلاميذَ، مفادها أن **جسده** لم يعد داخل القبر. كما أن بعض **الملائكة** كانت قد أكدت **أنه حي**.

٢٤: ٢٥-٢٧ عندئذ أنّبهما الرب يسوع بمحبة على تقاعسهما عن إدراك إن ما حصل كان يوافق بالتمام ما سبق **لأنبياء العهد القديم** أن قالوه في المسيح. كان عليه أن يتألم أولاً ومن ثم يتمجد. بعد هذا راح يستعرض أمامهما **جميع الكتب** المختصة به بصفته المسيح، ابتداء من

سفر التكوين ومرورًا **بجميع أسفار الأنبياء**. كان ذلك بمثابة "درس كتاب" مشوِّق، وكم كنّا نتمنى أن نكون برفقتهما في ذلك الوقت. لكن في حوزتنا العهد القديم نفسه، وعندنا أيضًا الروح القدس لتعليمنا، ممّا يخوّلنا أن نكتشف نحن أيضًا **الأمور المختصة به في جميع الكتب**.

٢٤: ٢٨، ٢٩ كان التلميذان الآن قد اقتربا من البيت. فدعَوا رفيقهما في السفر إلى المبيت عندهما. أمّا هو فتصرف بكياسة في بداية الأمر إذ **تظاهر كأنّه** مزمع أن يواصل رحلته، ذلك لأنه لا يحب أن يفرض نفسه عليهما. لكنهما ألحّا عليه ونجحا في إقناعه بالمكوث عندهما. ويا لغنى المكافأة التي حصلا عليها من جراء ذلك!

٢٤: ٣٠، ٣١ وعندما جلسوا لتناول طعام العشاء، احتلّ الضيف مكان المضيِّف.

> تحوّلت الوجبة البسيطة جلسةً مقدّسة، كما أصبح المنزل بيت الله. وهذا ما يفعله المسيح دائمًا حيثما يحلّ. والذين يستضيفونه ويكرّمونه سيكرّمون جيّدًا بدورهم. لقد فتح التلميذان له بيتهما، وها هو الآن يفتح أعينهما.
>
> *من تأملات يومية إصدار Scripture Union*

عرفاه، أوّل مرة، فيما كان **يكسّر الخبز ويناولهما**. فهل لاحظا، يا ترى، آثار المسامير في يديه؟ إن كل ما نعرف هو أن **أعينهما انفتحت** بشكل معجزي حتى عرفاه. عندئذ **اختفى عنهما** للوقت.

٢٤: ٣٢ ثم راحا يستعيدان تفاصيل رحلة ذلك اليوم. ولا عجب إن كان قلبهما قد التهب **داخلهما** إذ كان يكلّمهما **ويوضّح** لهما **الكتب**. كان معلِّمهما ورفيقهما هو الربُّ يسوع المسيح المقام.

٢٤: ٣٣ عوضًا عن قضاء الليل في عمواس، رجعا **سريعًا إلى أورشليم حيث وجدا الأحد عشر مجتمعين مع** آخرين. والعبارة «الأحد عشر» هنا، تشير بشكل عام إلى جماعة التلاميذ الأولى ما عدا يهوذا. وفي الواقع، لم يكن الأحد عشر جميعهم حاضرين، كما نفهم من يوحنا ٢٠: ٢٤، لكن هذه اللفظة تشير إليهم كمجموعة.

٢٤: ٣٤ أعلن التلاميذ في أورشليم بكل ابتهاج أن **الربّ قام** بالحقيقة وأنه ظهر **لسمعان** بطرس، وذلك قبل أن يتسنّى لتلميذي عمواس إبلاغهم ما يحملانه من أخبار مفرحة.

٢٤: ٣٥ ثم جاء دور تلميذي عمواس ليصرّحا بالقول: "أجل، نحن على علم بهذا، بما أنه سار معنا، ودخل بيتنا وأعلن لنا ذاته **عند كسر الخبز**".

ج. *ظهور الرب للأحد عشر* (٢٤: ٣٦-٤٣)

٢٤: ٣٦-٤١ كان جسد قيامة الرب يسوع جسدًا حقيقيًّا وملموسًا **له لحم وعظام**. كان الجسد نفسه الذي دُفن، لكنه تغيّر إذ لم يعد عُرضة للموت. إن جسدًا ممجّدًا كهذا مكّن الربَّ يسوع من دخول الغرفة والأبواب مغلّقة (يو ٢٠: ١٩).

هذا ما فعله الرب في ليل ذلك الأحد الأول. رفع التلاميذ عيونهم ونظروه، كما أنهم سمعوه يقول: «**سلام لكم**». استولى عليهم الذعر والهلع لظنّهم بأنه روح. ولم يبدأوا بفهم ما يجري إلاّ بعد أن أراهم آثار آلامه **في يديه وفي رجليه**. وعندئذ أيضًا كان ما يحصل أروع من أن يُصدَّق.

٢٤: ٤٢، ٤٣ ثم أكل الرب أمامهم بعض **السمك المشوي** وشيئًا من **شهد عسل**، ليُظهر لهم أنه كان حقًّا يسوع بنفسه.

د. الذهن المفتوح (٢٤: ٤٤-٤٩)

٢٤: ٤٤-٤٧ قد تصلح هذه الأعداد كملخّص لتعليم المخلّص خلال الفترة الممتدّة بين قيامته وصعوده. لقد أوضح أن قيامته جاءت تتميمًا لكلامه لهم. أ ولم يقل لهم أنه لا بدّ أن تتم جميع نبوات العهد القديم عنه؟ فناموس موسى والأنبياء والمزامير كان تشكّل أقسام العهد القديم الرئيسية الثلاثة. وهي تؤلّف معًا كتاب العهد القديم بجملته. فما هي المواضيع التي أكثر ما تناولتها نبوات العهد القديم عن المسيح؟ إنها ما يلي:

١- يجب أن يتألم (مز٢٢: ١-٢١؛ إش٥٣: ١-٩).

٢- يجب أن يقوم من الأموات في اليوم الثالث (مز١٦: ١٠؛ يون١: ١٧؛ هو٦: ٢).

٣- يجب أن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم.

فتح يسوع ذهنهم ليفهموا كل هذه الكتب.

وفي الواقع، يزخر هذا الفصل بالأمور المفتوحة: القبر المفتوح (ع١٢)، البيت المفتوح (ع٢٩)، العيون المفتوحة (ع٣١)، الكتب المقدسة المفتوحة (ع٣٢)، الشفاه المفتوحة (ع٣٥)، الذهن المفتوح (ع٤٥)، السماء المفتوحة (ع٥١).

٢٤: ٤٨، ٤٩ كان التلاميذ شهودًا للقيامة. كان عليهم أن يذهبوا ويذيعوا الرسالة المجيدة. لكن، كان يجب أولاً أن ينتظروا موعد الآب، أي مجيء الروح القدس يوم الخمسين. عندئذ سيُلبَسون قوة إلهية لأداء الشهادة بشأن المسيح المُقام. وكان الآب قد وعد بإرسال الروح القدس في نصوصٍ من العهد القديم مثل إشعياء ٤٤: ٣؛ حزقيال ٣٦: ٢٧؛ يوئيل٢: ٢٨.

هـ. صعود ابن الإنسان (٢٤: ٥٠-٥٣)

٢٤: ٥٠، ٥١ حصل صعود المسيح بعد أربعين يومًا من قيامته. فأخذ تلاميذه إلى بيت عنيا عند السفح الشرقي لجبل الزيتون. وهناك رفع يديه وباركهم. وفي هذا الوقت، أُخذ عنهم وأُصعِد إلى السماء.

٢٤: ٥٢، ٥٣ سجدوا له ثم رجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم. ثم قضوا، على مدى العشرة أيام التالية، أوقاتًا طويلة في الهيكل وهم يسبّحون ويباركون الله.

كان إنجيل لوقا قد استُهِلّ بالحديث عن حفنة من المؤمنين الأتقياء وهم يصلّون في الهيكل لأجل المسيّا الذي طالما انتظروه. وهذا الإنجيل ينتهي في المكان نفسه مع مؤمنين أتقياء **يسبّحون ويباركون الله** على استجابة الصلاة وعلى الفداء المتمّم. إنها ذروة رائعة لما كان رينان *Renan* قد اعتبره "أجمل كتاب في حيّز الوجود". آمين.